

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لجنة المطافئ
 عضو لجنة المطافئ
 في حضرة امراء اى تعديل وقر قام بالصوميات
 في حضرة امراء اى تعديل وقر قام بالصوميات
 في حضرة امراء اى تعديل وقر قام بالصوميات

المملكة العربية السعودية
 وزارة التعليم العالي
 جامعة أم القرى
 كلية الشريعة والدراسات الإسلامية العليا

الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما

في الدعوة إلى الله

في ضوء الكتاب والسنة

١٠٠٩٦

رسالة ماجستير

إعداد الطالب / أحمد نافع سليمان المورع

بإشراف الدكتور / الشريف منصور بن عون العبدلي

الجزء الأول

فرع الكتاب والرسالة

١٤٠٥ - ١٤٠٦ هـ



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(شکر و تقدیر)

أحمد الله تعالى على توفيقه وامتنانه ، وأشكره على إعانته وتيسيره وأصلى وأسلم

على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أما بعد : فانطلاقاً من قول رسول الله صلى
(١)

الله عليه وسلم : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " وقوله صلى الله عليه وسلم : " ومن
(٢)

صنع إليكم مصروقاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافؤونه فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه " .

فإني أتقدم بشكري الخالص الجزيل لفضيلة الشيخ الدكتور / الشريف منصور بن عون

العبد لي . مشرفي على هذه الرسالة الذي لم يأل جهداً في إعانتى وإقالة عثرتي وإبداء

ملاحظاته القيمة وتوجيهاته السديدة وإعطائي الكثير من وقته وإنني إذ أشكره لاعترفي بتقصيري

في حقه ولا أملك له إلا الدعاء بالتوفيق وأن يجزيه الله عن خير الجزاء .

كما أتوجه بشكري العميق لكل من مشايخي وأساتذتي وزملائي وأصدقائي وأهل بيئتي

الذين ساعدوني في القيام بإنجاز هذا العمل بأفكارهم ومكتباتهم وأوقاتهم ، ولا أستطيع

إيراد أسمائهم لكثرتهم . واختلاف طبقاتهم وتنوع جهات مساعدتهم وإعانتهم . سائلاً

المولى تعالى أن يجزي الجميع عن خيراً وأن يجزل لهم المثوبة . آمين إنه سميع مجيب

الدعوات

(١) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في شكر المعروف ٢٥٥/٤ ، سنن الترمذي كتاب

البر والصلة باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ٨٧/٦ ، مسند الإمام أحمد

وسهامشه منتخب كنز العمال ٢٨٥/٢ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ، ٣٨٨ ، ٤٦١ ، ٤٩٢ .

٣٢/٣ ، ٧٤ ، ٢٧٨/٤ ، ٣٧٥ ، ٢١١/٥ - ٢١٢ . قال الترمذي هذا

حدِيثٌ صَحِيحٌ . واللفظ له .

(٢) سنن أبي داود كتاب الزكاة باب عطية من سأل بالله ٣٨٩/١ ، سنن النسائي كتاب

الزكاة باب من سأل بالله عز وجل ٨٢/٥ ، مسند الإمام أحمد ٩٩/٢ .

والحدِيثُ اسْنَادُهُ صَحِيحٌ لِأَنَّ رِجَالَهُ ثِقَاتٌ وَسَنَدُهُ مُتَّصِلٌ .

الحمد لله علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، خلق الإنسان من سلالة من طين
ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل له السمع والفرأاد والبصر لعليه يشكره وأكرمه
بما وهبه من منن وتفضل عليه بالآله ونعمائه وفضلته على كثير من خلقه تفضيلا . اللهم لك
الحمد شكرا ولك العن فضلا وأنت ربنا حقا ونحن عبيدك رقا وأنت لم تنزل لك أهلام .
اللهم يا مسر كل عسير ويا جابر كل كسير ويا مفرج كل مقير ويا مقوى كل ضعيف يسر علينا
كل عسير فتيسر العسير عليك يسير . اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن
إذا شئت سهلا فيسر أمورنا واهدنا سبيل السلام .

رب اجعلنى مفتاحا للخير وأجر الخير على يدي واجعلنى مباركا أينما كنت . اللهم
اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا . نعم الرب ربى حسبي الله
ونعم الوكيل أنت يا الله تنصر من تشاء وتهدى من تشاء وأنت العزيز الرحيم نسألك
العصمة فى الحركات والسكنات والكلمات والخطارات . ونسألك لسانا ناطقا وتولا صادقا وفيها
صائبا وقلبا خاشعا وعقلا عاقلا وفكرا مشرقا . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نعم
المولى ونعم النصير بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله بعثه ربه ومولاه
على حين فترة من الرسل هاديا وبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا . فبلغ
الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده . فهدى الله به أعينا عمينا
وآدانا صما وقلوبا غلغا وهدى الله به بشرا وأناسا كثيرا . دعا إلى سبيل ربه بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادل من جادل به بالتي هى أحسن امثالا لأمر ربه . اللهم صل وسلم
تسليما كثيرا على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وورثة هدى من العلماء العالمين
بشريعته المطبقين لسنة المؤتمرين بأمره المنتهين عن نهيه وزجره . الذين فهموا الاسلام

فهما حقيقيا روحا ومعنى وأدركوا مراميّه وغيّاتّه ومقاصده فدعوا إلى سبيل ربهم بالحكمة
والموعظة الحسنة فهدى الله بهم العباد وفتح على أيديهم البلاد وأخبر بهم العباد
من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن خيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن
جور الأديان إلى عدل الإسلام . فأعز الله بهم الإسلام وأعزهم به وجعلهم قادة سادة
أئمة يهتدى بهم ويهدون إلى الخير وحقق الله فيهم وعده ونصره قال تعالى : ﴿ وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون
بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولينصرن الله من
ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر والله علقبة الأمور ﴾ (١)

أما بعد : فلما كانت أحوال البشر لا تستقيم ولا تصلح إلا بوجود دعاة ومصلحين
يقومون ما اعوج من الأخلاق ويصلحون ما فسد من العبادي والمثل ، وكان لابد لهؤلاء الدعاة
من منهج واضح ومسلك بين يسرون عليه ويقفون هديه ، وكان هذا المنهج موجودا إجمالا
في قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (٢)
رغبت في أن يكون لي الشرف ببيان هذا المنهج ودراسته دراسة تبرزه بصورة واضحة جلية
مستلها إياه من كتاب الله تعالى ومن سيرة إمام الدعاة وخاتم الأنبياء والمرسلين الذي أكمل
الله به الدين وأتم به النعمة وأنزل عليه الذكر ليبين للناس ما نزل إليهم محمد بن عبد الله
صلوات الله وسلامه عليه ليكون هذا المنهج منهجا لي في حياتي العملية وليكون نبراسا ومنارا
للدعاة إلى الله يضيء لهم الطريق في دعوتهم إلى الله ويجعلهم يدعون إلى الله على بصيرة .
وهناك أسباب أخرى دعنتني إلى الكتابة في هذا الموضوع - غير ما ذكرت - منها :-

(٢) الحج آية ٤٠ - ٤١

(١) النور آية ٥٥

(٣) النحل آية ١٢٥

- ١ - انه لما كان أحب عباد الله الى الله عز وجل أنفعهم لعباده ، كان على كل عبد أن يجعل بغية قصده و غاية مراده تعميم النفع لعباد الله بقدر اجتهاده ، كل حسب ما آتاه الله من علم وأعطاه ، تقربا الى مولاه والتماسا لرضاه . ومن ثم كان دأب العلماء العاملين تدوين ما عندهم من العلوم ليعم النفع ويخلد وليتقرب به الى الله . واني على قصر علمي وضعف موهبتي حاولت على حسب طاقتي وقد استطاعتني أن أقتنى أثر أولئك الأعلام عسى ولعل أن أنال مثل ما نالوه من الأجر ونفع الأنام .
- ٢ - ما عليه بعض دعاة الاسلام اليوم من الشدة والقسوة في أسلوب دعوتهم وتعاملهم مع الآخرين والذي كان نتيجة التنفير والابعاد وخسارة الدعوة يدل الترغيب والكسب . فأرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في بيان المراد وايضاح المقصود وابرار منبهج الدعوة ابرارا غدا معه أكثر وضوحا وأوسع بيانا .

منهجي في الرسالة :

وقد سلكت في رسالتي هذه المنهج التالي :-

- ١ - أذكر قبل كل موضوع من مواضيع الرسالة مقدمة تبين أهميته وفائدته ثم أعرض للنماذج عليه من الكتاب والسنة .
- ٢ - الاشارة الى مواضع الآيات القرآنية من سورها في كتاب الله العزيز بذكر اسم السورة ورقم الآية وراعيته في كتابتها الرسم العثماني .
- ٣ - الرجوع في بيان معنى الآيات ووجه الدلالة منها الى كتب التفسير المعتبرة .
- ٤ - عزو الأحاديث الشريفة الى مصادرها الأصلية من الصحاح والسنن واللسانيد ، واذا كان الحديث موجودا في الصحيحين أو أحدهما فاني اكتفي بعزوه اليهما .
- وإذا كان الحديث في غير الصحيحين فاني أحكم عليه بعدد راسه رواه .
- ٥ - الرجوع في بيان معنى الأحاديث ووجه الدلالة الى كتب شروح الحديث المعتمدة .
- ٦ - تخريج الأمثال والأشعار من مصادرها الأصلية والتعريف بالبلدان والأماكن .

٧ - جرى بيان غريب الألفاظ وإيضاحها من الكتب المعتمدة .

٨ - وضعت ملحقا للرسالة أوردت فيه الأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة وقد تناولت

في الترجمة بيان ما يلي :-

أ : نسبه وتاريخ ولادته ووفاته إن أمكن .

ب : شهرته العلمية .

ج : أهم آثاره وكتبه المؤلفة .

د : الإشارة إلى بعض كتب من ترجم له .

٩ - رتبت المراجع والمصادر التي استخدمتها في البحث ترتيبا هجائيا باسم الكتاب

مراعيا ما يلي :-

١ : اعتماد الاسم الأول من الكتاب .

ب : اغفال أداة التعريف (أل) من الترتيب إلا إذا كانت جزءا من الاسم يصعب

إغفاله .

١٠ - قمت بوضع الفهارس العلمية ورتبتها على النحو التالي :-

أ : فهرس الآيات القرآنية .

ب : فهرس الأحاديث النبوية .

ج : فهرس الآثار .

د : فهرس الأمثال .

هـ : فهرس الأشعار .

و : فهرس الأماكن والبلدان .

ر : فهرس المفردات اللغوية .

ز : فهرس المصادر والمراجع .

س : فهرس الموضوعات .

الفصل الأول : في التعريف بمفهوم الجدل ومشروعيته .

الفصل الثاني : في ذكر خصائص الجدل القرآني والنبوي . وذكر بعض آداب

المجادل .

الفصل الثالث : في بيان مواطن الجدل مع ذكر النماذج وضرب الأمثلة عليها

من الكتاب والسنة .

خاتمة : وفيها ذكر المميزات والنتائج التي توصل إليها البحث .

وختاماً أرجو أن ينفع الله بيحى هذا المتواضع وأن يجزئني عليه أفضل الجزاء

إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ وَأَسْأَلُهُ عِزَّ وَجَلَّ بِأَنَّ لَهُ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ

بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَنْ يَجْعَلَ عَلَيَّ هَذَا كُلَّهُ خَالِصاً لَوَجْهِهِ

الكَرِيمِ وَابْتِغَاءً لِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْجِزَاءِ الْعَظِيمِ

(١)

﴿ رَسَالًا لَا تَأْخُذُنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ ﴿١﴾ ﴿رَسَالًا لَا تَزِفُّ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا

مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٢﴾ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ

أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَسَى عَلَيَّ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ وَمَنْ

عَذَابِكَ أَسْتَجِيرُ أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ وَلَا تَكُنْ لِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَطَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ

وَعَمَلِي مِنَ الرِّيَاءِ وَلِسَانِي مِنَ الْكُذْبِ وَعَيْنِي مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي

الْصُّدُورَ .

هذا وأرجو من أساتذتي المناقشين وإخواني المستمعين العذراء إن كان في البحث

خلل أو تقصير . فتلك هي طبيعة البشر وتلك هي سنة الله والكمال المطلق لله . وأرجو

ممن اطلع عليه من الإخوان التشبيه إلى ما فيها من قصور والدعاء بالتسديد للصواب وباللهم

أعتضد فيما أعتد وهو حسبي ونعم الوكيل وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وصلى

الله وسلم وبارك على نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم

الدين .

هذا وقد قسمت الرسالة إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة •

أما المقدمة فقد تضمنت التنويه بأهمية الموضوع والباحث لى على اختياره

وعن منهجى فى الرسالة •

وأما التمهيد فقد قسمته إلى ثلاثة مباحث •

المبحث الأول : فى التعرف بالدعوة فى اللغة واستعمالات القرآن وعن مفهومها

وأهم خصائصها وحكم تبليغها •

المبحث الثانى : فى التعرف بالداعية وبيان فضله وأهم صفاته الأساسية •

المبحث الثالث : فى التعرف بالمدعوين واصنافهم •

وأما الباب الأول من الرسالة فقد قسمته إلى فصلين :-

الفصل الأول : فى التعرف بالحكمة فى اللغة واستعمالات القرآن • وبيان

المراد بها فى موضوع الرسالة •

الفصل الثانى : فى بيان مواطن الحكمة مع ذكر النماذج وضرب الأمثلة عليها من

الكتاب والسنة •

وأما الباب الثانى من الرسالة فقد قسمته إلى فصلين أيضا :-

الفصل الأول : التعرف بالموعظة الحسنة فى اللغة واستعمالات القرآن • وبيان

المراد بها فى موضوع الرسالة •

الفصل الثانى : فى بيان مواطن الموعظة الحسنة مع ذكر النماذج وضرب الأمثلة

عليها من الكتاب والسنة •

وأما الباب الثالث من الرسالة فقد جعلته فى ثلاثة فصول :-

التمهيد

ويتضمن المباحث التالية :-

في الدعوة

المبحث الأول

في الداعية

المبحث الثاني

في المدعوين وأصنافهم

المبحث الثالث

المبحث الأول في الدعوة ويشتمل على ما يلي

١- تعريف الدعوة في اللغة واستخدامات القرآن

٢- مستلزمات الدعوة

٣- خصائص الدعوة

٤- حكم تبليغها ونشرها

تعريف الدعوة :-

أولا : في اللغة :

الدعوة مصدر دعا يدعو دعوة ودعاءً . وقد دعا فهو داع والجمع دعاة .

وقد وردت هذه الكلمة في لغة العرب لعدة معان :-

(١)

١ - الدعوة إلى الطعام والشراب .

٢ - الدعوة بالكسر في النسب . يقال فلان دعى بين الدعوة والدعوى فسى

(٢)

النسب .

(٣) قال ابن منظور : (والدعوة بكسر الدال ادعاء الولد الدعى غير أبيه) .

٣ - الدعاة بمعنى الحاجة .

قال الشاعر :

(٤)

أداعيك ما مستحبات مع السرى

(٥)

حسان وما آثارها بحسان

(١) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت : ٣٧٠ هـ) ١٢١/٣ .

ط . دار المصرية للتأليف والترجمة ، مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن

فارس ابن زكريا (ت : ٣٩٥ هـ) ٢٧٩/٢ . ط ١٣٦٦ . دار إحياء الكتب

العربية ، الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت : ٣٩٣ هـ) ٣٣٧٦ .

ط ٢ ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م . دار العلم للملايين - بيروت .

(٢) جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري المعروف بابن دريد

(ت : ٣٢١) . ٢٨٣/٢ . ط . مؤسسة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة

، الصحاح للجوهري ٢٣٣٦/٦ .

(٣) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرنجي المصري

(ت : ٧١١) . ٢٦١/١٤ . ط . دار إحياء للطباعة والنشر - بيروت .

١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

(٤) أي السيوف .

(٥) الصحاح للجوهري ١٣٣٧/٦ ، لسان العرب لابن منظور ٢٦٢/١٤

٤ - الاستغاثة والطلب • كقولك للرجل : إذا لقيت العدو خالنيا فادع المسلمين •
(١)

أى : استغثت بالمسلمين •

٥ - المتأداه • قال ابن منظور • (ودعا الرجل دعواؤه : ناداه • والاسم

الدعوة • ودعوت فلانا : أى صحت به واستدعيتته) •
(٢)

قال عنتره :

يدعون عنتره والرماح كأنهما

أشطان يثر فى لبان الأدهم •
(٣)

معناه يقولون : يا عنتره فدلنا يدعون عليها وأشطان : جبال • ولبان : موضع
اللبن • والأدهم : الفرس

٦ - دعاه إلى الأمير : ساقه •

ومنه قول ذى الرمة :

تدعوانفه الرئيب •
(٤)

٧ - التسمية • قال ابن منظور : (دعوته بزيد ودعوتها إياه : سميت به) •
(٥)

٨ - الجعل • قال الشاعر :

الأرب من تدعو نصيحا وإن تغيب

تجد • بنغيب غير منتصح الصدر •

(١) تهذيب اللغة للأزهري ١١٩/٣ • لسان العرب لابن منظور ٢٥٧/١٤ •

(٢) الصحاح للجوهري ٢٣٣٧/٦ • لسان العرب لابن منظور ٢٥٨/١٤ •

(٣) لسان العرب لابن منظور ٢٥٨/١٤ • شرح ديوان عنتره بتحقيق وشرح عبد

المنعم عبد الرؤوف شلبي ص ١٥٣ • طبع شركة فن الطباعة

بشبرا بالقاهرة •

(٤) لسان العرب لابن منظور ٢٥٩/١٤ •

(٥) لسان العرب لابن منظور ٢٦١/١٤ •

(٦) المرجع نفسه ٢٦١/١٤ •

٩ - الدعوة : الحلف • يقال دعوة بني فلان في بني فلان (١)

ثانيا : في استعمالات القرآن :-

١ - الطلب والاستفائة • نحو قوله تعالى : ﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله
إن كنتم صدقين ﴾ (٢)

وقوله تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة
أغير الله تدعون إن كنتم صدقين بل إياه تدعون ﴾ (٣)

٢ - العبادة • نحو قوله تعالى : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد
أمثالكم ﴾ (٤)

وقوله تعالى : ﴿ ولا تدع مع الله شيئا آخر ﴾ (٥)

٣ - القول • نحو قوله تعالى : ﴿ فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا ﴾ (٦)

وقوله تعالى : ﴿ دعواهم فيها سبحنك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر
دعواهم أن الحمد لله رب العظيم ﴾ (٧)

٤ - النداء •

قوله تعالى : ﴿ يوم يدع الداع إلى شيء فكري ﴾ (٨)

٥ - السؤال • نحو قوله تعالى : ﴿ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ﴾ (٩)

(١) تهذيب اللغة للزهري ١٢١/٣ ، لسان العرب لابن منظور ٢٦٢/١٤

(٢) البقرة آية ﴿٢٣﴾

(٣) الأنعام آية ﴿٤٠﴾ - ﴿٤١﴾

(٤) الأعراف آية ﴿١٩٤﴾

(٥) القصص آية ﴿٨٨﴾

(٦) الأعراف آية ﴿٥٥﴾

(٧) يونس آية ﴿١٠﴾

(٨) القمر آية ﴿١٠﴾

(٩) القمر آية ﴿٦﴾

(١٠) البقرة آية ﴿٦٨﴾

- وقوله تعالى : ﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا
يوما من العذاب ﴾ (١)
- ٦ - الجعل . نحو قوله تعالى : ﴿ ان دعوا للرحمن ولدا ﴾ (٢)
- ٧ - النسبه . نحو قوله تعالى : ﴿ ادعوهم لأبائهم هو اقسط عند الله ﴾ (٣)
- ٨ - من الدعوة إلى الشيء بمعنى الحث على قصد . نحو قوله تعالى :
﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (٤)
- وقوله تعالى : ﴿ قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ﴾ (٥)
- ٩ - التسمية . نحو قوله تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا ﴾ (٦)
- ١٠ - الرفعة . نحو قوله تعالى : ﴿ لا جرم أتعا تدعونني إليه ليس له دعوة في
الدنيا ولا في الآخرة ﴾ (٧)
- ١١ - المعرض . نحو قوله تعالى : ﴿ ويلقوم مالي أدعوكم إلى النجاة ﴾ (٨)
- اعرضها عليكم .
- ١٢ - العذاب . نحو قوله تعالى : ﴿ تدعو من ادبر وتولي ﴾ (٩) . أي تعذب .

-
- (١) ظفر آية ٤٦٨ .
(٢) مريم آية ٤٩١ .
(٣) الاحزاب آية ٤٥ .
(٤) النحل آية ٤١٢٥ .
(٥) يوسف آية ٤٣٣ .
(٦) النور آية ٤٦٣ .
(٧) ظفر آية ٤٤٣ .
(٨) ظفر آية ٤٤١ .
(٩) المعارج آية ٤١٧ .

مستلزمات الدعوة : إن الدعوة إلى الله تستلزم ما يلي :-

١ - الدعوة إلى الاسلام بأركانها الخمسة :-

- أ - النطق بالشهادتين والاقرار بها .
- ب - إقامة الصلاة بالمحافظة عليها في أوقاتها وأدائها كما أوجبه الله .
- ج - إيتاء الزكاة ودفعها إلى مستحقيها .
- د - صوم رمضان .
- هـ - حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا .

٢ - الدعوة إلى الايمان بأركانه الستة :-

أ - الإيمان بالله . وذلك بإفراد بالوحدانية والألوهية والعبودية ، ونفى الشريك عنه والولد والصاحبة وأنه عز وجل فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو ولا رب غيره . وترك الإلحاد في أسمائه وصفاته ، ووصفه بكل صفات الكمال كما وصف هو نفسه في كتابه ووصفه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكيف ولا تحريف ولا تعطيل ولا تأويل ، وتنزيهه عن كل نقص وتبرئة ذاته من كل عيب ، والقيام بطاعته ، وامثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والحب في الله والبغض فيه ، وموالاته من أطاعه ومعاداته من عصاه ، وجهاد من كفر به ، واعتقاد أنه هو الواحد الأحد الفرد الصمد القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ، له ملك السموات والأرض وما بينهما ، يدبر الأمر ويصرفه بحكمته ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا يسأل عما يفعل . (١)

ب - الإيمان بالملائكة : بأنهم خلق من أشرف خلقه وعباد مكرمون من عباده ، خلقوا من نور . خلقهم الله لخدمته وتدبير أمره . فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون . ولهم وظائف عديدة يقومون بها : فمنهم من يسبح الله الليل والنهار لا يفتقر ، ومنهم من هو موكل بالموت وقبض الأرواح ، ومنهم من هو موكل بالنار ، ومنهم من هو موكل بالجنة ، ومنهم

(١) أنظر شرح النووي على مسلم كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة ٣٧/٢ ،

من هو موكل بالصور ، ومنهم من هو موكل بحفظ العباد ، ومنهم من هو
موكل بتسجيل أعمال العباد وإحصائها ، ومنهم من يستغفر للمؤمنين ،
ومنهم من هو موكل بإبلاغ الوحي إلى رسل الله من الإنس ، إلى غير ذلك
من وظائف . (١)

ج - الإيمان بالكتب : أي التي أنزلها الله على رسله كالزبور والتوراة والإنجيل
وصحف إبراهيم والقرآن . وأنها منزلة من عند الله ، الموجود منها
الآن عدا القرآن . محرف كما أخبر القرآن : ﴿ يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ (٢)
وأخبر أيضا أن القرآن قد هيمن على كل الكتب السابقة ، قال الله
تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق صدقا لما بين يديه من الكتب
ومهيمننا عليه ﴾ (٣)

والإيمان بالقرآن يعنى الإيمان بأنه كلام الله رب العالمين ، لا يشبهه
شئ من كلام البشر ولا يقدر على الإتيان بمثله أحد ، وتعظيمه وتلاوته
حق تلاوته ، وذب تأويل المنحرفين والغالين والعاطلين والطاعنين عنه ،
والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه وأمثاله ، والتسليم
لمتشابهه ، ونشر علومه . (٤)

د - الإيمان بالرسول : وذلك بالإيمان برسول الله أجمعين دون تفریق بينهم ،
لأن أصل رسالتهم واحد وأن من كفر بواحد منهم فقد كفر بهم أجمعين
: ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله ﴾ (٥)

والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، فلا
نبي بعده ، ولا دين غير دينه . ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل
منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (٦)

- (١) شرح النووي على مسلم كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة ٣٧/٢ ،
جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٧٣ - ٧٨ .
(٢) المائدة آية ﴿٤٤٨﴾ .
(٣) المائدة آية ﴿٤٤١﴾ .
(٤) شرح النووي على مسلم ٣٧/٢ ، جامع (٥) البقرة آية ﴿٢٨٥﴾ .
(٦) آل عمران آية ﴿٨٥﴾ ، العلوم والحكم لابن رجب ص ٧٣ - ٧٨ .

عنه وزجر ، ونصرة شريعته والذب عنها ، وإحياء سنته ونفى التهمة عنها ،
ومعاداة من عاداه وموالاة من وآله ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب
بآدابه ، وتقديم محبته على محبة الوالد والولد والناس أجمعين ، ومحبة
أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من
أصحابه بسب أو غيره .^(١)

هـ - الإيمان باليوم الآخر : أى بالبعث بعد الموت ، والقبر وعذابه ونعيمه ،
والحساب والجزاء ، والصراف والميزان ، والجنة والنار . وأن الله
يجازى المؤمن المحسن بالجنة والكافر الفاجر بالنار .^(٢)

و - الإيمان بالقدر خيره وشره : وذلك بالإيمان بأن كل شيء يحدث فسي
هذا الكون هو بقضاء وقدر وكتاب من الله سبق : ﴿ ما أصاب من مصيبة في
الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله
يسير ﴾^(٣) . وأن ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن
ليصيبه ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد
كتبه الله لعوان اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه
الله عليه ، وأن كل شيء خلقه الله بقدر ، وأن الله قد كتب أرزاق العباد
وآجالهم وأعمالهم : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾^(٤) .^(٥)

والمراد بالإيمان في كل ذلك هو التصديق الجازم المقرون بالتسليم
والخضوع والقبول والاذعان وعدم التأيي .

٣ - الدعوة إلى الإحسان :

وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

(١) ، (٢) شرح النووي على مسلم كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة

٣٧/١ ، جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٣٧ - ٧٨ .

(٣) الحديد آية ٢٢٣ ، (٤) الفرقان آية ٢٣ .

(٥) شرح النووي على مسلم ٣٧/٢ ، جامع العلوم والحكم ص ٣٧ - ٧٨ .

خصائص الدعوة :-

١ - ربانية الدعوة :

ان أهم خصيصة تتفرد بها الدعوة الاسلامية عن غيرها هي هذه
الخصيصة وهي كونها من عند الله . كما قال تعالى : ﴿ انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ وانه لتنزيل رب العلمين
نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾^(٢)
وقال تعالى : ﴿ انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ﴾^(٣) فالله هو الذي
أنزله وهو الذي تكفل بحفظه من التخيير والتبديل وقد اكسبته هذه الخاصية
عدة مميزات :-

١ - أنه المنهج الحق البين الجلي الذي لا مربة ولا شك فيه . قال

تعالى : ﴿ يأتياها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا
خير لكم ﴾^(٤) وقال تعالى : ﴿ والذى أنزل إليك من ربك الحق ﴾^(٥)

وقال تعالى : ﴿ أفمن يعلم انما أنزل إليك من ربك الحق كمن
هو أعمى انما يتذكر أولوا الألباب ﴾^(٦)

قال ابن كثير : (أى قد جاءكم محمد صلوات الله وسلامه عليه

بالهدى ودين الحق والبيان الشافى من الله عز وجل ، فآمنوا بما

جاءكم به واتبعوه يكن خيرا لكم)^(٧)

(١) الحجر آية (٩) .

(٢) الشعراء آية (١٩٢ - ١٩٥) .

(٣) الإنسان آية (٢٣) .

(٤) النساء آية (١٧٠) .

(٥) الرعد آية (١) .

(٦) الرعد آية (١٩) .

(٧) تفسير ابن كثير لابن كثير (ت : ٧٧٤) ١/٥٨٩ مطبعة مكتبة دار التراث

٢ - أنه المنهج المحكم المفصل الذي بلغ في التفصيل غاية وفي الإيضاح
نهايته قال تعالى : ﴿ كتب أحكم آياته ثم فصلت من
(١)
لدى حكيم خبير ﴾ . وقال تعالى : ﴿ كتب فصلت آياته قرآنا
(٢)
عربيا لقوم يعلمون ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وكذلك نفصل الآيات
(٣)
ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ولقد جئناهم
(٤)
بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ .

٣ - وأنه يرهان ونور وموعظة وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين .
يشفي أمراضهم ويعالج قلوبهم ويحيى صدورهم ويحقق لهم الحياة الطيبة .
قال تعالى : ﴿ يأتيناها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم
(٥)
نورا مبينا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي
به الله من اتبع رضوانه سبيل السلم ويخرجهم من الظلمات إلى النور
(٦)
بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ . قال ابن كثير : (أي ينجيهم
من المهالك ، ويوضح لهم آيين السالك ، فيصرف عنهم المحذور ،
ويحصل لهم أحب الأمور ، وينفي عنهم الضلالة ويرشد هم إلى أقوم
(٧)
حالة) . وقال تعالى : ﴿ يأتيناها الناس قد جاءكم موعظة من
(٨)
ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ . أي هو زاجر
عن الفواحش ، وشفاء لما في الصدور من القلق والشبه والشكوك ، وإزالة
ما فيها من رجس ونس ونفاق وشرك وزيف وميل . وبه تحصل

-
- (١) هود آية ﴿١٦﴾ .
(٢) فصلت آية ﴿٣٦﴾ .
(٣) الأنعام آية ﴿٥٥﴾ .
(٤) الأعراف آية ﴿٥٢﴾ .
(٥) النساء آية ﴿١٢٤﴾ .
(٦) المائدة آية ﴿١٥ - ١٦﴾ .
(٧) تفسير ابن كثير لابن كثير ٣٤/٢ .
(٨) يونس آية ﴿٥٢﴾ .

الهداية والرحمة لتستقيم الحياة وتصلح الأمور .

(١) كما قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحنا من أمرنا ﴾ .

٢ - شمول الدعوة :-

إن الدعوة الإسلامية دعوة شاملة لشؤون ونواحي الحياة . ففسى كل أمر من أمور الانسان ، وكل حال من احواله وعلاقاته ، يجسد ما ينشده ويستغيه دون كلفة ولا مشقة . إن المنهج الاسلامي قد جمع أصول الهداية والتوجيه الرباني في العقائد والآداب والأخلاق ، كما جمع أصول التشريع الالهي في العبادات والمعاملات ، ونظّم شؤون الفرد والأسرة والمجتمع والدولة . فهو منهج متكامل شامل يشمل جميع جوانب وشؤون الحياة من عقيدة وعبادة ، وسياسة وقيادة ، واقتصاد وإدارة ، ومعاملة وأخلاق ، وتربية وفكر ، ونظم حـرب ومعاهدات ، . . . الخ .

(٢)

قال تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ .

والمراد من الكتاب في هذه الآية - كما قرره كثير من المفسرين - هو القرآن لأن السياق يقتضيه . فإنه قد ذكر فيه جميع ما يحتاج إليه من أمر الدنيا والدين . بل وغير ذلك إما مفصلاً وإما مجملاً . قال الشافعي : (فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها) .^(٤)

-
- (١) الشورى آية ﴿٥٢﴾ .
(٢) الانعام آية ﴿٢٨﴾ .
(٣) البحر المحيط لابي حيان (ت : ٧٥٤) . ١٢٠/٤ ط . ١٣٢٨ هـ
مطبعة السعادة ، روح المعاني للألوسي (ت : ١٢٧٠) . ١٤٤/٧ ط .
ادارة الطباعة المنيرية . هـ
(٤) الرسالة للامام الشافعي (ت : ٢٠٤) ص ٢٠ . بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر . ط . ١٣٥٨ هـ - ١٩٤٠ م . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه .

وقال تعالى أيضا : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبييها لكل شيء وهدى
ورحمة وشرى للمسلمين ﴾ (١)

قال ابن كثير : (قال ابن مسعود : قد بين لنا في القرآن كل علم
وكل شيء * وقال مجاهد : كل حلال وكل حرام * وقول ابن مسعود أعم
وأشمل فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما
سأتى وكل حلال وحرام وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودنياهم
ومعاشهم ومعادهم) (٢)

وقال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ (٣) أي
يهدي الناس كلهم لفرقة منهم إلى الطريقة والملة التي هي أقوم الطرق
وأوضحها وأسدّها وأصلحها .

قال سيد قطب : (هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما
يهديهم * فيشمل الهدى أقواما وأجيا لا بلا حد ود من زمان أو مكان أو
يشمل ما يهدى إليهم كل منهج وكل طريق وكل خير يهدي إليه البشر
في كل زمان ومكان * يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور ،
بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض ، والتي تطلق
الروح من أثقال الوهم والخرافة ، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل
والبناء ، وترتبط بين نوايس الكون الطبيعية ونوايس الفطرة البشرية فسي
تناسق واتساق ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان
وباطنه ، وبين مشاعره وسلوكه ، وبين عقيدته وعمله ، فإذا هي كلها مشدودة

(١) النحل آية ١٠٩

(٢) تفسير ابن كثير لابن كثير ٥٨٢ / ٢

(٣) الإسراء آية ٩٦

إلى العروة الوثقى التى لا تنضم ، متطلعة إلى أعلى وهى مستقرة على الأرض ، وإذا الحمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله ولو كان هذا العمل متاعا واستمتاع بالحياة .

ويهدى للتى هى أقوم فى عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة فلا تشق التكاليف على النفس حتى تملى وتياس من الوفاء ، ولا تسهل وترخص حتى تشيع فى النفس الرخاوة والاستهتار ، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال .

ويهدى للتى هى أقوم فى علاقات الناس بعضهم ببعض : أفراد أو أزواجا وحكومات وشعوبا ، ودولا وأجناسا ، ويقم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التى لا تتأثر بالرأى والهوى ، ولا تميل مع المودة والشأن ، ولا تصرفها المصالح والأغراض . الأسس التى أقامها العليم الخبير بخلقه وهو أعلم بمن خلق وأعرف بما يصلح لهم فى كل أرض وفى كل جيل . فيهدى بهم للتى هى أقوم فى نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولى اللائق بعالم الانسان .

ويهدى للتى هى أقوم فى تبنى الديانات الساوية جميعها والربط بينها كلها ، وتعظيم مقدساتها وصيانة حرمتها فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها الساوية فى سلام ووثام (١) .

٣ - واقعية الدعوة وصلاحيته للاستمرار :-

إن الله عز وجل هو خالق النفوس والعالم بخباياها وأسرارها . يعلم ما تحتاج إليه وما لا تحتاج ، وما يوافقها وما لا يوافقها ، وما يتلاءم مع

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب ٤/٢٢١٥ .

فطرتها وطبيعتها وما لا يتلامم . ويعلم دقائق شئونها وغوامض مصالحها . كما قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ . ولذا فقد وضع لها منهاجاً متميزاً بالواقعية والملائمة للظاهرة البشرية . قال تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ وقال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ .^(١)

قال ابن كثير : (أي ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشئ يشق عليكم) . وقال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودونه أو ينصرانه أو يمجسانه " .^(٣)

ذكر ابن حجر عن الطيبي قوله : والمراد تمكن الناس من الهدى في أصل الجيلة والتهيؤ لقبول الدين فلو ترك المرء عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها لأن حسن هذا الدين ثابت في النفوس .^(٤)

(١) ق آية ﴿١٦﴾ .

(٢) الملوك آية ﴿١٤﴾ .

(٣) البقرة آية ﴿١٨٥﴾ .

(٤) البقرة آية ﴿٢٨٦﴾ .

(٥) الحج آية ﴿٧٨﴾ .

(٦) تفسير ابن كثير ٢٣٦/٣ .

(٧) السورم آية ﴿٣٠﴾ .

(٨) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين ٢٤٦/٣ .
صحيح مسلم بشرح النووي كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ٢٧/١٦ - ٢٠٨ .

(٩) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢) ٢٤٩/٣ ط دار الفكر .

وهذا المنهج صالح للتطبيق في كل زمان ومكان ومع جميع المستويات فردية
وجماعية لأنه تنزيل الحكيم العليم العالم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم
الدين • قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (١) ولا يقبل الله
دينا غيره : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) وهو الدين الذي كتب الله له البقاء والغلبة والانتشار والظهور
على كل الأديان قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٣) وقال تعالى ممثنا على عباده
بإكمال الدين واتمامه لهم فلا يحتاجون إلى زيادة فيه أو نقص منه أو دين غيره
: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٤)

قال ابن كثير : (هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى
لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه
عليه) (٥)

ولقد أورد الطبري ها هنا سؤالاً وأجاب عليه قال : (فإن قال قائل : أو ما
كان الله راضياً بالإسلام لعباده إلا يوم أنزل هذه الآية ؟ قيل : لم يزل الله
راضياً بخلق الإسلام دينا ولكنه جل ثناؤه لم يزل يصرف نبيه محمداً صلى الله
عليه وسلم وأصحابه في درجات الإسلام ومراتبه درجة بعد درجة ومرتبة بعد مرتبة ،
وحالاً بعد حال حتى أكمل لهم شرائعه ومعامله وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه
ثم قال حين أنزل عليهم هذه الآية ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ ﴾ بالصيغة التي هو بها
اليوم والحال التي أنتم عليها اليوم منه ﴿ دِينًا ﴾ فالزموه ولا تفارقوه (٦)

(١) آل عمران آية (١١٩)

(٢) آل عمران آية (٨٥)

(٣) الصف آية (٩٠)

(٤) المائدة آية (٣)

(٥) تفسير ابن كثير لابن كثير ١٢/٢

(٦) جامع البيان في تفسير آي القرآن (ت : ٣١٠ هـ) للطبري ٥٢٣/٩ بتحقيق محمد

وحقاً إن الإسلام هو المنهج الأوحـد الملائم لاحتياجات الفطرة والتنسيق بسـين
متطلبات الإنسان الجسدية والروحية فجميع أحكامه تتسم بالواقعية والمرونة وامكانية
تطبيقها في كل عصر ومكان • قال سيد قطب : (فالمنهج الإلهي - كما يبدو
في ظلال القرآن - موضوع ليعمل في كل بيئة وفي كل مرحلة من مراحل النشأة
الإنسانية وفي كل حالة من حالات النفس البشرية الواحدة وهو موضوع لهذا
الإنسان الذي يعيش في هذه الأرض آخذ في الاعتبار نظرة هذا الإنسان وطاقاته
واستعداداته وقوته وضعفه وحالاته المتغيرة التي تعتره)^(١)

٤ - عالمية الدعوة :-

إن الدعوة المحمدية هي دعوة عامة لجميع البشر عربهم وعجمهم يهودهم
ونصرانيهم ومجوسهم فهي رحمة للعالمين وهداية للناس أجمعين • وقد نوهت
الآيات القرآنية بعالمية الدعوة منذ فجر الدعوة حيث أعلن عن عالمية الدعوة صريحاً
في السور المكية - والدعوة لا تزال محاصرة مطاردة في مكة - في مثل قوله
تعالى : (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون
إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين)^(٢) وفي مثل قوله تعالى : ﴿ وما هو
يقول شيطان رجيم فاين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾^(٣) ليس لكم وحدكم
يا معشر قريش بل هو ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون •

وقد أمر الله تعالى رسوله أن يعلم الناس كلهم أنه رسول الله إليهم جميعاً
^(٤)
: ﴿ قل يأتئها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً ﴾ • وهذا خطاب كما قال
^(٥)
ابن كثير: (للأحمر والأسود والعرب والعجمي) •

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب : المقدمة ص ١٣ • ط دار الشروق

• ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م

(٢) القلم آية ٥١ - ٥٢ • (٣) التكويد آية ٢٥٥ - ٢٧٧

(٤) الأعراف آية ١٥٨ • (٥) تفسير ابن كثير : ٢٥٤/٢

(١)

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

(٢)

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ .

(٣)

وقال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ .

وروى البخارى عن ابي الدرداء رضى الله عنه قال : (كانت بين ابي بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما محاورة فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضبا فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه من وجهه . فأقبل أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال أبو الدرداء - ونحن عنده - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما صاحبكم هذا فقد ظم . قال : وتدم عمر على ما كان منه فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقص على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر . قال أبو الدرداء : وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل أبو بكر يقول : " والله يا رسول الله لانا كنت أظلم " . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هل أنتم تاركو لى صاحبي ؟ هل أنتم تاركو لى صاحبي ؟ إني قلت : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا فقلتم : كذبت وقال أبو بكر : صدقت " . وقال صلى الله عليه وسلم : " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، كان كل نبي يعث إلى قومه خاصة وعثت إلى كل أحر وأسود ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض طيبة طهورا وسجدا فأيا رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة " . وفى رواية

(١) الأنبياء آية ﴿ ١٠٧ ﴾ .

(٢) سبأ آية ﴿ ٢٨ ﴾ .

(٣) الفرقان آية ﴿ ١ ﴾ .

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التفسير باب (قل يا أيها الناس إني

رسول الله إليكم جميعا) الآية ٣٠٣/٨ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٤٣/٥ .

: " فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الخنازم
وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلي الخلق كافة وختم بي النبيون " (١)

وان هذه الميزة والخصيصة قد تفردت بها الدعوات المحمدية عن دعوات الرسل
السابقين حيث كان كل رسول يبعث إلى قومه خاصة دون غيرهم يبلغهم ويخوفهم
وينذرهم ويبعث الرسول صلى الله عليه وسلم بعثة عامة إلى جميع البشر وكان هو خاتم
الأنبياء والمرسلين .

(٢)

• فقال تعالى عن نوح : ﴿ لقد أرسلنا نوحا إلى قومه ﴾ (٣)

• وقال عن هود : ﴿ وإلى عاد أخاهم هودا ﴾ (٤)

• وقال عن صالح : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا ﴾ (٥)

• وقال عن لوط : ﴿ ولوطا إذ قال لقومه ﴾ (٦)

• وقال عن شعيب : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا ﴾

وقال عن موسى : ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآيتنا أن أخرج قومك من الظلمت إلى

(٧)

النور ﴾

(٨)

وقال تعالى عن محمد : ﴿ قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ﴾

(٩)

وقال : ﴿ وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٥/٥

(٢) الأعراف آية ٥٩٥

(٣) الأعراف آية ٦٥٥

(٤) الأعراف آية ٧٣٥

(٥) الأعراف آية ٨٠٥

(٦) الأعراف آية ٨٥٥

(٧) إبراهيم آية ٥٥

(٨) الأعراف آية ١٥٨

(٩) سبأ آية ٢٨

حكم تبليغ الدعوة ونشرها :-

إن الله عز وجل قد كلفنا وقد بنا إلى القيام بواجب تبليغ الدعوة ونشرها حسب
الاستطاعة وقد ر الجهد والطاقة . وقد تضافرت الأدلة من الآيات القرآنية الكريمة
والأحاديث النبوية الشريفة على الأمر بذلك .

١ - فمن الآيات القرآنية ما يلي :-

١ - قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ

فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ٥ ^(١)

٢ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحِيْنا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكَ بِهِ وَمَنْ يَلْبِغْ ٥ ^(٢)

٣ - وقوله تعالى : ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجلد لهم

بالتى هى أحسن ٥ ^(٣)

٤ - وقوله تعالى : ﴿ وادع إلى ربك ٥ ^(٤)

فهذه الآيات فيها أمر صريح جازم من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم
بتبليغ ما أنزل إليه من ربه ودعوة الناس أجمعين إليه . وأنه لا عذر له فى
التقصير : ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ٥

وهذا الأمر وإن كان للرسول صلى الله عليه وسلم - فهو أمر لأمته - من

بعده وخاصة العلماء منهم لأن العلماء ورثة الأنبياء يبلغون عنهم ولأن حق

الله على من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى ما دعا إليه كما

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْنِي ٥ ^(٥)

(٢) الأنعام آية ١١٩ ٥

(٤) الحج آية ٦٧ ٥

(١) العائدة آية ٦٧ ٥

(٣) النحل آية ١٢٥ ٥

(٥) يوسف آية ١٠٨ ٥

قال القرطبي : (وهذا تأديب للنبي صلى الله عليه وسلم وتأديب لحطمة العلم من أمته ألا يكتموا شيئاً من أمر شريعته)^(١)

وقال ابن كثير : (وكل من أتبعه يدعوا إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي)^(٢)

٥ - وقوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾^(٣)

فآية تأمر المؤمنين بأن تكون منهم أمة وظيفتها الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وأخبرت أن هؤلاء هم المفلحون لا غيرهم . قال ابن كثير : (والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجبا على كل فرد بحصيه ، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد برضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " وفي رواية : " وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " .^(٤)

٦ - وقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾^(٥)

-
- (١) جامع أحكام القرآن للقرطبي (ت : ٦٧١ هـ) ٢٤٢ / ٦ ط ٢ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .
- (٢) تفسير ابن كثير لابن كثير ٤٩٦ / ٢ .
- (٣) آل عمران آية ط ٤١٠٤ .
- (٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٢ / ٢ - ٢٥ .
- (٥) المرجع نفسه ٢٧ / ٢ .
- (٦) تفسير ابن كثير لابن كثير ٣٩٠ / ١ .
- (٧) آل عمران آية ط ١١٠٥ .

فقد أبان هذا النص الكريم أن هذه الأمة هي خير أمة أخرجت للناس وإنما نالوا هذه الخيرية لأنهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله . قال الغزالي : (وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس)^(١) فدل هذا على أنهم إذا لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فإنه يزول عنهم هذا الوصف بالخيرية ويلحقهم الذم وقد يكون ذلك سببا في هلاكهم كما قال تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ .^(٢)

٧ - وقوله تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ . فقد نوهت الآية بشأن المؤمنين وأن بعضهم أولياء بعض وأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون أمر الله ورسوله . وأخبرت أن هؤلاء الذين تحققت فيهم هذه الصفات سيرحمهم الله . قال القرطبي : (فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين فدل على أن أخص أوصاف المؤمن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورأسها الدعاء إلى الإسلام) . فدل ذلك على أن من هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية .

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (ت : ٥٠٥) ٦ / ٧ وسهامه مخبر الحافظ العراقي ط ٢ ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م دار الفكر .
(٢) الأنفال آية ٥٢٥ .
(٣) التوبة آية ٤٧١ .
(٤) جامع أحكام القرآن للقرطبي ٤ / ٤٧ .

٨ - وقوله تعالى : ﴿ وترى كثيرا منهم يسرعون فى الإثم والعدوان وأكلهم

السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهئهم الربئيون

والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا

(١)

يصنعون ﴿

ففى الآية توبيخ شديد لعلماء اليهود بسبب تركهم الأمر بالمعروف والنهى

عن المنكر قال الطبرى : (وكان العلماء يقولون : ما فى القرآن آية أشد

(٢)

توبيخا للعلماء من هذه الآية ولا أخوف عليهم منها) .

٩ - وقوله تعالى : ((لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى

ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون

(٣)

عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴿

فقد أبانت هذه الآية أن بنى إسرائيل استحقوا اللعنة والطردهن رحمة الله

بسبب تركهم النهى عن المنكر وهذا غاية فى التشديد والوعيد إذ عسطل

استحقاقهم اللعن والطردهن من رحمة الله بتركهم النهى عن المنكر .

قال الزمخشرى منددا بمسلمى عرضه حين تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن

المنكر : (فيا حسرة على المسلمين فى إعراضهم عن باب التناهى عن المناكير

وقلة عيبتهم به كأنه ليس من ملة الاسلام فى شىء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه

(٤)

من العيالات فى هذا الباب) .

١٠ - وقوله تعالى : ((وإذا قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم

عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون فلما نسوا

ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين

(١) المائدة آية ٦٢ - ٦٣ ﴿

(٢) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ٤٤٩/١٠ بتحقيق ط دار المعارف

(٣) المائدة آية ٧٨ - ٧٩ ﴿

(٤) الكشاف للزمخشرى (ت : ٥٣٨) ٦٣٦/١ - ٦٣٧ . ط دار المعرفة ببيروت

ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا

(١)

• فرقة خمسين •

فقد ابانت الآية ان بنى اسرائيل انقسموا الى ثلاث فرق : فرقة عصت الله

باصطيادها يوم السبت - وهو محرم عليهم الصيد فيه - وفرقة ثانية وعظمت

ونصحت وامرت بالمعروف ونهت عن المنكر وثالثة لم تأمر ولم تنه ولم تفعل المحممة

(٢)

• بل قالت للفرقة الثانية : ﴿ لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا ﴾

• فماذا كانت النهاية ؟

قال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن سوء وأخذنا

(٣)

• الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون •

٢ - ومن الأحاديث النبوية ما يلي :-

١ - قوله صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع

(٤)

فلسانه فإن لم يستطع فبقليه وذلك أضعف الايمان "

(٥)

وفى رواية : " وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل "

ففى هذا الحديث أمر من رسول الله لكل من رأى المنكر ان يغيره حسب

استطاعته باحدى وسائل ثلاث : بيده فإن لم يستطع فلسانه فإن لم يستطع

فبقليه واخبر ان هذه المرتبة الأخيرة هى أضعف مراتب الايمان وليس وراءها

• من الإيمان مثقال حبة خردل •

• (١) الأعراف آية ١٦٤ - ١٦٦ •

• (٢) الأعراف آية ١٦٤ •

• (٣) الأعراف آية ١٦٥ •

• (٤/٥) سبق تخريجهما انظر ص ١٩ •

قال النووي : (وأما قوله صلى الله عليه وسلم " فليغيره " فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة • وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة واجماع الأمة وهو أيضا من النصيحة التي هي الدين ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة ولا يعتد بخلافهم كما قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين لا يكتسرت بخلافهم في هذا فقد أجمع المسلمون عليه قيل أن ينبغي هو لا)^(١)

٢ - قوله صلى الله عليه وسلم : " بلغوا عني ولو آية " ^(٢)

٣ - وقوله صلى الله عليه وسلم : " فليبلغ الشاهد الغائب " • وللمسلم " ألا ليبلغ الشاهد الغائب " ^(٤)

ففي هذه الأحاديث أمر من الرسول صلى الله عليه وسلم لجميع أمته بالتبليغ عنه ولو شيئا يسيرا من شرعه وهديه • كل إنسان حسب علمه واستطاعته • ففيهما وجوب نشر الدعوة وتبليغها •

٤ - عن زينب بنت جحش زوج النبي قالت خرج رسول الله يومنا فزعنا محسرا يقول : " لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بأصبعية الإبهام والتي تليهما • فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم ، إذا كبر الخبيث " ^(٥)

(١) شرح النووي على مسلم للنووي (ت : ٦٢٦) ٢ / ٢ ط ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م • دار إحياء التراث العربي بيروت •

(٢) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بسني إسرائيل ٤٩٦ / ٦ •

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الحج باب الخطبة أيام منى ٥٢٤ / ٣ •

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب القسامه باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ١٦٩ / ١١ •

(٥) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الفتن باب قول النبي ويل للعرب من شر قد اقترب ١١ / ١٣ • صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفتن وأشرط الساعة ٢ / ١٨ - ٣ • واللفظ لمسلم •

قال ابن العربي : (فيه البيان بأن الخير يهلك بهلاك الشرير إذا لم
يغير عليه خبثه . وكذلك إذا غير عليه لكن حيث لا يجدى ذلك ، ويصر الشرير
على عمله السيئ ، ويفشو ذلك ويكثر حتى يعم الفساد فيهلك حينئذ القليل
والكثير ثم يحشر كل أحد على نيته) (١)

٥ - وقوله صلى الله عليه وسلم : " مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم
استهموا على سفينة . فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها . فكان الذين
في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم . فقالوا : لو أنا خرقنا
في نصيبنا خرقتنا ولم نؤذ من فوقنا . فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا . وإن
أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا " (٢)

ففي هذا الحديث تشبيه رائع لحال المجتمع وأهله مع أصحاب المعاصي
والمنكرات ، فإذا أخذ المجتمع على أيدي هؤلاء العصاة ومنعهم من الانسداد
حصلت النجاة للمجتمع جميعا ، وسلم أفراد من الأمراض . وإن تركوهم وما أرادوا
وقالوا : كل ذنبه على جنبه ، لم يكلفنا الله إلا أنفسنا هلك الجميع . العاصي
بارتكابه المعصية والساكت بالرضا عنها .

(٣)

قال ابن حجر : (وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف) .

٦ - عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

: وإن أول ما دخل النقي على بني إسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول :

يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٠٩/١٣

(٢) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الشركه باب هل يقرع في القصة؟
والاستهام فيه ١٣٢/٥

(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٢٩٦/٥

(١) (٢) (٣)

فلا يمنعه ذلك ان يكون أكيله وشريبه وقعيد ه ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب

بعضهم ببعض ه ثم قال : لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى
(٤)

ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ه الى قوله : ه فاسقون ه ثم قال : " كلا والله
(٥)

لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا
(٦)

ولتقصرنه على الحق قصرا او ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم "

٧ - وقوله صلى الله عليه وسلم : " نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه ه فـ ضرب

(٧)

حامل فقهه الى من هو افقه منه ه ورب حامل فقهه ليس بفقيهه "

(١) الأكيل : الذى يصاحبك فى الأكل • فعيل بمعنى مفاعل • النهاية فى غريب الحديث

والأثر لابن الأثير (ت : ٦٠٦ هـ) • ٥٨/١ •

(٢) الشريب : الذى يصاحبك فى الشرب • فعيل بمعنى مفاعل • النهاية فى غريب الحديث

والأثر لابن الأثير ٥٨/١ •

(٣) القعيد : الذى يصاحبك فى قعودك • فعيل بمعنى مفاعل • النهاية فى غريب الحديث

والأثر لابن الأثير ١٨٦/٤ •

(٤) المائة آية هـ ٧٨ - ٨١ •

(٥) أى تعطفوه عليه • النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٥٣/١ • ط ٢ • دار الفكر

- بيروت • ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م •

(٦) سنن أبى داود لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت : ٢٧٥ هـ) كتاب

الملاحم باب الأمر والنهى ١٢١/٤ - ١٢٢ • ط • دار الفكر هـ سنن الترمذى بتحفة

الأحوذى كتاب التفسير باب ومن سورة المائة ٤١٢/٨ - ٤١٤ • ط ٣ • دار الفكر -

بيروت • ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م • سنن ابن ماجه لأبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى

(ت : ٢٧٥ هـ) • كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ١٣٢٧/٢ - ١٣٢٨ •

ط • دار احياء التراث العربى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م • والحديث فيه أبو عبيدة بن عبد الله

ابن مسعود وهو ثقة لم يسمع من أبيه على الراجح فيكون إسناد ه ضعيفا لكنه يرتفع بكثرة طرقه

الى درجة الحسن لغيره • سنن أبى داود كتاب العلم باب فضل نشر العلم ٣٢٢/٣ • سنن الترمذى بتحفة
(٧)

الأحوذى كتاب العلم باب فى الحث على تبليغ السماع ٤١٦/٧ • سنن ابن

ماجه المقسمة باب من بلغ علما ٨٤/١ - ٨٥ • وقد ورد عن أربعة وعشرين صحابيا

وقد عد ه العلماء من المتواتر • انظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتانى ص ٢٥ •

والحديث إسناد ه صحيح لأن رجاله ثقات وسنده متصل •

٨ - وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم

الله بعقابه "

-
- (١) سنن ابن ماجه كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٣٢٧/٢ .
والحديث إسناداه صحيح لأن رجاله ثقات وسنده متصل .

واليك قول بعض أهل العلم في بيان أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :-

١ - قال النووي : (ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ، إذا قام به بعض

الناس سقط الحرج عن الباقين ، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر

ولا خوف . ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو ، أو لا يتمكن

(١)

من إزالته إلا هو) .

إلى أن قال : (وأعلم أن هذا الباب أعنى باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد

ضيق أكثره من أزمان متطاولة ، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً .

وهو باب عظيم ، به قوام الأمر وملاكه . وإذا كثرت الخبث عم العقاب الصالح والطالح .

وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أو شك أن يعصم الله تعالى بعقابه . فليحذر الذين

يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم . فينبغي لطالب الآخرة

والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتنى بهذا الباب ، فإن نفعه عظيم ، لاسيما

وقد ذهب معظمه . ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته . فإن الله

(٢)

تعالى قال : ﴿ ولينصرن الله من ينصروه ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدي

(٤)

(٣)

إلى صراط مستقيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾

وقال تعالى : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين

(٥)

من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ .

(١) شرح النووي على مسلم ٢٣/٢ .

(٢) الحج آية ٥ (٤٠) .

(٣) آل عمران آية ٥ (١٠١) .

(٤) العنكبوت آية ٥ (٦٩) .

(٥) العنكبوت آية ٥ (٢ - ٣) .

واعلم أن الأجر على قدر النصب • ولا يتاركة أيضا لصداقته ومودته ومداهنته وطلبه
الوجهة عنده • وهوام المنزلة لديه • فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقا • ومن
حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته • وينقذه من مضارها • وصدق الإنسان
ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه • وعدوه من
يسعى في ذهاب أو نقص آخرته وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه • وإنما كان
إبليس عدوا لنا لهذا • وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء
للمؤمنين • لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها • ونسأل الله الكريم توفيقنا
وأحبائنا وسائر المسلمين لمرضاته • وأن يعمننا بجلوه ورحمته • والله أعلم (١)

٢ - قال ابن تيمية : (وهذا الواجب واجب على مجموع الأمة • وهو الذي يسميه العلماء
فرض كفاية • إذا قام به طائفة منهم سقط عن الباقيين • فالأمة كلها مخاطبة بفعل ذلك
ولكن إذا قامت به طائفة سقط عن الباقيين • قال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى
الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (٢) • فمجموع أمته تقوم
مقامه في الدعوة إلى الله) (٣)

وقال أيضا : (وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه
إذا لم يقم به غيره • فما قام به غيره سقط عنه • وما عجز عنه لم يطالب به • وأما ما لم
يقم به غيره وهو قادر عليه فعليه أن يقوم به) (٤)

-
- (١) شرح النووي على مسلم ٢٤/٢ •
(٢) آل عمران آية ﴿ ١٠٤ ﴾ •
(٣) الفتاوى لابن تيمية (ت : ٧٢٨ هـ) • ١٦٥/١٥ • ط • مكتبة المعارف - الرباط -

المغرب •

- (٤) الفتاوى لابن تيمية ١٦٦/١٥ •

٣ - وقال الغزالي : (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله ، لتخللت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجبال ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق وخرت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، وقد كان الذي خفنا أن يكون ، فإننا لله وإننا إليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانحرق بالكلية حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق ، وانحوت عنها مراقبة الخالق ، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم ، وعز على بساط الأرض مؤ من صسادق لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمن سعى في تلافى هذه الفترة ، وسد هذه الثلمة ، إما متكفلا بعبءها ، أو متقلدا لتنفيذها ، مجددا لهذه السنة الدائرة ناهضا بأعبائها ومتشعرا في إحيائها كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إمامتها ، مستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها) (١)

من هذا المنطلق ، وعلى هذا الأساس ، كان لابد من تليغ الدعوة ونشرها ، كل حسب استطاعته وقد رجهده وطاقته . وبهذا نضمن انتشار الحق وبقائه ، وخمسود

الباطل وزواله . إن شاء الله

البحث الثاني في الداعية

ويشتمل على ما يلي

- ١- الداعية وفضله
- ٢- صفات الداعية

الداعية وفنائه :-

الداعية هو من يدعو الناس إلى الخير ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويأخذ بأيديهم إلى السعادة في الدارين ، ويجنبهم أسباب الشقاء في الدارين ، والدعاة كما قال ابن تيمية : (يعلمون الحق ويرحمون الخلق)^(١) وهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء يهتدي بها في ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة . فهم مصدر خير وإشعاع بركة واطمئنان .

وقد جاءت الآيات البيّنات والأحاديث الواضحات تبينان فضل الداعية ، وترفعان من شأنه ومكانته . فمن الآيات القرآنية ما يلي :-

١ - قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾^(٢)

٢ - وقوله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾

٣ - وقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾

٤ - وقوله تعالى : ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ﴾^(٥)

فقد نوهت الآيات بشأن الدعاة وقدرهم فأبانت ما يلي :-

١ - أنهم هم المفلحون لا غيرهم في الدنيا والآخرة .

٢ - أنهم أنبياء الله في تبليغ الدعوة وإيصالها إلى الناس كافة ، فهم ورثة الأنبياء ، والوارث قائم مقام الموروث ، فله حكمه فيما قام مقامه فيه من جهة التبليغ .

٣ - أنهم خير خلق الله وأفضلهم عنده من زلة وأغلغلة

قدرا ولا يدانيهم أحد ففى ذلك ، قال الحسن البصرى

: (هذا جيب الله . هذا ولي الله ، هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل

الأرض إلى الله أجاب الله فى دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا

فى اجابته وقال اننى من المسلمين هذا خليفة الله)^(٦)

(١) الفتاوى لابن تيمية ١٦/٦٦ .

(٢) آل عمران آية ١٠٤ .

(٣) آل عمران آية ١١٠ .

(٤) يوسف آية ١٠٨ .

(٥) فصلت آية ٣٣ .

(٦) تفسير ابن كثير ١٠١/٤ .

* ومن الأحاديث النبوية ما يلي :-

- ١ - قوله صلى الله عليه وسلم : " من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا . ومن دعا الى ضلالة كان له من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا " .
(١)
- ٢ - قوله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه : فوالله لأن يهدى الله بك رجلا خيرا لك من أن يكون لك حمر النعم " .
(٢)
- ٣ - قوله صلى الله عليه وسلم : " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " .
(٣)
- ٤ - وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن ما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علما علمه ونشره ، وولدا صالحا تركه ، ومصحفا ورثه ، أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته " .
(٤)
- ٥ - وقوله صلى الله عليه وسلم : " وإنه ليستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض حتى الهيئات في الماء " .
(٥)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب القدر باب من سن سنة حسنة أو سيئة ٢٢٧/١٦

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب الجهاد باب فضل من أسلم على يديه رجل

١٤٤/٦

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته

٨٥/١١

(٤) سنن ابن ماجه المقدمة باب ثواب معلم الناس الخير ٨٨/١ - ٨٩

ذكره المنذرى في الترغيب والترهيب وقال رواه ابن ماجه وإسناده حسن . انظر الترغيب

والتهذيب للمنذرى ١٦٢/١ . وذكره الدمي في المتجر الرابع وقال عقبه رواه ابن

ماجه بإسناد حسن وابن خزيمة . انظر المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح للحافظ

شرف الدين الدمي (ت : ٧٠٥ هـ) ص ١٦ ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير

ورمز له بالحسن ووافقه المناوي . انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٥٤١/٢

(٥) سنن ابى داود كتاب العلم باب الحد على طلب العلم ٣٢٧/٣ ، سنن ابن ماجه المقدمة

ثواب معلم الناس الخير ٨٧/١ والحديث اسناده ضعيف لأن فيه داود جميل وكثير بن

قيس . لكنه يرتفع الى درجة الحسن لغيره لوجود شاهد له .

فقد نوهت هذه الأحاديث بفضل الدعاة وعظيم ثروتهم وجزيل أجرهم ورفعة
قد رهم وعلو منزلتهم وحسن صيتهم وذكرهم وبيان فضلهم على سائر الناس فأبانت
ما يلي :-

- ١ - لهم من الأجر مثل أجور من تبعهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً •
- ٢ - هدأيتهم لرجل واحد خير لهم من أنفس وأكرم أموالهم •
- ٣ - أجرد عوتهم موصول لهم حتى بعد مماتهم •
- ٤ - يطلب لهم من في السموات والأرض من ملائكة وأنس وجن وجبال وشجر
ودواب حتى الحيتان المغفرة لذنوبهم والصفح والعفو عن ذلتهم •

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر إنه على كل شيء

قدير وإجابة جدير •

صفات الداعية :-

من أهم الصفات التي ينبغي للداعية أن يتحلى بها • هي ما يلي :-

الصفة الأولى : الإخلاص :

الإخلاص هو أن يقصد المرء بعمله الذي كلف به وجه الله وايتغاء مرضاته
ومشورته • إذ كل عمل صالح لا يقصد به وجه الله وتحقيق مرضاته فهو مردود على
صاحبه • وسيعاقب عليه أشد العقاب • فالإخلاص أساس لقبول الأعمال •

وقد ورد في بيان ذلك نصوص كثيرة من الكتاب والسنة • فإما النصوص

الواردة في القرآن الكريم • فمنها ما يلي :- (١)

١ - قوله تعالى : ﴿ وادعوه مخلصين له الدين ﴾ (٢)

٢ - وقوله تعالى : ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ﴾ (٣)

٣ - وقوله تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ (٤)

٤ - وقوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه أحدا ﴾ (٤)

قال ابن كثير : (وهذان ركنا العمل المتقبل ، لا بد أن يكون خالصا

لله ، صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٥)

٥ - وقوله تعالى : ﴿ قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد

وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون ﴾ (٦)

٦ - وقوله تعالى : ﴿ هو الحي لا اله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين

الحد لله رب العالمين ﴾ (٧)

(١) الأعراف آية ﴿٢٩﴾

(٢) الزمراء آية ﴿١١﴾

(٣) البينة آية ﴿٥﴾

(٤) الكهف آية ﴿١١٠﴾

(٥) تفسير ابن كثير لابن كثير ١٠٨/٣

(٦) الأعراف آية ﴿٢٩﴾

(٧) طه آية ﴿٦٥﴾

٧ - وقوله تعالى : ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم

(١)

يراءون وينعمون الماعون ﴾

وأما النصوص الواردة في السنة النبوية المطهرة فمنها ما يلي :-

١ - قوله صلى الله عليه وسلم : **«رأينا الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى»** فمن

كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته لغير

(٢)

يصبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه . *

٢ - وقوله صلى الله عليه وسلم حينما جاءه أعرابي فقال : **«الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل**

لذكرى والرجل يقاتل ليرى مكانه . فمن في سبيل الله ؟» قال : من قاتل لتكون كلمة

(٣)

الله هي العليا فهو في سبيل الله . *

(٤)

قال النووي : (فيه بيان أن الأعمال إنما تحسب بالنيات الصالحات) . *

٣ - قوله صلى الله عليه وسلم : **«إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى**

(٥)

به وجهه . *

(١) الماعون آية (٤ - ٧) . *

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب يدو الوحي باب كيف كان يدو الوحي إلى

رسول الله ٨/١ . *

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله

هي العليا ٢٨/٦ . صحيح مسلم يشرح النووي كتاب الجهاد والسير باب

من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٤٩/١٣ . *

(٤) شرح النووي على مسلم ٤٩/١٣ . *

(٥) سنن الصائفي كتاب الجهاد باب من غزا يلتبس الأجر والذكر ٢٥/٦ . ط المكنية

العلمية بيروت لبنان . والحديث قال عنه ابن حجر : إسناده جيد . أنظر فتح

البارى ٢٨/٦ . وحسنه السيوطي في جامعه . أنظر فيض القدير شرح الجامع

الصغير للمناوي ٢٢٥/٢ . *

٤ - قوله صلى الله عليه وسلم : **زبان اول الناس يقضى يوم القيامة عليه** . رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : **فما عملت فيها** ؟ قال : **قاتلت فيك حتى استشهدت** . قال : **كذبت** . ولكنك قاتلت لأن يقال جرى . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : **فما عملت فيها** ؟ قال **تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن** . قال : **كذبت** . ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : **فما عملت فيها** ؟ قال : **ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك** . قال : **كذبت** . ولكنك فعلت ليقال هو جواد . ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار .^(١)

٥ - قوله صلى الله عليه وسلم : **وربينما ثلاثة نفر يمشون ، أخذهم المطر ، فأووا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم** . فقال بعضهم لبعض : **" انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم** . فقال أحدهم : **اللهم إنه كان لى والدان شيخان كبيران وامراتى ولى صببة صفار أرى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالسدى فسقيتهما قبل بنى** . وأنه نأى بى ذات يوم الشجر فلم آت حتى أسيت فوجدتهما قد ناما ، فحلبت كما كنت أحلب فحجرت بالحلاب ، فقامت عند رؤوسهما أكبره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقى الصبية قبلهما ، والصبية يتضاغون عند قدمى فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء^(٢)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجهاد والسير باب من قاتل للربا والسمعة استحق

النار ١٣ / ٥٠ - ٥١ .

(٢) أى يصيحون ويسكون . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٩٢ / ٣ .

(٣) أى عادتى وعادتهم أو شانى وشأنهم . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٩٥ / ٢ .

وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء ففرج الله منها فرجة فأروا منها
السماء .

وقال الآخر: اللهم انه كانت لى ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال
النساء ، وظلمت اليها نفسها فأبى حتى آتيتها بمائة دينار ، فتعبت حتى
جمعت مائة دينار ، فحجتها بها ، فلما وقعت بين رجلها . قالت: يا عبد الله
اتق الله ولا تفتح الخاتم الا بحقه ، ففقت عنها . فان كنت تعلم انسى
فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ، ففرج لهم . وقال الآخر
: اللهم انى كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز . فلما قضى عمله . قال : اعطني
حقى ، فعرضت عليه فرقه فرغب عنه ، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعاءها
فجاءنى فقال : اتق الله ولا تظلمنى حقى . قلت : اذهب الى تلك البقر ورعاءها
فخذها . فقال : اتق الله ولا تستهزئ بى . فقلت : انى لا أستهزئ بك خذ
ذلك البقر ورعاءها فأخذها فذهب به . فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء
وجهك فافرج لنا ما بقى . ففرج الله ما بقى .^(١)
^(٢)

فاذا قام الدعاة بتحقيق الأمر بالاخلاص فى أقوالهم وأعمالهم ، وابتغوا بها وجه
الله وثوابه ومرضاته ، فانهم سيجنون من وراء ذلك ثمرات طيبة مباركة تعود عليهم
وعلى الأفراد الذين يربونهم ويوجهونهم وينصحونهم بالخير الكثير والنفع العيم .
فما أخرج الدعاة الى الاخلاص ، وما أحراهم أن يتحلوا به ويجعلوه شعارا
لهم فى جميع أقوالهم وأعمالهم ، وحركاتهم وسكناتهم ، وعند غضبهم ورضاهم ، عند
شدتهم وغلظهم . حتى يلقوا ربهم وقد فازوا بأحدى الحسنين : « من المؤمنين

(١) الفرق هو انا ، أخذ ستة عشر رطلا ، وفيه لغتان تحريك الراء وهو النصيح
وتسكينها . الفائق فى غريب الحديث للزمخشري ٢٦٤/٢ ط ٦٦٠ هـ - ٤٧٠ م .
(٢) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب البيوع باب اذا اشترى شيئا لغيره بغير
اذنه فرض ٤/٤٠٨ - ٤٠٩ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الرقاق باب
أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح العمل ١٧/٥٥ - ٥٧ . واللفظ لمسلم .

(١)

رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً.

الصفة الثانية : التقوى :-

التقوى هي أن تجعل بينك وبين عذاب الموقاة وحاجزاً بامتثال الأوامر وأداء الطاعات واجتناب النواهي والبعد عن المعاصي ، وهي زاد الدعاة الأصيل ، ومعينهم السني لا ينضب ، ومدد هم الذي لا ينقطع ، وحارسهم الذي لا يغفل ولا ينام . تقيهم الزلزل والانحراف ، وتحرسهم من الرياء والعجب والغرور ، وتمنعهم من الجور والظلم . ذلك أنها تجعل المؤمن يعمل بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله ويترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله . وقد ورد في الأمر بها نصوص كثيرة من الكتاب والسنة .

فأما النصوص الواردة في القرآن الكريم فمنها ما يلي :-

(٢)

١ - قوله تعالى : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يأبى الألباب ﴾ .

٢ - وقوله تعالى : ﴿ يتأبىها الذين آمنوا اتقوا الله حتى تقاته ولا تموتن إلا وأنتم

(٣)

مسلمون ﴾ .

٣ - وقوله تعالى : ﴿ يتأبىها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم

(٤)

سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

٤ - وقوله تعالى : ﴿ يتأبىها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم

(٥)

أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ .

(١) الأحزاب آية (٢٤) .

(٢) البقرة آية (١٩٧) .

(٣) آل عمران آية (١٠٢) .

(٤) الأنفال آية (٢٩) .

(٥) الأحزاب آية (٧٠ - ٧١) .

- (١)
- ٥ - وقوله تعالى : ﴿ قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم ﴾ .
- ٦ - وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغيره ﴾
(٢)
- واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون .
- والآيات في الأمور بها كثيرة ويكفي أنها وصية الله للأولين والآخرين . قال
(٣)
- تعالى : ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ .
- وأما النصوص الواردة في السنة النبوية المطهرة فمنها ما يلي :-

- (٤)
- ١ - قوله صلى الله عليه وسلم حينما سئل: من أكرم الناس؟ قال أعتاهم .
(٥)
- ٢ - وقوله صلى الله عليه وسلم : " اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم " .
- ٣ - وقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها
فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل
(٦)
- كانت في النساء " .

وإن الدعاة إذا حققوا مخافة الله وتقواه في قلوبهم حصلت لهم بركات وخيرات وشعرات
كثيرة منها :-

- (٧)
- ١ - محبة الله . قال تعالى : ﴿ فإن الله يحب المتقين ﴾ .
- (٨)
- ٢ - معية الله . قال تعالى : ﴿ واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ .

-
- (١) الزمراية ﴿١٠﴾ (٢) الحشراية ﴿١٨﴾
- (٣) النساء آية ﴿١٣١﴾
- (٤) صحيح البخارى يفتح البارى كتاب المناقب باب قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس
إنا خلقناكم من ذكروا نثى ﴾ . ٥٢٥/٦ .
- (٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الهبة باب الاشهاد في الهبة ٢١١/٥
- (٦) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الرقاق باب بيان الفتنة بالنساء ٥٥/١٧ .
- (٧) آل عمران آية ﴿٧٦﴾ .
- (٨) البقرة آية ﴿١٩٤﴾ .

(١)

وقال تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ . أي معهم بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة والمعونة والهداية وهذه هي المعية الخاصة أما المعية العامة في السمع والبصر والعلم كقوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ .
(٢)

٣ - أنهم يحظون برضا الله وحنانه :

قال تعالى : ﴿ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خلاد ين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾ .
(٣)

٤ - الأمن من الخوف والحزن :-

قال تعالى : ﴿ فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .
(٤)

٥ - تكفير السيئات :-

قال تعالى : ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكوننا عنهم سيئاتهم ﴾ .
(٥)

ولأد خلنهم جنات النعيم ﴾ .

٦ - فتح البركات من السماء والأرض :-

قال تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء ﴾ .
(٦)

والأرض ﴾ .

(١) النحل آية (١٢٨) .

(٢) الحديد آية (٤٤) .

(٣) آل عمران آية (١٥) .

(٤) الأعراف آية (٣٥) .

(٥) المائدة آية (٦٥) .

(٦) الأعراف آية (٩٦) .

وقال تعالى : ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ﴾
(١)

• لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴿

٧ - حصول الفرقان لصاحبها :-

قال تعالى : ﴿ يتأبىها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم ﴾
(٢)

• سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴿

والفرقان هو الفصل بين الحق والباطل • قال ابن كثير : (من اتقى الله

بفعل أو أمره وترك زواجه وفق لمعرفة الحق من الباطل فكان ذلك سبب نصره

ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة وتكفير ذنوبه وهو محوها •
(٣)

• وغفرها : سترها عن الناس وسببا لنيل ثواب الله الجزيل ﴿

٨ - التفريج من كل هم وضيق والنجاة من كل كرب في الدنيا والآخرة • وتيسير الأمور

وإصلاحها :-

(٤)

• قال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾

(٥)

• وقال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ﴾

وقال تعالى : ﴿ يتأبىها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم

(٦)

• أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ﴾

٩- أنهم هم الفائزون لا غيرهم • قال تعالى : ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقاه
(٧)

• فأولئك هم الفائزون ﴾

(١) المائدة آية ٦٦ •

(٢) الأنفال آية ٢٩ •

(٣) تفسير ابن كثير لابن كثير ٣٠٢/٢ •

(٤) الطلاق آية ٢٥ •

(٥) الطلاق آية ٤٥ •

(٦) النور آية ٥٢ •

(٧) الأحزاب آية ٧٠ - ٧١ •

١٠ - أنهم هم أولياء الله :

قال تعالى : ﴿ إلا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا

(١)

• وكانوا يتقون ﴾

قال ابن كثير : ﴿ يخبر تعالى أن أولياءهم هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما

(٢)

فسرهم بهم فكل من كان تقيا كان لله وليا ﴾ • وسينالون الفلاح والرحمة

ويوفقون لشكر الله وستكون العاقبة لهم •

١١ - أنهم هم المفلحون :

قال تعالى : ﴿ يأتئها الذين آمنوا صبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله

(٣)

• لعلمكم تفلحون ﴾

١٢ - تفضل الله عليهم برحمته :

قال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون

(٤)

• الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾

١٣ - تحقيق شكر الله :

(٥)

قال تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله بيد رؤسكم إذ لمة فأتقوا الله لعلمكم تشكرون ﴾ •

١٤ - حسن العاقبة في الدنيا والآخرة :

قال تعالى : ﴿ قال موسى لقومه استمعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها

(٦)

• من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾

(١) يونس آية ﴿ ٦٢ - ٦٣ ﴾ •

(٢) تفسير ابن كثير لابن كثير ٤٢٢/٢ •

(٣) آل عمران آية ﴿ ٢٠٠ ﴾ •

(٤) الأعراف آية ﴿ ١٥٦ ﴾ •

(٥) آل عمران آية ﴿ ١٢٣ ﴾ •

(٦) الأعراف آية ﴿ ١٢٨ ﴾ •

(١)

وقال تعالى : ﴿ فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك

(٢)

والعاقبة للتقوى ﴾ .

قال ابن كثير (أى وحسن العاقبة فى الدنيا والآخرة وهى الجنة لمن اتقى

(٣)

الله) .

١٥ - قبول العمل .

(٤)

قال تعالى : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ .

فليحرص الداعى على تقوى الله فى كل همسة وفى كل حركة وفى كل سر وعلانية وفى

جميع أقوالهم وأعمالهم ليؤتى عملهم ثماره طيبة بإذن الله .

الصفة الثالثة : العلم :

إن العلم هو سلاح الداعية فى دعوته للآخرين وكيف يستطيع الداعية

الدعوة إلى الله بدون هذا السلاح ؟ إن فاقده العسى لا يعطيه والذى لا يملك

النصاب كيف يزكى . لذا وجب على الداعية لزاما أن يحوص على طلب العلم والتزود منه

لا سيما وقد جاء الحض عليه فى الكتاب والسنة .

فمن التصوص القرآنية ما يلى :-

(٥)

١ - قوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ . (٦)

٢ - وقوله تعالى : ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ .

(١) هود آية ٤٩ .

(٢) طه آية ١٣٢ .

(٣) تفسير ابن كثير لابن كثير ١٧١/٣ .

(٤) المائدة آية ٢٧ .

(٥) فاطر آية ٢٨ .

(٦) الزمر آية ٤٩ .

(١)

٣ - وقوله تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾

بل إن أول خمس آيات تنزل على المصطفى صلى الله عليه وسلم فيها تنويه

بشأن القراءة وأهميتها قال تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلقت

(٢)

الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾

(٣)

• وكذلك قوله تعالى : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾

ومن النصوص النبوية ما يلي :-

(٤)

١ - قوله صلى الله عليه وسلم : " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين " •

٢ - قوله صلى الله عليه وسلم : " ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به

(٥)

طريقا إلى الجنة " •

٣ - قوله صلى الله عليه وسلم : " إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما

يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء وفضل

(٦)

العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب " •

وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه وهو يبين فضل العلم وثممراته ومزاياه

: (تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه

(١) المجادلة آية ﴿ ١١ ﴾ •

(٢) العلق آية ﴿ ١ - ٥ ﴾ •

(٣) القلم آية ﴿ ١ ﴾ •

(٤) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (١/١٦٤)

• صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة ١٢٨/٧ •

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع

على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢١/١٧ •

(٦) سنن أبي داود كتاب العلم باب الحث على طلب العلم ٣١٧/٣ • والحديث

جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قرينة لأنه معالم الحلال والحرام
ومنا سبيل أهل الجنة وهو الأئمة في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في
الخلوة والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والزين عند الأخلاء
يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتصر آثارهم ، ويقتهى بأفعالهم
(١)
ويتنهي إلى رأيهم .

فليحرص الدعاة على العلم وليكثروا من الاتصال بكتاب ربهم وسنة رسوله صلى
الله عليه وسلم وسيرة أصحابه من بعده وسيرة السلف الصالح من هذه الأمة ، وليقرأوا
بعد ذلك كتباً في العقيدة والفقه والدعوة وكتباً في الثقافة العامة والعلوم الأرضية
حتى يردوا على شبه الحاقدين والمعرضين ، وينبغي أن يكون هذا العلم مستقى
من موارد الصافية ومحروماً من الأباطيل والمفترقات ومصفى من البدع والخرافات .

(١) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد البر النعماني القرطبي (ت ٤٦٣)
ص ٦٦ ط دار الكتب المصرية الحديثة - قلت : وهذا القول مروى بإسناد
مرفوعة ضعيفة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وليس فيها إسناد قوى ، وروى من
طرق صحيحة موقوفة على معاذ بن جبل وهو الصحيح والله اعلم .

٤ — الشعور بالمسؤولية :-

إن الدعاة هم ورثة الأنبياء ، ولا رتبة أعلى من رتبة النبوة ، ولا درجة أعظم من درجة الوارثين لهذه المرتبة وعلى قدر المنزلة تكون المسؤولية والمحاسبية .

والداعية متى ما استشعر مسؤوليته وواجهه المنوط به نحو عباد الله والأمانة التي تحملها لهدايتهم وإرشادهم كان ذلك دافعا له للقيام بواجبه وأداء رسالته ، أما إذا لم يستشعر مسؤوليته وواجهه فإنه لن يتحرك ويعمل كما ينبغي وكما هو مطلوب منه .

لذا وجب على القائمين بأمر الدعوة أن يربوا هذه الصفة في الدعاء لينطلق الدعاء برغبة وهمة وإخلاص وتضحية وتفان . وإن القرآن والسنة ليركزان الانتباه على مسؤولية الإنسان نحو ما أودعه الله إياه وكلفه وألزمه به .

فمن الآيات القرآنية :-

- ١ - قوله تعالى : ﴿ فلنستئذن الذين أرسل إليهم ولنستئذن المرسلين ﴾ (١)
- ٢ - قوله تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ﴾ (٢)
- ٣ - وقوله تعالى : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ (٣)
- ٤ - وقوله تعالى : ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ (٤)

(١) الأعراف آية ٥ (٦٦) .

(٢) الإسراء آية ٥ (٣٦) .

(٣) الحجر آية ٥ (٩٢ - ٩٣) .

(٤) الصافات آية ٥ (٢٤) .

(١)

٥ - وقوله تعالى : ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ .

٦ - وقوله تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين

أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنس إن كان

ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين

والمشركت ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله

(٢)

غفورا رحيفا ﴾ .

ومن السنة :-

١ - قوله صلى الله عليه وسلم : " كلكم راع و مسؤل عن رعيته فالإمام راع وهو

مسؤل عن رعيته والمرجل في أهله راع وهو مسؤل عن رعيته والمرأة في بيت

زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتهما والخادم في مال سيده راع وهو مسؤل

عن رعيته " . قال ابن عمر فسمعت هؤلاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأحسب النبي صلى الله عليه وسلم قال : " والمرجل في مال أبيه راع وهو مسؤل

(٣)

عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته " .

(٤)

٢ - وقوله صلى الله عليه وسلم : " وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم " .

٣ - وقوله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما : " والذي نفسي بيد

لستألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا

(١) التكاثر آية (٨) . (٢) الأحزاب آية (٧٢ - ٧٣) .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الاستقراض باب العبد راع في مال سيده

ولا يعمل إلا بأذنه ٦٩/٥ . صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإمارة باب فضيلة

الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق ٢١٣/١٢ .

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الأصاحي باب من قال الأضحى يوم

النحر ٨/١٠ . صحيح مسلم بشرح النووي كتاب القسامة باب تغليظ تحريم

الدماء والأعراض والأموال ١٦٩/١١ .

(١)

حتى أصابكم هذا النعيم * .

٥ - الثبَات :-

إن الثبَات على الاستمرار في الدعوة من ألزم صفات الداعية * فالداعية مطالب بالثبَات على دعوته وتحمل كل شيء في سبيلها حتى يبرهن للأخريين أن ما يدعوا إليه هو الحق الذي يجب أن يتَّبَع .

ويكفي الدعاة قدوة في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام الذين ضربوا أروع الأمثلة في الثبَات على الحق والاستمرار عليه .

فأما عن ثبَات رسول الله صلى الله عليه وسلم فإليك ما رواه ابن هشام حيث ذكر أن قريشاً جاءت إلى عم الرسول صلى الله عليه وسلم يرجونه أن يكف محمداً عن أذاهم وسب آلهم وعيب أحلامهم * فلان أبو طالب لكلامهم وكلم الرسول في ذلك * فردَّ عليه صلى الله عليه وسلم بقولته المشهورة التي غدت مضرب المثل في الثبَات على الحق والاستمرار عليه مهما كانت المصاعب والمشاق : " والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته * " (٢)

وأما عن صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين فقد كانت حياتهم مليئة بالجهاد ضد الباطل * والصمود في وجه الطغيان والثبَات على الإيمان والاستمرار على الحق كصعب بن عمير وبلال بن رباح وخباب بن الأرت وآل ياسر وخالد بن سعيد بن العاص وحبيب بن زيد * وغيرهم كثير * ممن ضربوا أروع الأمثلة

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الأشربة * باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يشق برضاه ٢١٤/١٣ .

(٢) سيرة ابن هشام لابن هشام (ت : ٢١٣ - ٢١٨) القسم الأول ٢٦٦/١ وهذا الحديث بهذا اللفظ ليس له إسناد صحيح بل هو ضعيف معضل وإنما هو مشهور في كتب السيرة * والثابت قوله صلى الله عليه وسلم : ما أنا باقدر على أن ادع لكم ذلك على أن تشعلوا لي منها شعلة * يعني الشمس * انظر تاريخ ابن عساکر ٣٦٣/١١ * وإسناد ابن عساکر صحيح لأن رجال السنن رجال مسلم وفي بونس بن بکیر وطلحة بن حبی کلام لا یضیر .

في الثبات على الحق والاستمرار عليه حتى قضوا نحبهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه
وما بدلوا تبديلا .

٦ - الغيرة والغضب إذا انتهكت محارم الله :-

إن الغيرة لمحارم الله والغضب لحدود الله إذا انتهكت منزلة شريفة
عالية القدر جليلة المكانة لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم من الاصطفاء والقرب
من الله الملك العلام ، وهي من أوجب الصفات التي تدل على محبة الله
العبد ومحبة العبد لله قال ابن القيم : (وغيرة العبد لربه نوعان أيضا :
غيرة من نفسه وغيرة من غيره . فالتى من نفسه أن لا يجعل شيئا من أعماله
وأقواله وأحواله وأوقاته وأنفاسه لغير ربه والتي من غيره أن يغضب لمحارمه
(١)
إذا انتهكها المنتهكون ولحقوقه إذا تهاون بها المتهاونون) .

والداعية إلى الله عز وجل أولى الناس بهذه الصفة ، فإنه إذا لم يكن
متحليا بهذا الخلق الحميد فإنه لا خير فيه . وهل هناك خير فيمن يسرى
محارم الله تنتهك ، وحدوده تضاع ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يرغب
عنها وهو يارد القلب ساكن الجوارح لا يغضب ولا يتمر وجهه لله ؟

قال هلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع
فيلسانه فإن لم يستطع فبقليه وذلك أضعف الإيمان " . وفى رواية : وليس وراء
ذلك من الإيمان حبة خردل " . وكان صلى الله عليه وسلم إذا رأى شيئا
يكرهه عرف الغضب فى وجهه وكان أشد حياء من العذراء فى خدرها وما
انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك محارم الله فيغضب وينتقم أشد الانتقام .

(١) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١) ٣ / ٤٤ تحقيق محمد حامد

اللقى دار الكتاب العربى بيروت .

(٢) سبق تخريجه أنظر ص ١٩

(٣) سبق تخريجه أنظر ص ١٩ .

٧ - الصبر :-

ان الداعية وهو يدعو الى الله لا بد وأن يلقي الأذى والاعراض والسخرية والاستهزاء من الناس . وذلك أن الناس قد تعودت طباعهم والفت عقولهم صنفا من العقائد الواهية والأخلاق الفاسدة ومن الصعب عليهم أن يتركوها الى غيرها . هذا بالإضافة الى أن عليّة القوم ورؤساءهم ومن لهم مصلحة في بقاء تلك العقائد الواهية والأخلاق الفاسدة سيرفضون ذلك بكل إصرار كما كان شأن الملأ في كل قوم بعث اليهم رسول من رسل الله . فما على الداعية الا أن يوطن نفسه على تحمل ما يلاقه من الأذى والاعراض والاستهزاء والسخرية فتلك هي سنة الله ليعتلى الصادق من الكاذب وتلك هي طبيعة الدعوة الى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولقد فهم لقمان هذه الحقيقة ووصى ابنه بها في وصيته المشهورة لولده : ﴿ يبنى أقم الصلوة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور ﴾ .^(١)

وقد جاء الأمر بالصبر في القرآن والسنة في مواضع كثيرة جدا .

فمن القرآن :-

(٢)

- ١ - قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ﴾ .
- ٢ - وقوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله

(٣)

لعلكم تفلحون ﴾ .

(١) لقمان آية ﴿١٧﴾ .

(٢) البقرة آية ﴿١٥٣﴾ .

(٣) آل عمران آية ﴿٢٠٠﴾ .

٣ - وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) .

٤ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

٥ - وقوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَاؤُا الْعِزْمِ مِنَ الرِّسَالِ ﴾ (٣) .

٦ - وقوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (٤) .

ومن السنة :-

(٥)

١ - قوله صلى الله عليه وسلم للأَنْصَار : " إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أَثْرَةً شَدِيدَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الْحَوْضِ " (٦) .

٢ - وقوله صلى الله عليه وسلم : " رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ " (٧) .

٣ - وقوله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مِنْ فَارِقِ الْجَمَاعَةِ شَبْرًا فَمَا تِلْكَ إِلَّا مَا تَمِيتُ جَاهِلِيَّةٌ " (٨) .

٤ - وقول أنس بن مالك رضى الله عنه للزبير بن عدى حين أتوه يشكون إليه ما يلقون من الحجاج (اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشرم منه حتى تلقوا ربكم . سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم) (٩) .

(١) البقرة آية ١٥٣ .

(٢) فصلت آية ٣٤ - ٣٥ .

(٣) الأحقاف آية ٣٥ .

(٤) المزمل آية ١٠ .

(٥) الاثرة : بفتح الهيمزة والثاء - من أثر يؤثر أثارا إذا أعطى ، أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفئ . والاستتار : الانفراد بالشئ . النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/٢٢ .

(٦) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي يعطى المؤلفه قلوبهم وغيرهم من الخمس ٦/٢٥١ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفه ومن يخاف على إيمانه إن لم يعط ٧/١٥١ .

(٧) المرجع نفسه البخارى : ٦/٢٥٢ وسلم ٧/١٥٨ .

(٨) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " سَتَرُونَ بَعْدِي أُمُورًا تَنْكُرُونَهَا " ١٣/٥ .

(٩) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الفتن باب لا يأتي زمان إلا الذى بعده أشرم منه ١٣/١٩ - ٢٠ .

- قال سيد قطب وهو يصف أنواع الصبر ويوصي الدعاة به (والصبر هو زاد الطريق في هذه الدعوة • إنه طريق طويل شاق حافل بالعقبات والأشواط مفروش بالدماء والأشلاء وبالأيذاء والابتلاء • الصبر على أشياء كثيرة :
- * الصبر على شهوات النفس ورغائبها وأطامعها ومطامعها وضعفها ونقصها وعجلتها وملالها من قريب ! •
- * والصبر على شهوات الناس ونقصهم وضعفهم وجهلهم وسوء تصورهم وانحراف طباعهم وأثرتهم وغرورهم والتوائهم واستعجالهم للثمار !
- * والصبر على تنفج الباطل ^(١) ووقاحة الطغيان وانتفاش الشر ^(٢) وغلبة الشهوة ^(٣) وتصعير الغرور والخيلاء !
- * والصبر على قلة الناصر • وضعف المعين • وطول الطريق • ووساوس الشيطان في ساعة الكرب والضيق !
- * والصبر على مرارة الجهاد لهذا كله • وما تشيره في النفس من انفعالات متنوعة من الألم والغليظ والحنق والضيق وضعف الثقة أحيانا في الخير وقلة الرجاء أحيانا في الفطرة البشرية والملل والسأم واليأس أحيانا والقنوط !
- * والصبر بعد ذلك كله على ضبط النفس في ساعة القدرة والانتصار والغلبة • واستقبال الرخاء في تواضع وشكر وبدون خيلاء • وبدون اندفاع إلى الانتقام •

١ تنفج : أي افتخر بأكبر ما عنده • القاموس المحيط للفيروز آبادي ١/٢١٨ •
٢ النفث: تشعبت الشئ بالأصابع حتى ينتشر • وكل منتبر رخو الجوف منتفش •
القاموس المحيط للفيروز آبادي ٢/٣٠٢ •
٣ صغر خده تصعيرا وصاعره وأصعره : آماله عن النظر إلى الناس تهاونا من كبر • القاموس المحيط للفيروز آبادي ١/٧١ •

وتجاوز القصاص الحق إلى الاعتداء إلبقاء في السراء والضراء على صلة بالله واستسلام

لقدرة ورد الأمر إليه كله في طمانينة وثقة وخشوع (١)

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ١/٥٥١ - ٥٥٢ •

المبحث الثالث

المدعوون وأصنافهم

المدعوون وأصنافهم :-

المدعو هو من توجه إليه الدعوة ، وهم عموم الناس ، لأن الرسالة المحمدية عامة لجميع البشر . كما قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾^(٢) .

وعلى هذا فيمكننا أن نصنف المدعوين إلى عدة أصناف :-

١ - أهل الكتاب :-

يتميز أهل الكتاب بأنهم قوم على مستوى من العلم والثقافة والحضارة . وأن عندهم كتابا من الله - وإن كانوا قد حرفوه كما أخبر القرآن - وأنهم قوم قد طال عليهم الأمد ففتت قلوبهم ، وفسق أكثرهم عن أمر ربهم . ودخلهم حب الدنيا ، وتعاملوا بالرشوة وأخذوا الربا وقد نهوا عنه كما قال تعالى : ﴿ فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِيعَاتٌ أُحِلَّت لِهِمْ وَصَدَّاهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذُوا مِنْهُمْ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلَمَهُمْ آيَاتُ النَّاسِ بِاللُّغَطِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾^(٣) .

فهو لا يدعون أول ما يدعون إلى أفراد العبودية لله وحده ، ونفسى الشريك عنه . كعزير عليه السلام عند اليهود وعيسى عليه السلام عند النصارى كما قال تعالى ﴿ آمَا رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾^(٤) .

(١) الاعراف آية (١٥٨) ﴿١٥٨﴾

(٢) النساء آية (١٦٠ - ١٦١) ﴿١٦١﴾

(٣) سبا آية (٢٨) ﴿٢٨﴾

(٤) آل عمران آية (٦٤) ﴿٦٤﴾

وقوله تعالى : ﴿ ولا تجندلوا أهل الكتب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا ءأمننا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن لله مسلمون ﴾ (١) . وقوله تعالى : ﴿ قل يئاهل الكتب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ﴾ (٢) . والمراد بالتوراة والإنجيل قبل تحريفهما .

وقد ارشد رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رض الله تعالى عنه حين بعثه إلى اليمن داعياً، وعلمه الطريقة المثلى لدعوة أهل الكتاب حيث قال له : " إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم . فإذا فعلوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم . فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس " . (٣)

وهكذا حتى يبلغون أحكام الإسلام وآدابه ، وحدوده وشرائعه . مع تكبيرهم بنعم الله عليهم ، وما خصهم به من الفضل . وأنه ينبغي أن يكون هذا دافعاً لهم لشكر الله والاقربار به وأنه واحد لا شريك له مع الإيمان بسحمد صلى الله عليه وسلم لا سيما وأن كتبهم كذلك قد بشرت به كما قال تعالى : ﴿ الذين آمنوا منهم (٤)

الكتب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة وبشيراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ (٥)

(١) العنكبوت آية (٤٦) . (٢) المائدة آية (٦٨) .

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الزكاة باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ٣/٣٢٢ . صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب الدعا .

إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/١٩٩ - ٢٠٠

(٤) البقرة آية (١٤٦) . (٥) الصف آية (٤٦) .

فإن لم يستجيبوا فيفضح أمرهم وأمر علمائهم ، وتذكر طباعهم السيئة وأخلاقهم
الذميمة وصفاتهم القبيحة ليحذرهم الناس مثل قوله تعالى فاضحا لهم : ﴿ ولتجدنهم
أحرص الناس على حياة ﴾ ^(١) وقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين
أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبدوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا
فبئس ما يشتررون ﴾ ^(٢) إلى غير ذلك من الآيات التي تفضح شأنهم وتبين طباعهم .
مع الرد على شبههم شبهة ليظهر كذبهم وزيفهم وضلالهم وإفكهم .

٢ - أهل الشرك :-

يتميز هؤلاء بأنهم قوم ليس عندهم كتاب من الله ، وأن عقائدهم عقائد موروثة
عن الآباء والاجداد ، قد استحكمت بها نفوسهم وأشبعتها قلوبهم - مع وهنها وزيفها
وضلالها - . فهم هؤلاء يعرفون بالله عز وجل عن طريق آياته في ملكوته وسماواته
وأرضه . وتوجه أنظارهم إلى السموات والأرض . ويؤمنون بتحرير عقولهم وفك
قيودها وإسارها ويحذرون من التقليد ، لتنتقل عقولهم فتعرف الحق وتهتدى
إليه . فإذا ما عرفوا الله وأيقنوا به صدقوا بوحديته ، عند ذلك توجه إليهم
شرائع الإسلام وآدابه وأخلاقه وأحكامه . مع الرد على شبههم ردا محكما بالحجة
اليقينية الدامغة والبرهان القوي الساطع والمنطق الفطري الواضح .

(١) البقرة آية ٥ (٩٦) .

(٢) آل عمران آية ٥ (١٨٢) .

٣ — المنافقون —

وهذا الصف لا يظهر إلا عندما تكون دولة الاسلام قوية مهابة الجانب .
ومن صفاتهم أنهم يظهرن خلاف ما يبطنون ، وأنهم لا يشبتون على حالة
واحدة . فهم مع المؤمنين إن انتصروا ، وعليهم إن هزموا وغلّبوا . فهـؤ لا
يوعظون ويخوفون ويذكرون وينصحون باللطف واللين والرفق . ويؤمرون بالرجوع
والانابة والتوبة والاستغفار . وتسال لهم الهداية من الله ويوكل أمر سرائرهم
اليه كما جهال تعالى : ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم
وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا ﴾ (١) فإن لم يرتد عوا ويكفوا أيد يهـم
والسنتهم عن المؤمنين فحيثئذ يستعمل معهم أسلوب التهديد والوعيد المصوب
بالقسوة والشدّة . ويعاقبون إن ازداد ضررهم . وتفضح صفاتهم وبعض أفعالهم ،
ليحدّ رهم المؤمنين ولعلمهم يرتدعون كما قال تعالى : ﴿ لكن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها
إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من
قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ (٢)

(١) النساء آية (٦٣) .

(٢) الأحزاب آية (٦٥) — (٦٢) .

٤ - المسلم الفاسق العاصي :-

فهذا يوعظ ويخوف ويذكر بالله ، وعقابه للعاصين وثوابه للطائعين ،
واقباله ورحمته لهم . وتورد عليه الأخبار والقصص الواردة في ذلك . وتذكر
له سيرة السلف الصالح من عباد الله المتقين ليعتبر ويتأسى بهم .

٥ - المتأثرون بالحركات الهدامة :

وهم الناس الضللون بإحدى التيارات والحركات الهدامة كالقاه يانية
والبهائية والعلمانية والشيوعية والرأسمالية وغيرها . فهؤلاء يبين لهم حقيقة
هذه الفرق الضالة والفرق بينها وبين الاسلام . ويرد على شبههم رداً محكماً
بالدليل والحجة والبرهان والسلطان . ويزاح ما غطى قلوبهم من الافك
والضلال ، وما غشى أبصارهم من الجهل والظلام ، ويعرفون بحقيقة اسلامهم
ومزاياه .

رسالة جلاله

الفصل الأول

الحكمة وبيان المراد منها

تعريف الحكمة :

أولا : في اللغة :

الحكمة مصدر حك يحكم حكما وحكمة • وقد وردت هذه الكلمة في لغة العرب لعدة معان :-
١ - الإصابة والاعتقان :

قال الأزهري : (الحكيم : المتقن للأمر • ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها هو حكيم • فهو فعيل بمعنى مفعول أي محكم)^(١)
قال النابغة الذبياني :-
(٢) (٣) (٤)

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام سراع وارد الشمد
ومعناه : كن حكيما كفتاة الحي • أي إذا قلت فأصب كما أصابت هذه المرأة •
إذ نظرت إلى الحمام فأحصتها ولم تخطئ عددها • ويد لك على أن معسني
احكم : كن حكيما • قول النمرين تولب :

(٥)
وابغض بغيضك بغضا رويدا إذا أنت حاولت أن تحكما

٢ - منع الرجل ورده عن المظلم والفساد :-

يقال : أحكمت الرجل عن كذا وكذا وأحكمته : إذا منعته منه •
قال الأصمعي : (قرأت في بعض الكتب للخلفاء الأول :) فاحكم بني فلان
عن كذا وكذا أي امنعهم • ومن هذا اشتقاق حكمة الدابة لأنها ترد الدابة عن

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٤/١١١ - ١١٢ ، الصحاح للجوهري ٥/١٩٠١ ، لسان

العرب لابن منظور ١٢/١٤٠ •

(٢) أي سريع من السرعة نقيض البطء • القاموس المحيط للفيروز أبادي ١/٢٨٠ ط • دار

الفكر - بيروت •

(٣) الشمد ويحرك : الماء القليل • القاموس المحيط للفيروز أبادي ١/٢٨٠ ط • دار الفكر

- بيروت •

(٤) ديوان النابغة الذبياني (ت : ٦٠٢ م) تحقيق وشرح كرم البستاني ص ٣٤ •

من قصيدة مطلعها :-

يا دارمية بالعليا فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

(٥) شعر النمرين تولب ص ١٠٢ صنفه الدكتور نور جمودي القيسي مطبعة المعارف - بغداد •

كثير من الجهل .

ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكم ، لأنه يمنع الظالم عن الظلم .
ومنهم قولهم حكم اليتيم كما تحكم ولدك ، أي امنعه من الفساد وأصلحه كما
تصلح ولدك ، وكما تمنعه من الفساد .^(١)

قال جرير بن عطية الخطفي :

أبني حنيفة أحكموا سفهاكم

إن أخاف عليكم أن اغضبنا

وقال حسان بن ثابت :

فنحكم بالقوافي من هجاننا ونضرب حين تختلط الدماء^(٢)

٣ - كل كلمة وعظمتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكربة .

قال ابن دريد : (فكل كلمة وعظمتك أو زجرتك ، أو دعتك إلى مكربة ، أو نهيتك

عن قبيح ، فهي حكمة وحكم ، وهو تأويل قول الرسول صلى الله عليه وسلم :
(٤) (٥)

إن من الشعر لحكما وإن من البيان لسحرا *) .

(١) جوهرة اللغة لابن دريد ١٨٦/٢ ، تهذيب اللغة للأزهري ١١١/٤ - ١١٣ ،

لسان العرب لابن منظور ١٤١/١٢ .

(٢) ديوان جرير (ت: ١١٤هـ) ص ٤٢ ، مطبعة صادر بيروت ١٣٧٩ - ١٩٦٠م .

(٣) ديوان حسان بن ثابت (ت: ٥٠هـ) ص ٦ ، بتحقيق عبد الرحمن البرقوقي مطبعة
المكتبة التجارية بصر .

(٤) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الأدب باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداد

وما يكره منه ٥٣٧/١٠ ، سنن الترمذي بتحفة الأحوذى كتاب الأدب باب ما جاء

إن من الشعر حكمه ١٣٥/٨ ، سنن أبي داود كتاب الأدب باب ما جاء في الشعر

٣٠٢/٤ - ٣٠٣ ، مسند الإمام أحمد بهامشه منتخب كنز العمال ٢٦٩/١ .

(٥) الجوهرة لابن دريد ١٨٦/٢ .

٤ - العلم والفقہ (١)

٥ - العدل والقضاء به :

قال ابن منظور : (الحكيم فعيل بمعنى فاعل أي حاكم وهو القاضي) (٢)

(٣)

٦ - وضع الشيء موضعه وصواب الأمر وسداده .

(١) تهذيب اللغة للأزهري ١١١/٤ ، الصحاح للجوهري ١٩٠١/٥ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٤٠/١٢ .

(٣) الكليات " معجم في المصطلحات والفروق اللغوية " لأبي البقاء أيوب بن موسى

الحسين الكفوري (ت : ١٠٩٤ هـ ٢٢٢/٢ . ط ٢ منشورات وزارة الثقافة

والارشاد القومي دمشق ١٩٨١ م .

ثانيا : في استعمالات القرآن :

وردت الحكمة في القرآن لعدة معاني :-

١ - الإصابة في القول والفعل • نحو قوله تعالى ﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن

(١)
• يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾

(٢) (٣) (٤) (٥)

قاله مجاهد والطبري والأصفهاني والرازي

٢ - العقل في الدين •

نحو قوله تعالى : ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي

خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾

(٧)

قاله ابن زيد

٣ - المعرفة بالدين والفقهاء فيه •

نحو قوله تعالى : ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا

(٨)

• كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾

-
- (١) البقرة آية (٢٦٩) •
(٢) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٣/٩٠ ، زاد المسير في علم التفسير لابن
الجوزي (ت : ٥٩٢ هـ) ١٠/٣٢٤ •
(٣) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٥/٥٧٦ •
(٤) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ١٢٦ •
(٥) التفسير الكبير للرازي (ت : ٦٠٦ هـ) ٤/٧٤ و ٦/٢٠٢ •
(٦) البقرة آية (٢٦٩) •
(٧) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٣/٨٦ - ٨٧ •
(٨) البقرة آية (٢٦٩) •

(١) (٢) (٣) (٤) (٥)

قاله : امين عباس ومالك وابن زيد والحسن ومقاتل .

٤ - تفسير القرآن والفقه به ومعرفة محكمة ومتشابهه وناسخة ومنسوخه .

نحو قوله تعالى : ﴿ يَأْتِي الْحِكْمَةَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

(٦)

وما يذكر إلا أولوا الألباب .

(٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣)

قاله : ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومجاهد . والضحاك وابو العالية ومقاتل

(١٤)

والدمغاني .

٥ - الخشية :

نحو قوله تعالى : ﴿ يَأْتِي الْحِكْمَةَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

(١٥)

وما يذكر إلا أولوا الألباب .

(١٦)

وبه قال الربيع بن أنس .

(١) زاد السير في علم التفسير لابن الجوزي ٢٦٨/١ .

(٢) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٩٠/٣ .

(٤) زاد السير في علم التفسير لابن الجوزي ١١١/٧ .

(٥) الأشباه والنظائر لمقاتل البلخي ص ١١١ . (٦) البقرة آية ٢٦٩ .

(٧) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٨٦/٣ ، زاد السير في علم التفسير لابن

الجوزي ٣٦٤/١ . (٨) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٨٩/٣ .

(٩) زاد السير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٢٤/١ .

(١٠) المرجع نفسه ٩٠/٣ ، زاد السير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٢٤/١ .

(١١) زاد السير في علم التفسير ٣٢٢/١ .

(١٢) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٩٠/٣ .

(١٣) الأشباه والنظائر لمقاتل البلخي (ت : ١٥٠هـ) ص ١١٢ .

(١٤) الوجوه والنظائر للدمغاني ص ١٤٦ .

(١٥) البقرة آية ٢٦٩ .

(١٦) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٩١/٣ ، زاد السير في علم التفسير لابن الجوزي

٣٢٢/١ .

٦ - المقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة نحو

قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجد لهم (١)

بالتى هي أحسن ﴿

قاله الزمخشري وأبو السعود والنسفي والبيضاوي والرازي (٢) (٣) (٤) (٥) (٦)

٧ - توفيق العمل بالعلم :

(٧)

نحو قوله تعالى : ﴿ ويعلمه الكتب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴿

وقوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله ومن يشكر فإنما

(٨)

يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد ﴿

قاله الطبري وابن قتيبة والزمخشري (٩) (١٠) (١١)

٨ - السنن

نحو قوله تعالى : ﴿ ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم

(١٢)

الكتب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴿

(١) النحل آية (١٢٥) ﴿

(٢) الكشاف للزمخشري ٤٣٥/٢

(٣) تفسير أبي السعود (ت : ٥٩٥١) ١٥١/٥

(٤) تفسير النسفي (ت :) ٣٠٥/٢

(٥) تفسير البيضاوي (ت :) ص ٣٦٩

(٦) مفاتيح الغيب للرازي ١٣٠/٢٠

(٧) آل عمران آية (٤٨) ﴿

(٨) لقمان آية (١٢) ﴿

(٩) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٥٧/٨ ، ١٤٥/٢٥

(١٠) غريب القرآن لابن قتيبة (ت : ٢٢٧٦هـ) ص ٣٢

(١١) الكشاف للزمخشري ٣٩٦/١

(١٢) البقرة آية (١٢٩) ﴿

وقوله تعالى : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم

يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن

(١)

• كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴿

وقوله تعالى : ﴿ وأنزلى الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان

(٢)

• فضل الله عليك عظيما ﴿

وقوله تعالى : ﴿ واذكرونا ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله

(٣)

• كان لطيفا خبيرا ﴿

وقوله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته

ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال

(٤)

• مبين ﴿

(٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠)

• قاله : ابن عباس وقتادة والحسن ومقاتل بن حيان وأبو مالك والشافعي •

٩- النبوة :

(١١)

• نحو قوله تعالى : ﴿ واتلوه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ﴿

(١) آل عمران آية ﴿ ١٦٤ ﴾

(٢) النساء آية ﴿ ١١٣ ﴾

(٣) الأحزاب آية ﴿ ٣٤ ﴾

(٤) الجمعة آية ﴿ ٢ ﴾

(٥) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١٤٦/١

(٦) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٥٥٧/١ ، ١٣٩/٢

(٧) ، (٨) ، (٩) تفسير ابن كثير لابن كثير ١٨٤/١

(١٠) الرسالة للشافعي ص ٣٢ ، ٧٦ - ٧٩ ، ٩٣ - ١٠٣

(١١) البقرة آية ﴿ ٢٥١ ﴾

- (١)
• وقوله تعالى : ﴿ فقد أتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وءاتيناهم ملكا عظيما ﴾
(٢)
• وقوله تعالى : ﴿ وشددنا ملكه وءاتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾
(٣)
• وقوله تعالى : ﴿ ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ﴾
(٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩)
• قاله ابن عباس والسدي ومقاتل والطبري والدامغاني وابن كثير

١٠- الإنجيل :

- (١٠)
• نحو قوله تعالى : ﴿ ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ﴾
(١١)
• قاله مقاتل

١١- المواعظ التي في القرآن من الأمر والنهي :

- (١٢)
• نحو قوله تعالى : ﴿ وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ﴾
(١٣)
• وقوله تعالى : ﴿ حكمة بلغة فما تغن النذر ﴾
(١٤) (١٥)
• قاله مقاتل والدامغاني

-
- (١) النساء آية ﴿٥٤﴾ (٢) ص آية ﴿٢٠﴾
(٣) الزخرف آية ﴿٦٣﴾ (٤) زاد السير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٠٠/١
(٥) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ١٣٩/٢٣ ، ٩٢/٢٥ ، زاد السير في علم التفسير ١١١/٢
(٦) الأشباه والنظائر لمقاتل البلخي ص ١١٢ ، زاد السير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٠٠/١ ، ١١١/٢
(٧) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٦٣٢/١
(٨) الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٤١
(٩) تفسير ابن كثير لابن كثير ٣٠٣/١
(١٠) الزخرف آية ﴿٦٣﴾
(١١) زاد السير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٢٦/٧
(١٢) البقرة آية ﴿٢٣١﴾
(١٣) القمر آية ﴿٥﴾
(١٤) الأشباه والنظائر لمقاتل البلخي ص ١١١
(١٥) الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٤١

١٣ - القرآن نحو قوله : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجيلد لهم

(١)

بالتى هى أحسن ﴾

(٢) (٣) (٤) (٥)

قاله : مقاتل والدامغانى والماوردى والطبرسى .

-
- (١) النحل آية ﴿ ١٢٥ ﴾ .
 - (٢) الأشباه والنظائر لمقاتل البلخى ص ١١٣ .
 - (٣) الوجوه والنظائر للدامغانى ص ١٤٢ .
 - (٤) النكت والعيون تفسير الماوردى لأبى الحسن على حبيب الماوردى البصرى ٤١٧/٢ .
 - (٥) مجمع البيان لأبى على الفضل بن الحسن الطبرسى (ت : ٥٥٢ هـ) ١٣٨/١٤ .
دار مكتبة الحياة بيروت ط . ١٣٨٠ هـ .

ولو انعمنا النظر في تلك الأقوال جميعها لوجدنا أنها ترجع إلى القول الأول وهو الإصابة في القول والفعل لأن جميع الأقوال التي قيلت في تعريف الحكمة ترجع إلى هذا القول وتدخل ضمن معناه .

قال الطبري بعد تعريفه الحكمة أنها الإصابة في القول والفعل ، وأن تعريفه هذا يشمل جميع تلك الأقوال : (قد بينا فيما مضى معنى الحكمة وأنها ما خسوذة من الحكم وفصل القضاء ، وأنها الإصابة بما دل على صحته فأغنى ذلك عن تكريره في هذا الموضع وإذا كان كذلك معناه كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلا فيما قلنا لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة ، وإذا كان كذلك كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره مفهوما خاشيا لله فقيها عالما . وكانت النبوة من أقسامه لأن الأنبياء مسددون مفهمون وموفقون لإصابة الصواب في الأمور والنبوة بعض معاني الحكمة فتأويل الكلام : يؤتى الله إصابة الصواب في القول والفعل من يشاء ومسئ (١)
يؤتى الله ذلك فقد أوتي خيرا كثيرا) .

قلت : بل النبوة أعلى درجة من الحكمة وليست جزءا منها لأنها أعلى المراتب ولا يختار لها إلا من علم الله استحقاقه لها وإذا وردت الحكمة في القرآن بمعناها فلا يدل ذلك على أنها جزء منها بل كما قال المشهاب الخفاجي (الحكمة ما أحكم من قول أو فعل أو عمل ولا أشد احكاما في جميع الأمور من النبوة فلذا أوردت في (٢) القرآن بمعناها . وقيل هي كل صواب وإذا فسرت بالثاني فهي أعم) .

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ٥٧٦/٥ - ٥٧٩ بتحقيق شاكر .
(٢) عناية القاضى للمشهاب الخفاجي ٣٠٤/٧ في قوله تعالى ((وأتينا الحكمة وفصل الخطاب)) .

(١)

وقال الأصفهاني : (وإذا وصف به القرآن أي قيل أنه حكيم فلتضمنه الحكمة) .

وقال الطبرسي (وسى القرآن حكمة لأنه يتضمن الأمور الحسن والنهي عن القبيح

(٢)

وأصل الحكمة المنع) .

قال ابن العربي : (قد اختلف الناس في الحكمة على أقوال يكثر تعدادها ،

جماعها خمسة عشر قولاً :

• الأول منها : إنها العقل .

• الثاني : العلم .

• الثالث : أشرف العلوم .

• الرابع : الفهم .

(٣)
• الخامس : العلم .

• السادس : علم الله .

• السابع : علم السنة .

• الثامن : الإيمان .

• التاسع : النبوة .

• العاشر : اجتماع العلم والعمل .

• الحادي عشر : صواب الأمر .

• الثاني عشر : القضاء بالحكم .

• الثالث عشر : ما يمنع من الجهل .

• الرابع عشر : الكلام الموجز الدال على المعنى الكثير .

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ١٢٨

(٢) مجمع البيان لابن أبي عمير والفضل بن الحسن الطبرسي ١٤ / ١٣٨ .

(٣) أقول لعله أراد العلم والله أعلم .

الخامس عشر : ما وقع يقصد فاعله •

وسعد أن عدد رحمه الله هذه المعاني ذكر المختار منها فقال : (اعلّموا أن بعض المحققين من علمائنا قالوا إن حروف (ج ك م) كيف ما تصرفت إنما ترجع إلى العلم ، والعقل نوع من العلم ، والسنة نوع من العلم ، والعلم بالله والنبوة علم شريف ، واجتماع العلم والعمل علم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : " لا يزنّي الزاني حين يزنّي وهو مؤمن " وقول المتكلم : الحكمة ما وقع يقصد فاعله إشارة إلى أن الفعل الواقع على وفق الإرادة يسمى حكمة لأنه لا يقع كذلك إلا موافقا للعلم) (٢)

قلت : والإصابة في الأمور لا تكون إلا عن علم وفهم ومعرفة • وعلى هذا يتبين أن المراد بالحكمة - والله أعلم - هي الإصابة في القول والفعل • وتتجلى هذه الإصابة في عدة أمور منها :-

- ١ - الدعوة بالحجج اليقينية والبراهين العقلية •
- ٢ - الاستدلال بالقبالة •
- ٣ - استعمال المقدمات المشهورة المسلمة •
- ٤ - القدوة •
- ٥ - النصح في السر ودون العلانية •
- ٦ - النصح بالتعريض دون التصريح •

(١) سنن ابن ماجه كتاب الفتن باب النهي عن النهيه ١٢٩٩/٢ • وهو صحيح •
(٢) الأمد الأقصى لابن العربي لوحة ١/٩٨ نقلا عن كتاب الجوانب العقديّة في كتاب قانون التأويل للقاضي أبي بكر بن العربي مع تحقيقه والتعليق عليه • أعداد الطالب : محمد بن الحسين السليمان رسالة ماجستير ص ٢٣٧ - ٢٣٨ •

- ٧ — استعمال اللين موضع اللين •
- ٨ — استعمال الشدة موضع الشدة •
- ٩ — مخاطبة الناس على قدر عقولهم وذلك بما يلي :-
 - أ - اختيار طريقة العرض المناسبة •
 - ب - مراعاة الظروف والأحوال والبيئة •
 - ج - مراعاة الوقت المناسب ومقداره •
- ١٠ - البدء بالأهم فالأهم •

الفصل الثاني

مناهج الحكمة وهي

- ١- الدعوة بالحجج اليقينية والبراهين العقلية
- ٢- الإستدلال بالمقابلة
- ٣- استعمال المقدمات المشهورة
- ٤- القدوة
- ٥- النصيح في السر دون العلانية
- ٦- النصيح بالتعريض دون التصريح
- ٧- استعمال اللين موضع اللين
- ٨- استعمال الشدة موضع الشدة
- ٩- مخاطبة الناس على قدر عقولهم
- ١٠- البدء بالأهم فالأهم

١ - الدعوة بالحجج اليقينية والبراهين العقلية :-

إن أى دعوة من الدعوات ، وأى فكرة من الأفكار ، إذا لم تصاحبها حكمة
فى كيفية دعوة الناس إليها ، وحسن عرضها عليهم بإقامة الحجج اليقينية
والبراهين العقلية التى تدل على سلامتها وموضوعيتها وأحقيتها بالقبول ،
فإن الناس لن يستجيبوا أو يذعنوا لها .

لذا وجب على الداعية أن يقيم من الحجج اليقينية والبراهين العقلية ما يثبت
بها صدق دعوته وفكرته ، لتتأتى دعوته ثمارها على الوجه المطلوب .

والحجة كلما كانت قوية ومحكمة ومتقنة ومدعمة بالأدلة القاطعة ، كان وقعها
أعمق ، وأثرها أوقع ، ودحضها أشد . إن الحجة القاطعة توجب اليقين
والقبول ، وفيها معنى الالتزام للخصم ، والافحام للمعاند وإسكاته ، وقطع
عذره ، وقصم ظهره ، وبيان إفكته ، وظهور كذبه ، وجعله مبهوتا حائرا
مدهشا . كما قال تعالى فى بيان أثر الحجة ووقعها : ﴿ ألم تر إلى الذى
حاج إبراهيم فى ربه أن اتله الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى
يحسب سميت قال أنا أحمى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق
فأتى بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ (١)

والدعوة بالحجج اليقينية والبراهين العقلية استعملها القرآن كثيرا فى الاستدلال
على وجود الله وإثبات وحدانيته وإبطال الوهية ما عدا من دون الله وفى إثبات نبوة
رسولنا صلى الله عليه وسلم وسأكتفى بذكر نماذج فى الموضوعات التالية :-

- أولا : الحجج والبراهين فى إثبات وحدانية الله .
- ثانيا : الحجج والبراهين فى إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) البقرة آية (٢٥٨) .

أولا : الحجج والبراهين في إثبات وحدانية الله :-

نعاذج منها من الكتاب والسنة :-

٢ - قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ

قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا

وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ

(١)

الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لَهُ أندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢٢﴾

فقد أوضحت هاتان الآيتان أن القادر على الخلق هو الرب وهو

الذي يستحق العبادة دون سواه ، وأن الذي لا يخلق شيئا لا يستحق

العبادة . قال ابن كثير : (شرح تبارك وتعالى في بيان وحدانية

الوحيته بأنه تعالى هو النعم على عبده ، بإخراجهم من العدم إلى

الوجود ، وأسبغ عليهم النعم الظاهرة والباطنة ، بأن جعل لهم

الأرض فراشا ، أي مهدا كالفرش مقرر موطأ مشبه بالرواسي الشامخات

، والسما بناءً وهو السقف كما قال في الآية الأخرى : ((وجعلنا

(٢)

السما سقفا محفوظا وهم عن أيتها معرضون) ، ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً ۖ ﴿٢٢٣﴾ والمراد به السحاب ههنا في وقته عند احتياجهم

إليه ، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والشمار ما هو مشاهد رزقا لهم

والأنعامهم ، كما قرر هذا في غير موضع من القرآن ، ومن أشبه آية

بهذه الآية قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ

(١) البقرة آية ٢١ - ٢٢٢ .

(٢) الأنبياء آية ٣٢ .

بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات • ذللكم الله وكم
(١)
فتبرك الله رب العظيم ﴿

ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم • فبهذا
(٢)
يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره) •

فقد عاب الله على المشركين عبادتهم لآلهة عاجزة قاصرة لا تستطيع
أن تخلق شيئاً • حتى لو كان ذلك المخلوق أضعف موجود وأحقه وهو
الذباب فقال تعالى : ﴿ يتأبها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن
الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً
ولو اجتمعوا له •

بل بين أنه إن سلبهم الذباب شيئاً مما هو بأيديهم لما استطاعوا إنقاذه
منه ولو اجتمعوا كلهم له • وكفى بذلك ليلاً على عجزهم وضعفهم وعدم
استحقاقهم العبادة : ﴿ وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه
ضعف الطلب والمطلوب ما قد رواه الله حتى
(٣)
قد ره إن الله لقوى عزيز ﴿

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك بالله وجعل الأنداد
له أعظم الذنوب عند الله • إذ كيف يخلقهم الله ويعبدون غيره فعمس
عبد الله بن مسعود رض الله تعالى عنه قال : " سألت النبي صلى الله
صلى الله عليه وسلم : أي الذنوب أعظم عند الله ؟ قال : أن تجعل لله

(١) ظفر آية ﴿ ٦٤ ﴾ •

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٧/١ •

(٣) الحج آية ﴿ ٧٣ - ٧٤ ﴾ •

نندا وهو خلقك • قلت : إن ذلك لعظيم • قلت : ثم أى ؟ قال : وأن
تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك • قلت ثم أى ؟ قال : أن تزاني حليمة
(١)
جارك " •

٢ — وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنْ
فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ مَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَثَبَّتَ فِيهَا
مِنَ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ السُّخْرِيِّينَ
(٢)
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝﴾

فقد أثبت الله لنفسه الوجدانية في الألوهية ، وأنه لا شريك له ولا عدل
، بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو الرحمن
الرحيم ، ثم ذكر الدليل على تفرد ، بالألوهية فجعل من هذه الأعيان
الحادثة كخلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وجريان السفن
في البحار ، ونزول المطر من السماء ، وإحياء الأرض بعد موتها وتصريف
الرياح والسحاب التي يدركها الإنسان إذا رآها مباشرة آيات ودلائل على
وحدانيته سبحانه حيث قال : ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝﴾ •

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ فَلَا
تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ • ١٦٣/٨ ، صحيح مسلم
بشرح النووي كتاب الإيمان باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب وبيان
أعظمها بعده • ٧٩/٢ - ٨٠ •
(٢) البقرة آية (١٦٣ - ١٦٤) •

وهذا كقوله تعالى : ﴿ خلق السموات بغير عمدٍ ترونها وألقى في الأرض رواسي
أن تعبد بكم وث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء
ماءً فأنبثنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني
ما إذا خلق الذين من دونه ببل الظالمون في ضلّال مبين ﴾ (١)

فقد بين سبحانه وتعالى في هذه الآية قدرته العظيمة على خلق السموات
والأرض . كما بين أنه هو الرازق لجميع مخلوقاته ، وإذا كان الخلق كلهم إليه
ولا رازق لهم سواه ، فعبادة الشركين لهذه الأصنام التي ليس لها من الأمر
شيء ظلم واعتداء على حق خالقهم . إذ يخلق ويعبد غيره ويرزق ويشكر سواه ،
فأي جهل وعى أوضح من ذلك : ﴿ بل الظالمون في ضلّال مبين ﴾ .

٣ - قال تعالى : ﴿ لو كان فيهما ءالهة إلا الله لفسدتا فسبحن الله رب العرش
(٢)
عما يصفون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله
بما خلق ولعل بعضهم على بعض . سبحن الله عما يصفون
(٣)
علم الغيب والشهادة فتعلى هما يشركون ﴾ .

قال شارح الطحاوية : (لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن
يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه ، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إمامته .
فإما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحدهما ، أو لا يحصل مراد واحد منهما .
والأول ممتنع ، لأن مستلزم الجمع بين الضدين ، والثالث ممتنع لأنه يلزم خلو الجسم

(١) لقمان آية م (١٠ - ١١) .

(٢) الأنبياء آية م (٢٢) .

(٣) المؤمنون آية م (٩١ - ٩٢) .

عن الحركة والسكون وهو ممتنع ، ويستلزم أيضا عجز كل منهما والعاجز لا يكون
الها . وإذا حصل مراد أحد هاتين الآخري كان هذا هو الإله القادر والآخر
(١)
عاجزا لا يصلح للإلهية) .

وقال أيضا : (فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر .
فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقا فاعلا يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه
الضرر ولو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل ، وحينئذ
فلا يرضى تلك الشركة ، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرد به بالملك
والإلهية دونه فعل ، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق
كما انفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر
الآخر والعلو عليه . فلا بد من أحد ثلاثة أمور : إما أن يذهب كل إله بخلقه
وسلطانه ، وإما أن يعلو بعضهم على بعض ، وإما أن يكونوا تحت قهر ملك
واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ولا يتصرفون فيه ، بل يكون وحده هو الإله وهم
العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه . وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره
من ادلى دليل على أن مدبره إله واحد وملك واحد ورب واحد لا إله للخلق غيره .
(٢)
ولا رب لهم سواه) .

٤ - وقال تعالى : هو الله الذي رفع السموات بغير عمدٍ ترونها ثم استوى على العرش
وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل

(١) شرح العقيدة الطحاوية للعزيبين أبي العز ص ٧٨ - ٧٩ بتخريج الألباني

المكتب الإسلامي ط ٦ ١٤٠٠ هـ بيروت .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية للعزيبين أبي العز ص ٨٥ - ٨٦ .

الآيات لعلمكم بلقاء ربكم توقنون * وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي
وأنهرا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار
إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الأرض قطع متجلورات ونبات من
أعنب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بما واحد ونفضل بعضها
على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (١) *

فقد أبانت هذه الآيات الكريمة عن كمال قدرة الله وعظيم سلطانه ، وأنه
هو الذي يآذنه وأمره رفع السموات بغير عمد * بل يآذنه وأمره وتسخيروه
رفعها عن الأرض بعد الأتال ولا يدرك مداها ، وأنه سخر الشمس والقمر
كل منهما يجرى لأجل مسمى وأنه ما حصل ذلك إلا بتدبيره وتقديره وعلمه
وحكمته : ﴿ يفصل الآيات لعلمكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ * أي يوضح
الآيات ويسوق الدلائل ويقم الحجج والبراهين ليوقنوا بأن الله
سيحاسبهم ويجازي كل واحد بعمله *

ثم أبانت عن قدرته في خلق الأرض وأنه هو الذي مدها وسطها لأهلها
ليعيشوا عليها ، وجعل في هذه الأرض رواسي شامخات تثبتها وتحفظها
لكلا تئيد بأهلها فتضطرب حياتهم ولا تستقر * كما أنه جعل في هذه
الأرض أنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها صنفين اثنين ، وأخبر أن من
آياته الدالة على قدرته ووحدانيته تغلب الليل والنهار يغشى أحدهما الآخر
إذ يغطي الليل النهار بظلمته ليستريح الناس ويسكنوا ثم يخلفه النهار
بنوره ليبتغي الناس من فضله وقد ختم هذه الآية بقوله : ﴿ إن في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون ﴾ *

في آلاء الله وحكمه ودلائله لأنه لا يدرك تلك الآيات إلا من أعمل فكره فيها .
أما الآية التي بعد ها فقد شملت أيضا أنواعا من الآيات الدالة على
وجود الله ووحده انيته ، وهي آيات تحريك الحس والشعور بما تضمنته من دلائل
حسية وعقلية ووجدانية هـ وفي الأرض قطع متجلورات وجنات من أعناب وزرع
ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل
إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون هـ فمن الذي أعطى كل مخلوق في القطعة
شكله ولونه غير القدرة الالهية التي منحت الحلو حلاوته وأعطت الحامض حموضيته .
اذا لو كان الأمر طبيعة لما وجد هذا الاختلاف البواسع ، والبون الشاسع
بين تلك الأصناف من الفواكه والثمار والزرع ، مع أنها تسقى بماء واحد ان نسي
ذلك لآيات لمن كان واعيا فألقى سمعه وهو شهيد . بل أن هذه الآيات من
أعظم الدلائل على وجود الله الصانع الحكيم القدير العظيم الذي بقدرته وارادته
فاوت بين الأشياء ونوع . ولذا فقد ختمت الآية بالاشارة الى أن هذه الآيات
لا يفهمها ولا يعقلها الا العاقلون هـ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون هـ حجج
الله وآياته .

٥ - وقال تعالى : هـ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير أما
يشركون . أمن خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء^{لكم} ماء
فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنتبوا شجرها
إله مع الله بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قرارا
وجعل خللها أنهارا وجعل لها رواس وجعل بين البحرين
حجزا هـ مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر
إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض هـ مع الله قليلا
ما تذكرون . أمن يهدى لكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل

الرياح بشرا بين يدي رحمة إله مع الله تعالى الله عما يشركون آمن بيدي
الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض إله مع الله قل هاتوا برهانكم
(١)
إن كنتم صدقين

بعد أن أمر الله بحمده على نعمه وأن يسلم على عباده الذين اصطفاهم
واختارهم . أنكر على المشركين عبادتهم مع الله آلهة أخرى ثم شرع بعد هذا
في بيان أنه هو المتفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره فقال تعالى
: ﴿ من خلق السموات والأرض ﴾ أي من خلق تلك السموات في ارتفاعها
وصفائها وما جعل فيها من الكواكب المنيرة والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة ،
وخلق الأرض في استقلالها وكثافتها وما جعل فيها من الجبال والسهول والفيافي
والقفار والزروع والأشجار والثمار والبحار على اختلاف الأصناف والأشكال
والألوان ، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به حدائق وساتين ذات منظر حسن
وشكل بهي : ﴿ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾ أي لم تكونوا تقدر على إنبات
أشجارها وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق والمستقل بذلك المتفرد به دون
سواه من الأصنام والأنداد : ﴿ إله مع الله ﴾ أي بل هو المتفرد دون
سواه . فكيف تعبدون معه غيره وهو المستقل المتفرد بالخلق والرزق والتدبير ؟
ومن الذي جعل الأرض قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف
بهم . فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها المشي والحياة بل جعلها من فضله
ورحمته مهادا بساطا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك . وجعل فيها الأنهار العذبة
الطيبة وشقها في خلالها وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار ووزعها شرقا

وغربا وجنوبا وشمالا بحسب مصالح عبادهم في أقاليمهم وأقطارهم حيث
ذراهم في أرجاء الأرض وسير لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه . وجعل
لها جبالا رواسي شامخات ترسي الأرض وتثبتها لئلا تميد بأهلها . وجعل
بين بحارها العذبة والمالحة حاجزا يمنعها من الاختلاط لئلا يفسد هذا
بهذا وهذا بهذا .

ومن الذي يجيب دعاء المضطر ويكشف السوء ، ويجعل العباد يخلف
بعضهم بعضا . : ﴿ الله مع الله ﴾ . يقدر على ذلك ؟ أو الله مع الله
يعبد ؟ وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لا شريك له
: ﴿ قليلا ما تذكرون ﴾ أي ما أقل تذكرهم فيما يرشدهم إلى الحق ويهدى بهم
إلى الصراط المستقيم . ومن الذي يهدىكم في ظلمات البر والبحر بما خلق
من الدلائل والارشادات ، ويرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ، فينزل
مطرا يغيث به عباده المجدبين ؟

ومن الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده ؟ ويرزقكم من السماء والأرض ؟ الله
مع الله : ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على صحة ما تدعون من عبادة آلهم
أخرى : ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ في ذلك ، وقد علم أنه لا حجة لهم ولا
برهان كما قال تعالى : ﴿ ومن يدع مع الله الهاةا آخر لا برهان له به فإنما
حسبه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾^(٢)

قال ابن كثير : () : ﴿ آمن ﴾ في هذه الآيات كلها تقديره : أمن يفعل

(١) أي خلقهم . تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٦ ط . دار الكتب العلمية

بيروت . ١٩٨٠ هـ - ١٩٨٠ م .

(٢) المؤمنون آية (١١٧) .

هذه الأشياء كمن لا يقدر على شيء منها ؟ هذا معنى السياق وإن لم يذكر
الآخر لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك وقد قال تعالى : ﴿ الله خير مما
يشركون ﴾ ثم قال في الآية الأخرى : ﴿ بل هم قوم يعدلون ﴾ أي يجعلون
(١)
لله عدلا ونظيرا) .

٦ - وقال تعالى : ﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إن في السموات
والأرض آيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات
لقوم يوقنون واختلف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء
من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات
لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث
(٢)
بعد الله وآياته يؤمنون ﴾ .

قال الشيخ محمد الأمين محمد المختار الشنقيطي : (ذكر جل وعلا في هذه
الآيات الكريمة من أول سورة الجاثية ستة براهين من البراهين الدالة على عظمته
وجلاله وكمال قدرته وأنه المستحق للعبادة وحده
تعالى : الأول منها : خلقه السموات والأرض .

- والثاني : خلقه للناس .
- والثالث : خلقه للدواب .
- والرابع : اختلاف الليل والنهار .
- والخامس : إنزال الماء من السماء وإحياؤه الأرض به .
- والسادس : تصريف الرياح .

وذكر أن هذه الآيات والبراهين إنما ينتفع بها المؤمنون الذين يعقلون

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٣٦٩ .
(٢) الجاثية آية ١ - ٦ .

عن الله حججه واياته فكأنهم هم المختصون بها دون غيرهم ولذا قال

: ﴿ لا يأت للؤمنين ﴾ ثم قال : ﴿ آيات لقوم يوقنون ﴾ ثم قال

(١)

: ﴿ آيات لقوم يعقلون ﴾ .

٧ - وقال تعالى : ﴿ أفريتم ما تحرثون أنتم تزرعون أم نحن الزارعون لو نشاء

لجعلناه حطبا فظلمت تفكهنون إنا لمنعمون بل نحن

محرومون . أفريتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من

المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون .

أفريتم النار التي تورون أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن

المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتلعا للموقنين فسبح باسم

(٢)

ربك العظيم ﴾ .

إن القرآن الكريم وهو يدعو لقضية التوحيد التي استغرقت من القرآن

أكثره ، لم يعرضها مكررة بنفس الأسلوب بنفس طريقة العرض . وإنما ظير في

التعبير وطريقة الأسلوب ليوجه الأنظار ويفتح العقول ويطلقها من إسار

القيود التي استحكمت فيها . فهذه الآيات قد تضمنت أشياء محسوسة

مما هدية بل هي الصق شيء بحياة المخاطبين بها: الزرع ، الماء ، النار

: ﴿ أفريتم ما تحرثون ﴾ وما تزرعون من الأشجار والحدائق ﴿ أنتم

تزرعون ﴾ وتنبئونه . أم نحن الذي فعلنا ذلك بقدرتنا وإرادتنا ؟ أما

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ الشنقيطي ٧ / ٣٢٩ .

مطبعة المدني .

(٢) الواقعة آية ٦٣ - ٧٤ .

أنتم فلم يكن لكم من عملٍ في ذلك إلا الحرث وهو شق الأرض والقاء البذور فيها
 فذلك هو عملكم وهو دوركم • ثم بعد هذا ينقطع عملكم وتتركون زرعكم مسلمين
 أمركم لله القادر المبدع العليم الحكيم الذي بمشيئته ينبت لكم حتى يظهر
 زرعاً أخضر فيه طعامكم وطعام حيوانناكم • ولو شاء الله بدلا من هذا لجعله
 حطاما هشيما قبل أن يؤتى ثماره فظلمت تفكهن أي تلونون في الحديث فتارة
 تقولون : ﴿ إنا لغرمون ﴾ وأخرى : ﴿ بل نحن محرومون ﴾ •
 ثم ينتقل إلى آية أخرى تدل على عظمته وقدرته ويديع صنعه وإتقانه
 : ﴿ أفريتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لـ
 نشاء لجعلناه آجاجا فلولا تشكرون ﴾ • إن الماء أصل من أصول الحياة
 (١)
 ويحتاج إليه كل حي كما قال تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ • من
 الذي أنزل هذا الماء من السماء عذبا زلالا لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسميون ؟
 : ﴿ أنتم أنزلتموه من المزن أي السحاب : ﴿ أم نحن المنزلون ﴾ أي بل نحن
 أنزلناه بقدرتنا وإرادتنا ؟ ومن رحمتنا بكم جعلناه عذبا زلالا ، ولو شئنا
 لجعلناه ملحا آجاجا فهلا تشكرون الله الذي أنعم به عليكم عذبا زلالا مستساغ
 الطعم والشراب ، فتوجهون إليه بالعبادة وحده دون ما سواه من الأصنام
 والأنداد • ثم ينتقل السياق إلى الدليل الأخير وهو النار : ﴿ أفريتم النار
 التي تورون ﴾ أي توقدون : ﴿ أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ﴾ لها
 لطفا بكم حيث إنه لا تقوم حياتكم إلا بها كما أننا جعلناها تذكرة
 لكم بنار الآخرة • ليتذكر المتذكر ويعتبر المتعظ حيث إنه

لا طاقة له بنار الآخرة • وفي الأخير يتجه الخطاب بأمرهم بتتزيه الله عن كل عجز

ونقص وتجبينه وتوحيد ه : ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ • الذي بقدرته خلسق

هذه الأشياء المختلفة المتضادة الماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله

ملحا أجاجا كالبحار وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد وجعل

هذه منفعة لهم في معاش دنياهم وزاجرا لهم في معادهم •

٨ — قال تعالى : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ وخلق كل شيء ^(٢)
^(٣) فقدره تقديرا ﴾ • وقال تعالى : ﴿ صنع الله الذي اتقن كل شيء ﴾ •

ان من الأدلة التي تثبت وحدانية الله هو ذلك النظام والاتقان والابداع

والتقدير في خلق هذا العالم وما حواه من مخلوقات • فالكون كله منظم ومنسق •

وانتظامه مرتبط بإرادة الله وقدرته • كما أن استمراره على هذه الحال منسوط

بقدره الله ومشيته أيضا • كما قال تعالى : ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض ^(٤)

أن تزولا ولكن زالتا إن أمسكهما من أحب من بعده انه كان جليماً غفوراً ﴾ •

ان الانسان لو نظر في عالم الافلاك والكواكب لرأى عجائب الخلق متجلية •

ودلائل النظام والاتقان واضحة • فهي تسير على نظام ثابت لا يختل • كل كوكب

منها يسير في مدار محدد لا يتعداه • وفي زمن معين لا يتجاوزه • كل ذلك

بحساب دقيق مقدر لا يزيد ولا ينقص • وذلك كله بتقدير العزيز العليم الذي

خلق كل شيء فقدره تقديرا • كما قال تعالى : ﴿ وإليه لهم الليل نسلخ منه النهار

(١) القمر آية م (٤٩) •

(٢) الفرقان آية م (٢) •

(٣) النمل آية م (٨٨) •

(٤) فاطر آية م (٤١) •

فإذا هم مظلومون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر
قد رنله منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر
ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ٥ (١)

عن ابن هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
: قال الله عز وجل : " يؤذيني ابن آدم سب الدير وأنا الدير يبيدنى الأمر
(٢)
أقلب الليل والنهار " .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كذبتني ابن آدم ولم
يكن له ذلك . وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقله : لن يعيد نسي
كما بداني ، وليس أول الخلق باهون عليّ من إعادته . وأما شتمه إياي فقله :
اتخذ الله ولدا . وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد " (٣)
ومما يذكر عن بعض العلماء في استدلالهم بآية النظام والابداع والتقدير
وعلى وجود الله ووحدانيته .

١ - يذكر عن أبي حنيفة أنه حاج قوما من الملاحدة الديريين فقال لهم : ما
تقولون في رجل يقول لكم : إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال ملوئة من
الأثقال قد احتوشها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة وهي من
بينها تجرى مستوية ليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يدفعها هل يجوز

(١) يسن آية ٣٢٥ - ٤٤٠ .

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التفسير باب سورة الجاثية ٥٧٤/٨

صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها باب النهى عن سب
الدير ٢/١٥ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التفسير باب سورة قل هو الله أحد

ذلك في العقل؟ قالوا : لا هذا شيء لا يعتقد العقل . فقال أبو حنيفة
: يا سبحان الله ! إذا لم يجز في العقل سفينة تجرى في البحر مستوية من غير
متعهد ولا مجرى ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتفسير
أعمالها وسعة أطرافها وتباين أكتافها من غير صانع وحافظ ؟ فهبت القوم
(١)
• وأنحموا " .

٢ - وقال أعرابي : البعرة تدل على البعير والروث على الحبير وآثار الأقدام على
السير . فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أما
(٢)
تدل على الصانع الحكيم العليم القدير ؟

٣ - قال العلماء :

أ - لو كانت قشرة الأرض أسك ما هي عليه بمقدار بضع أقدام ، لنقض ثانى
أكسيد الكربون والأكسجين ولما أمكن وجود حياة ؟ فمن الذي جعل
سلك قشرة الأرض على ما هي عليه الآن لم تزد ولم تنقص ؟ أمصادفة هي أم
(٣)
طبيعة ؟ كلا إنه تدبير العزيز العليم .

ب - لو أن شمسنا أعطت نصف اشعاعها الحالي لكنا نتجمدنا ولو أنها زادت
بمقدار النصف لكنا رمادا منذ زمن بعيد . فمن الذي جعل حرارتها
ثابتة ؟ ومن الذي جعل تلك الحرارة بهذا المقدار الذي هي عليه ؟
(٤)
أمصادفة هي أم طبيعة ؟ كلا إنه تدبير العليم الحكيم .

-
- (١) مفاتيح الغيب للرازي ٩٩/٢ ، شرح العقيدة الطحاوية للعزبين أبي العز
ص ٣٨ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٨/١ .
(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٩٩/٢ - ١٠٠ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ٥٨/١ .
(٣) ، (٤) الله لسعيد حوى
، الموسوعة العلمية الميسرة لنقولا شاميين ود . يوسف دياب وأحمد الخطيب
ص ٢٠ ، ص ١٠ - ١١ . ط مكتبة لبنان ١٩٨٤ م .

ج - لو كان الاكسجين بنسبة ٥٠% أو أكثر في الهواء بدلا من ٢١% فإن جميع المواد القابلة للاحتراق في العالم تصبح عرضة للاشتعال لدرجة أن أول شرارة في البرق تصيب شجرة لا بد أن تلهب الغاية كلها فمن الذي قدره بهذه النسبة الموجودة عليها الآن ؟ أوجدت عن طريق المصادفة أم أوجدتها الطبيعة ؟ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا . (١)

د - لولا قوانين الحرارة لما تبردت الأرض ولما كانت صالحة للحياة ولولا الجبال لتناثرت الأرض ولما كان لها مثل هذه القشرة الصالحة للحياة أصدفة هي أم طبيعة؟ (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) (٢) (٣)

٤ - وقال مرت ستانلى كونجدن : (كيف يتسنى لنا أن نفرس هذه العمليات المعقدة المنظمة تفسيرا يقوم على أساس المصادفة والتخييط العشوائى ؟ وكيف نستطيع أن نفرس هذا الانتظام فى ظواهر الكون والعلاقات السببية والتكامل والغرضية والتوافق والتوازن التى تنتظم سائر الظواهر وتمت آثارها من عصر إلى عصر ؟ كيف يعمل هذا الكون دون أن يكون له خالق مدبر هو الذى خلقه وأبدعه ودبر سائر أموره ؟ إن جميع ما فى الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدل على قدرته وعظمته . وعند ما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيدى الله وعظمته . وذلك هو الله الذى لانستطيع أن نصل اليه بالوسائل العلمية المادية وحدها ، ولكننا نرى آياته فى أنفسنا ، ونسى كل ذرة من ذرات هذا الوجود ، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته) (٤) (٥)

٥ - وقال بول كلارنس أيرسولد : (إن الأمر الذى نستطيع أن نشق به كل الثقة هو أن

(١) ، (٢) الله لسعيد حوى ، الموسوعة العلمية الميسرة ص ٢٨ . (٣) النمل آية (٦٤) .

(٤) الله يتجلى فى عصر العلم للفيق من العلماء ص ٢٠ .

الإنسان وهذا الوجود من حوله لم ينشأ هكذا نشأة ذاتية من العدم المطلق ، بل إن لها بداية ، ولابد لكل بداية من مبدئ . كما أننا نعرف أن هذا النظام الرائع المعقد الذي يسود هذا الكون يخضع لقوانين لم يخلقها الإنسان ، وأن معجزة الحياة في حد ذاتها لها بداية كما أن وراءها توجيها وتدييرا خارج دائرة الإنسان ، إنها بداية مقدسة ، وتوجيه مقدس ، وتدير الهى (١)
محكم ()

٦ - وقال جون وليام كلونس : (إن هذا العالم الذي نعيش فيه قد بلغ من الاتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض الصدفة . إنه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدير ، والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أسمى . ولا شك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة ، وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن إيماننا بوجوده) (٢)

٧ - وقال دونالد روبرت كار (يتجلى التوافق بين العلوم والدين في ذلك التشديد الدينى الذى استمع اليه تتغنى به الملايين في أمريكا والذي ربما كان تأليفه من وحى الكشوف العلمية الحديثة التي تمت في السنوات الأخيرة . ويقول هذا اللحن : يا إلهى العظيم !! عند ما أنظر بعجب ورهبة إلى كل العوالم الستى صنعتها يداك . وأبصر النجوم وأسمع هدير الرعد وزمجرتة . عندئذ تتجلى لى قوتك في كل أرجاء الكون عندئذ تغنى روحى وتناجى إلهى الكبير : ما أعظم ابداعك ! ما أعظم ابداعك) (٣)

(١) الله يتجلى في عصر العلم للغير من العلماء ص ٣٨

(٢) المرجع نفسه ص ٤٦ .

(٣) المرجع نفسه ص ٨٧ .

قال الشيخ موزون : (وهكذا يا حيران يتناول القرآن الذي نزل على الإنسان الأسمى نزل على الإنسان الأسمى في الجزيرة الأسمى جميع الحجج العقلية البالغة والبراهين الساطعة الدامغة التي قضى العلماء والحكماء أعمارهم حتى توصلوا إليها وتلاقوا عليها - بهدى القرآن وبهدى الله الذي أنار عقولهم - فيقررونها بأبلغ عبارة وأوجز إشارة والطف تشبيه وأصدق تشبيه تقريراً معجزاً يبرز فيه من تلك الحجج والبراهين ما يصلح لإدراك الجاهل ويخفي منها تحت الأعماق للأجيال ما لا يستطيع الغوص فيه إلا العالمون) .
(١)

أكل هذا الأبداع والاتقان والنظام والانتظام والتدبير والتقدير وجد مصادفة أو عن طريق الطبيعة أو وجد من غير موجود ؟ قتل الإنسان ما أشد كفره وجحوده وانكاره .

إن هذه الحجج التي وردت في الكتاب والسنة هي أبلغ الحجج ولا شيء أبلغ منها . وتلك البراهين هي أسطع البراهين ولا شيء أسطع منها فإذا لم يخضع المخلوق لهذه الحجج وتلك البراهين فقد خاب وخسر : ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ .
(٢)

(١) قصة الإيمان للشيخ نديم الجسر ص ٢٨٦ .

(٢) النور آية ٤٠ .

ثانيا : الحجج والبراهين في إثبات الرسالة :-

ما أكثر الحجج وأصدق البراهين في إثبات نبوة خاتم الانبياء
والمرسلين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه . وعلى رأس تلك
الحجج ما يلي :-

١ - القرآن .

٢ - المعجزات .

٣ - إخباره عن غيوب وقعت كما أخبر .

٤ - سيرته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة .

٥ - الإشارة به في الكتب السابقة

أولا : القرآن :

إن القرآن كلام الله رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلب نبيه محمد
الصادق الكريم بلسان عربي مبين ليبلغه للناس ، ولينذر به العالمين ،
وليكون حجة ودليلا على نبوته . فهو أبهر وأظهر وأقوى الأدلة على صدق
الرسول صلى الله عليه وسلم في نبوته . عن أبي هريرة رض الله عنه قال :
قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات
ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي . فأرجو أن
(١)
أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة " .

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي
وأول ما نزل ٣/٩ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب وجوب
الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ١٨٦/٢ .

قال ابن حجر : (عند قوله صلى الله عليه وسلم : " إنما كان الذى أوتيته
وحيا أوحاه الله الى " : (أى أن معجزتى التى تحدث بها • الوحي الذى
أنزل على وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح) • (١)
وقال أيضا : (ومعنى
الخصر فى قوله : " إنما كان الذى أوتيته وحيا " أن القرآن أعظم المعجزات
(٢)
وأفيدها وأدومها لاشتماله على الدعوة والحجة ودوام الانتفاع به إلى آخر الدهر) •
إن نبوة نبينا عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام بنيت على معجزة القرآن ، وإن
كان قد آتد بعد ذلك بمعجزات أخرى حسية كثيرة • إلا أن الرسول صلى الله
عليه وسلم قد جعل القرآن فى بداية أمره الدليل المطلق على صحة نبوته •
قال الباقلانى : (فأما الذى يبين ما ذكرناه من أن الله تعالى حين ابتعثه
جعل معجزته القرآن ونهى أمر نبوته عليه • سور كثيرة وآيات كثيرة تذكّر بعضهم
ونبيه بالمذكور على غيره • فليس يخفى بعد التنبيه على طريقه • فمن ذلك قوله
تعالى : ﴿ الر كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ
رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ • فأخبر أنه أنزله ليقع الاهتداء به ، ولا يكون
(٣)
كذلك إلا وهو حجة ، ولا يكون حجة إن لم يكن معجزة • وقال عز وجل : ﴿ وان
(٤)
أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ • فلولا أن سماعه
(٥)
إياه حجة عليه ، لم يقف أمره على سماعه ولا يكون حجة إلا وهو معجزة) • ثم

-
- (١) فتح البارى لابن حجر العسقلانى • ٦/٩ •
 - (٢) المرجع نفسه ٢٤٨/١٣ •
 - (٣) إبراهيم آية ١ •
 - (٤) التوبة آية ٦ •
 - (٥) اعجاز القرآن للباقلانى (ت : ٤٠٣) ص ١١ - ١٢ •

ذكر امثلة اخرى الى ان قال : (فبان بهذا ونظائره ما قلناه من ان بناء نبوته

(١)

صلى الله عليه وسلم على دلالة القرآن ومهجزته) .

(٢)

وقال ابن تيمية : (وهذا الكلام الذى انزل عليه هو آية وبرهان على نبوته) .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتج على المشركين فى اثبات نبوته بالقرآن ليل نهار ويدعوهم صباحا ومساء الى ان يعارضوه ان كان كاذبا بمثل القرآن او بعشر سور مثله مفتريات او بسورة واحدة من مثله فلم يستطيعوا بل انه كلما ازداد تحديا لهم بها وتقربا لعجزهم عنها ، تكشف عن نقصهم ما كان مستورا ، وظهر منه ما كان خفيا . تحداهم بمثله فقالوا له حين لم يجدوا حيلة ولا حجة : أنت تعرف من اخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك لا يمكننا ان نأتى بمثل الذى تقول . قال لهم متحد يا ايضا : " فهاتوا عشر سور مثله مفتريات . فلم يرم ذلك خطيب ، ولا طمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلفه لظهر سخفه وضلاله فظهر يذ لك للعاقل عجز القوم عن الاتيان بمثله مع أنهم ارباب الفصاحة والبلاغة ، وكانوا شديدا للعداوة له . فلو جاءوا بسورة واحدة لكانت أنقض لقوله ، وأفسد لأمره ، وأبلغ فى تكذيبه ، وأفعل فى اطفاء أمره ، وأنجع فى تحطيم دعوته ، وتفريق الناس عنه . فدل هذا على أنه اختصر بالقرآن ليكون دلالة على نبوته .

قال الزرقانى : (ومن عجيب امر هذا القرآن ، وأمر هؤلاء العرب ، أنه

طاولهم فى المعارضة ، وتنازل لهم عن التحدى بجميع القرآن الى التحدى بعشر سور مثله ثم الى التحدى بسورة من مثله . وهم على رغم هذه المطاولة ينتقلون من

(١) المرجع نفسه ص ١٩ .

(٢) الفتاوى لابن تيمية ٢٦٦/١٦ .

عجز إلى عجز ، ومن هزيمة إلى هزيمة • وهو في كل مرة من مرات هذا التحدي ،
وهذه المطاولة ، ينتقل من فوز إلى فوز ، ويخرج من نصر إلى نصر • تصوّر انه قال
لهم في سورة الطور أول ما تحداهم : ﴿ أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا
بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ (١) • فلما انقطعوا مدّ في الحبل وقال في سورة
هود : ﴿ أم يقولون انترس له قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم
من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله
وإن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ﴾ (٢) • فلما عجزوا عن هذه أيضا طاولهم مرة
أخرى وأرخص لهم الحبل إلى آخره وقال في سورة البقرة : ﴿ وإن كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شيعتكم من دون الله إن كنتم صادقين
﴿ إن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ (٣)
فكان عجزهم أشنع وأبشع • وسجل الله عليهم الهزيمة أبد الدهر • فلم يفعلوا ولن
يفعلوا • ودحضت حججهم ، وافتضح أمرهم ، وظهر أمر الله وهم كارهون • (٤)

والحكمة من هذا التحدي هو أن يشهد التاريخ في كل عصر وزمان ، عجز
العرب وضحهم عن الاتيان بمثله ، أو بسورة منه • ومنهم الخطباء والشعراء والنصحاء
وأصحاب الألسن والبيان • وليقيم الحجة عليهم وعلى من يأتي بعدهم إلى قيام
الساعة أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو رسول مرسل من عند رب العالمين •

(١) الطور آية ٣٣ - ٣٤ •
(٢) هود آية ١٣ - ١٤ •
(٣) البقرة آية ٢٣ - ٢٤ •
(٤) مناهل العرفان للزرقاني ٢٢٩/٢ - ٢٣٠ •

حقاً ان القرآن هو المعجزة الكبرى ، والبرهان القاطع على
صححة نبوة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم . فهو
حين تحدى العرب منهم بالحجة فلم يقندوا على الاتيان
بمثله أو بسورة من مثله عجزا منهم ووعثا ، لا تهاونا ولا تخافلا
ولا ضمنا ، لأن الاتيان بمثله سورة منه لان كفايا ان يكفيمهم
شرقتل انفسهم واولادهم خاصة اذا علمنا أن التقرير
بالعجز أشد على نفس العربي والبدوي خاصة من
أى أمر آخر ، لصاعى طباعهم من الأنفة والكبرياء فكيف
ومحمد صلى الله عليه وسلم يتحداهم فى أخص خصائصهم
وأفضل مميزاتهم وهو البيان ، وعم أئمة الفصاحة وفوسان
البلاغة . بضاعتهم الكلام ، والتفنن فى اجادته ،
وصناعتهم التفاضل فى الشعر ودياجتته ، والشعر
ورونعه ، وكرامتهم مرتبطة بما يجيدون فى هذا الباب ،
حتى بلغوا فى هذا الميدان شأوا لا يبارى ،
وظيفة لا تدرك . ان صدور هذا التحدى من الرسول
الكريم محمد صلى الله عليه وسلم مع استخذاء
هؤلاء وانصرافهم عن البرد عليه وعن اسكانه ،
مع توغرد واعى المعارضة كما أسلفنا ليو من أدل الأدلة ، وأتموى

البراهين • وأعمق الحجج على أن هذا القرآن الكريم هو كلام علام الغيوب قاهر
الأسنة ومقلب القلوب • وأن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن أن يكون
مصدر هذا الكتاب • ولا منبع هذا الفيض • بل قصاره أنه مهبط هذا التنزيل وأنه
رسول من رب العالمين يتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ليلفحه للعالمين • وصدق
الله حين قال : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله
وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك
لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ • قال ابن كثير : (ثم قال تعالى مبينا كثرة جهلهم
وسخافة عقولهم • حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما
جاءهم • وقد جاءهم • بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه • الذي هو أعظم من كل معجزة • إذ عجزت النصحاء والبلغاء عن معارضته
• بل عن معارضة عشر سورة من مثله • بل عن معارضة سورة منه فقال تعالى : ﴿ أو لم
يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ • أي أو لم يكفهم آية أنا أنزلنا عليك
الكتاب العظيم الذي فيه خير ما قبلهم ونبأ ما بعدهم • وحكم ما بينهم • وأنت رجل
أبى لا تقرا ولا تكتب • ولم تخالط أحدا من أهل الكتاب فجتتهم بأخبار ما فسى
الصحف الأولى ببيان الصواب مما اختلفوا فيه وبالحق الواضح البين الجلى)
(٣)

(١) انظر كتب علوم القرآن واعجازه وعلى رأسها اعجاز القرآن للباقلاني والرافعي •

(٢) العنكبوت آية ﴿ ٥٠ — ٥١ ﴾ •

(٣) تفسير ابن كثير : ٤١٨/٣ •

٢ - المعجزات :

- ما أكثر المعجزات التي أظهرها الله على يد المصطفى صلى الله عليه وسلم ،
لقد بلغت حدّاً من الكثرة فاق كل ما أيد الله به الرسل السابقين ، وكانت تلك
المعجزات بمثابة الدليل الأكبر والبرهان الأتم على نبوته صلى الله عليه وسلم . فمن
تلك المعجزات : ^(١) حادثة انشقاق القمر ، وإظهار بيت المقدس ، وإبرأؤه لعين علي ^(٢)
ابن أبي طالب يوم خيبر ، ونعيه لجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثه وعبد الله بن ^(٣)
رواحه في معركة مؤتة قبل أن يجيء خبر وفاتهم ، ونبع الماء بين أصابعه ، وإسلام ^(٤)
أم أبي هريرة رضي الله عنه ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم لها ، ونزول الغيث ببركة ^(٥)
دعائه ، وحنين جذع النخلة ، وتسميع الطعام بين يديه ، وتكثير الطعام ببركته . ^(٦)
^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠)

- (١) أنظر سورة القمر آية ١ - ٥ ، صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب
باب سؤال المشركين أن يرهبهم النبي آية فأراهم انشقاق القمر ٦ / ٦٣١ ، صحيح
مسلم بشرح النووى كتاب صفة لقيامة والجنة والنار باب انشقاق القمر ١٧ / ١٤٤ - ١٤٥ .
(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب مناقب الأنصار باب حديث الإسراء ٧ / ١٩٦ .
(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب فضائل الصحابة باب مناقب علي ابن أبي طالب
٧ / ٧٠ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب من فضائل علي ابن أبي
طالب ١٧٧ / ١ - ١٧٨ .
(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الإسلام ٦ / ٦٢٨ .
(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الإسلام ٦ / ٥٨٠ .
صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب فى معجزات النبي ١٥ / ٣٨ - ٣٩ .
(٦) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب فضائل أبي هريرة ١٦ / ٥١ - ٥٢ .
(٧) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الإسلام
٦ / ٥٨٨ .
(٨) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الإسلام
٦ / ٦٠١ - ٦٠٢ .
(٩) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الإسلام ٦ / ٥٨٧ .
(١٠) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب علامات النبوة فى الإسلام ٦ / ٥٨٦ .
٥٨٧ -

(١)

وسداده لدين جابر بن عبد الله مع بقاء تمر جابر كما هو أكثر ونحو قوائم فرس سراقه

(٢)

ابن مالك بن جعشم حين اتباعه للرسول في الهجرة واستجابة دعائه حينما جاءه اغرابي

(٣)

فقال: يا رسول الله هلكت القراع هلكت الشاة فادعوا الله ان يسقينا فسقوا ببركة دعائه

(٤)

ودعاؤه لعروة بن الجعد بالبركة في بيته وغرفة في رداءه أين غريبه بيديه فلم يعد ينسى

(٦)

(٥)

شيئا إلى غير هذا من المعجزات الكثيرة التي تدل دلالة واضحة بيينة على أن محمدا

رسول حقا من عند الله .

(١) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٥٨٧

(٢) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٦٢٢

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٥٨٨

(٤) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب ٦/٦٣٢ .

(٥) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب ٦/٦٣٣ .

(٦) للمزيد من معجزاته أنظر الكتب التالية :-

الطبقات الكبرى لابن سعد (ت : ٢٣٠) ط . دار صادر بيروت .

دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ت : ٤٣٠) .

دلائل النبوة للبيهقي (: ٤٥٨) ط ٠ ٨٩ هـ - ٦٩ م دار النصر للطباعة

الشفاء للقاضي عياض (ت : ٥٤٤) ط ٠ دار الكتب العلمية بيروت ٩٩ هـ - ٧٩ م

الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزي (ت : ٥٩٧) ط ١ مطبعة السعادة بصرة ٨٦ هـ - ٦٩ م

شمائل الرسول لابن كثير ط دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

الخصائص الكبرى للسيوطي (ت : ٩١١) ط دار الكتب الحديثة .

المعجزات المحمدية إعداد وترتيب وليد الأعظمي ط ٠ ٩٧ هـ - ٧٧ م بيروت .

وغيرها من الكتب المؤلفة في هذا الفن وعلى رأسها الكتب الستة .

إن أي إنسان كائنا ما كان ، بالناس منها بلغ من النبوغ والذكاء والحقيرة والفتنة والكياسة لن يتجرأ على التنبؤ بالمستقبل إن كان صادقا فيما يدعيه ، لأن المستقبل بالنسبة له غيب وحجاب مستور ، وقد يخبر بالشئ فيقع عكسه ، فيظهر كذبه في ادعائه وعدم صدقه ، وتتضح حقيقة أمره وينجلي أفكه وبهتانته . أما محمد بن عبد الله الرسول العريسي الأمل الذي لا ينطق عن الهوى فقد كشف الله له حجاب الغيب المستور وأعلمه بما شاء لتظهر حقيقة نبوته وصدق رسالته كما قال تعالى : ﴿ علم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالتك ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ﴾ . لهذا السبب وحده - وهو كون محمد رسولا من عند الله مؤيدا بالوحي من عند الله - أخبر عن بعض الغيوب القريبة والبعيدة ، فحدثت ووقعت كما أخبر ، فظهر بذلك صدقه في نبوته وأنه رسول رب العالمين .

فمن تلك الأخبار التي وردت في القرآن ما يلي :-

١ - إخباره عن غلبة الروم بعد هزيمتهم من فارس وقد وقع الأمر كما أخبر (١) .

٢ - إخباره عن اليهود وأنهم لا يتمنون الموت مع ادعائهم أنهم أولياء الله وقد وقع الأمر كما أخبر (٢) .

- (١) أنظر جامع البيان في تفسير أي القرآن للطبري ١٦/٢١ - ٢١ ، الكشاف للزمخشري ٢١٤/٣ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢٨٦/٦ - ٢٨٩ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/١٤ - ٧ ، مفاتيح الغيب للرازي ٩٦/٢٥ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ٤٢٢/٣ - ٤٢٧ .
- (٢) أنظر جامع البيان في تفسير أي القرآن للطبري ٣٦١/٢ - ٣٧٠ ، الكشاف للزمخشري ٢٩٧/١ - ٢٩٨ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١١٦/١ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٢/٢ - ٣٣ ، مفاتيح الغيب للرازي ١٨٨/٣ - ١٩٢ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ١٢٧/١ - ١٢٨ ، إثبات نبوة النبي لأحمد بن الحسين بن هارون البهاروني الحسن بن الزيد . ط .
- المتنبية العلمية .

- ٣ - دعاؤه النصارى للمباهلة ونكوصهم عنها . (١)
- ٤ - إخباره عن عصمة الله له من الناس وقد وقع الأمر كما أخبر . (٢)
- ٥ - إخباره عن هزيمة يهود بني قينقاع بعد هزيمة قريش في بدر وقد وقع الأمر كما أخبر . (٣)
- ٦ - إخباره عن هزيمة قريش يوم بدر . وقد وقع الأمر كما أخبر . (٤)
- ٧ - إخباره عن قول وموقف المنافقين من يهود بني النضير حين حاصرهم رسول الله وقد وقع الأمر كما أخبر . (٥)

- (١) أنظر جامع البيان في تفسير آي القرآن للقرطبي ٤٧٣/٦ - ٤٧٥ ، الكشاف للزمخشري ٤٣٤/١ - ٤٣٥ ، زاد السير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٩٩/١ - ٤٠٠ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠٤/٤ ، مفاتيح الغيب للرازي ٧٨/٨ - ٨٣ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ٣٦٨/١ - ٣٧١ ، صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المغازى باب قصة أهل نجران ٣/٨ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي عبيد ، ابن الجراح ١٩٢/١٥ .
- (٢) جامع البيان في تفسير آي القرآن ٤٦٧/٩ - ٤٧٢ ، الكشاف للزمخشري ٦٣٠/١ - ٦٣١ ، زاد السير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٩٦/٢ - ٣٩٧ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٣/٦ - ٢٤٤ ، مفاتيح الغيب للرازي ٥٠/١٢ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ٧٨/٢ - ٧٩ ، صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الجهاد باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائله ٩٦/٦ .
- (٣) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٢٢٦/٦ - ٢٤٣ ، الكشاف للزمخشري ٤١٤/١ - ٤١٥ ، زاد السير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٥٥/١ - ٣٥٨ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤/٤ - ٢٧ ، مفاتيح الغيب للرازي ١٨٧/٧ - ١٩٣ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ٣٥٠/١ .
- (٤) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ١٠٨/٢٧ - ١٠٩ ، الكشاف للزمخشري ٤١/٤ ، زاد السير في علم التفسير لابن الجوزي ١٠٠/٨ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٥/١٧ - ١٤٦ ، مفاتيح الغيب للرازي ٢٧/٢٩ - ٦٨ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ٢٦٦/٤ .
- (٥) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٤٥/٢٨ - ٤٦ ، الكشاف للزمخشري ٨٥/٤ ، زاد السير في علم التفسير لابن الجوزي ٢١٧/٨ - ٢١٨ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٤/١٨ ، مفاتيح الغيب للرازي ٢٨٨/٢٩ - ٢٨٩ ، تفسير ابن كثير لابن كثير ٣٤٠/٤ .

٨ - إخباره عن اتفاق المشركين أموالهم لتجهيز الجيش الذاهب إلى معركة أحد وان

(١)

• الدائرة ستكون عليهم وقد وقع الأمر كما أخبر

ومن تلك الأخبار التي وردت في السنة ما يلي :-

١ - إخباره عن الكتاب الذي بعث به حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم بمسزم

(٢)

• رسول الله على فتح مكة • وقد وقع كما أخبر

(٣)

٢ - إخباره عن فتح مصر ومقاتلة رجلين في موضع لينه فيها • وقد وقع الأمر كما أخبر •

(٤)

٣ - إخباره عن ركوب ابنة ملحان البحر وقد وقع الأمر كما أخبر •

(٥)

٤ - إخباره عن فتح فارس وغيرها من الأمور وقد وقع الأمر كما أخبر •

(١) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ١٢٩/١٣ - ١٣٠، الكشاف للزخشري

١٥٦/٢ - ١٥٧، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٥٥/٤ - ٣٥٦،

مفاتيح الغيب للرازي ١٦٠/١٥ - ١٦١، تفسير ابن كثير لابن كثير ٣٠٧/٢٠ •

(٢) أنظر كتب التفسير في تفسير سورة الممتحنة عند قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّي أَوْلِيَاءَ ۗ ﴾ الآية •

وأنظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب فضائل حاطب بن أبي

بلتعة وأهل بدر ٥٦/١٦ •

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب فضائل الصحابة باب وصية النبي صلى الله

عليه وسلم بأهل مصر ٩٦/١٦ - ٩٧ •

(٤) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الجهاد باب غزو المرأة فسى

البحر ٧٦/٦ •

(٥) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام ٦١٠/٦

- ٦١١، السنن الكبرى للبيهقي كتاب السير باب إظهار دين النبي

على الأديان ١٧٧/٩ •

- ٥ - إخباره عن الخوارج وأن آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل
(١) (٢) (٣) (٤)
البضعة تدردر • وقد وقع الأمر كما أخبر •
- ٦ - إخباره عن الحسن أنه سيد ^{به} ويصلح الله بين فئتين من المسلمين وقد وقع الأمر كما
(٥)
أخبر •
- ٧ - إخباره عن قتال علي ومعاوية رضي الله عنهما • وقد وقع الأمر كما أخبر •
(٦)
- ٨ - إخباره عن خروج مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وقد وقع الأمر كما أخبر •
(٧)
- ٩ - إخباره عن حدوث قتل بأصحابه يوم أحد • وانتصاره على قريش في يوم الفتح وقد وقع
(٨)
الأمر كما أخبر •
- ١٠ - إخباره أن فاطمة رضي الله عنها هي أول الناس لحوقاً به بعد وفاته • وقد وقع الأمر
(٩)
كما أخبر •

-
- (١) العضد ما بين الكف والمرفق • النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢٥٢/٣ •
- (٢) أي قطعة اللحم • النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٣٣/١ •
- (٣) أي ترجح تجيء وتذهب • النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١١٢/٢ •
- (٤) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة
في الاسلام ٦١٨/٦ •
- (٥) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة
في الاسلام ٦٢٨/٦ •
- (٦) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام
٦١٦/٦ - ٦١٧ •
- (٧) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام ٦٢٧/٦ •
- (٨) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام ٦٢٧/٦ •
- (٩) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام ٦٢٨/٦ •

١١ - إخباره عن حصول الأنماط للصحابة^(١) ووقع الأمر كما أخبر^(٢).

ولهذه الآيات والأحاديث في الكتاب والسنة نظائر وأشباه ، وفيما ذكرنا كفاية وبلاغ

لمن نصح نفسه وأنصف عقله وثاب إلى رشده ، ليعلم من خلالها وعلى ضوءها أن

محمدًا رسول حقًا من عند الله .

(١) الأنماط : ضرب من البسط له خمل رقيق واحد ها : نمط . النهاية في غريب

الحديث لابن الأثير ١١٩/٥ .

(٢) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام

• ٦٢٩/٦

٤ - سيرته قبل البعثة :-

إن أي ناظر وباحث ومطلع على سيرة الصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته ، يجد كيف كان صلى الله عليه وآله وسلم متخليا بالأخلاق الفاضلة متجملا بالآداب السامية . لم تؤثر عنه كذبة واحدة ، أو نقض للعهد واخلاف للموعد ، بل كان مثال الأمانة والصدق والوفاء والحلم والشجاعة . حتى إنه كان يلقب قبل الرسالة بالصادق الأمين .

لقد كان صلى الله عليه وآله وسلم مثالا عاليا وقدوة سامقة في كل مجال من مجالات الحياة . كان معروفا برجاحة عقله ورزانة رأيه . لم يسجد لصنم قط وما شرب خمرا قط . ما عاهد فغدر ، ولا خاصم ففجر ، ولا حدث فكذب ، ولا أو تمن فخان . كان كل من رآه أحبه ، ومن عاشره عرف أنه ليس بكذاب . كان مشهورا بين قومه بالشرف والمرؤة والكرامة . لم يشارك قومه في لهوهم ولا لعبهم ولا مجونهم وفسقهم . لم تعرف له هفوة أو زلة ، بل كانت تبتدو عليه ملامح النجابة والذكاء والفتنة .

إن سيرته صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته تدل دلالة واضحة كاملة قاطعة جازمة على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم . وقد استدل صلى الله عليه وآله وسلم على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة . وذلك عند ما طلب المشركون منه أن يأتهم بقرآن غير الذي جاءهم به أو يبدله فأجابهم : ﴿ قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن اتبع إلا ما يوحى إليّ إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدريكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ﴾ (١) . أربعمون عاما لبثت فيكم خبرتم فيها حالي وعرفتم فيها شأني ،

(١) يونس آية ١٥ - ١٦ .

فهل كان من شأني الكذب ؟ وهل كان من حالي الافك والبهتان ؟ أفلا تعقلون ؟ فتعرفون أني رسول من عند الله رب العالمين • وقد ذكرهم الله عز وجل بصحبته لهم - حين رموه بالجنون والسحر والكهانة - فقال مذكرا لهم : ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ (١) أي وما صاحبكم الذي عرفتموه وعاشرتموه ، وعرفتم رجاحة عقله ورزانة رأيه ، وحكمتوه فيما بينكم في وضع الحجر الأسود حين اختلفتم ، وقتلتم حين رأيتموه : هذا الصادق هذا الأمين رضينا به حكما • أيكون من عرف بهذا مجنونا أو كاهنا أو ساحرا ؟ سبحانه ربي هذا بهتان عظيم !! وقال تعالى : ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ﴾ • قال ابن كثير : (أي أنهم لا يعرفون محمدا وصدقته وأمانته التي نشأ بها فيهم : أي أفقدون على إنكار ذلك والباهة فيه) (٢)

وقد استدلت زوجته خديجة رضي الله عنها على نبوته بسيرته قبل البعثة حيث قالت له لما أخبرها بما حدث له في ظار حراء : (كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق) (٤) • كذلك أبو بكر الصديق وغيره من الأصحاب آمن برسول الله لما عرف من سيرته وصدقته وأمانته وعفته •

وكذلك هرقل ملك الروم استدل على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم من سيرته حيث قال لأبي سفيان في المحاورة التي جرت بينه وبين أبي سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث سأله عدة أسئلة عن حاله وسيرته ثم قال

(١) التكوير آية ﴿٢٢﴾ •

(٢) المؤمنون آية ﴿٦٩﴾ •

(٣) تفسير ابن كثير لابن كثير ٢٥٠/٣ •

(٤) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب التفسير باب سورة اقرأ ٧١٥/٨ •

(١) مخاطبا لأبي سفيان : (إن يكن ما تقول فيه حقا فانه نبي) .

قال القاضي عياض : (وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كما له وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتري في صحة نبوته وصدق دعوته) .

واليك الآن شهادة الخصوم قبل الأتباع والأعداء قبل الأصدقاء عن سيرته لستري وتوقن من خلالها أن محمدا رسول حقا من عند الله وأنه لم يكن له غرض شخصي أو ذاتي أو غير ذلك من الصالح والمطامح الدنيوية :-

١ - لقد كانت قريش كلها تسمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل نبوته وبعثته بالصادق الأمين فعندما اختلفت قريش في وضع الحجر الأسود واتفقوا على أن يحكموا أول داخل عليهم فإذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أول داخل عليهم فقالوا مباشرة : (هذا الأمين رضينا هذا محمد) . (٣)

٢ - ولما أراد إنداز قومه وتبليغهم أمر الله سعد على جبل الصفا وقال لهم : " أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ " قالوا : نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط . (٤)

٣ - وقال أبو جهل عليه لعنة الله للأخنس بن شريق حين سأله عن رأيه في محمد

(١) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الجهاد باب دعاء النبي الناس إلى الاسلام والنبوة ١١١ - ١٠٩/٦ .

صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجهاد والسير باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم ١١١ - ١٠٣/١٢ .

(٢) الشفاء للقاضي عياض ٢٤٦/١ - ٢٤٧ دار الكتب العلمية بيروت ط ٧٩/٩٩م .

(٣) سيرة ابن هشام لابن هشام القسم الاول ص ١٩٧ ، تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢٠١/٢ .

(٤) الطبقات لابن سعد ٢٠٠/١ ، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ٢١٦/٢ ، وانظر

الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١٨٣/١ .

(١)

وهل محمد صادق أم كاذب ؟ : (والله إن محمداً لصادق وما تكذب محمد قط) .

٤ - وقال الوليد بن المغيرة لقريش : (إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه وأيا لا يكذب
بعضكم بعضاً . فقالوا : نقول كاهن . قال : والله ما هو بكاهن ، ما هو بزمزمته
ولا سجعه . قالوا : مجنون . قال : ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته . قالوا :
فنقول شاعر . قال : ما هو بشاعر . قعد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه ، وقريضه
ومبسوطه . ومقبوضه ، ما هو بشاعر . قالوا : فنقول ساحر . قال ما هو بساحر ولا نفته
ولا عقده . قالوا : فما نقول ؟ قال : ما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا وأنا أعرف
أنه باطل ، وإن أقرب القول أنه ساحر ، فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه ، والمرء
وأخيه ، والمرء وزوجه ، والمرء وعشيرته . فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون
(٢)
الناس) .

٥ - وقال أنيس أخو أبي ذر الغفاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما بعثه
(٣)

أخوه أبو ذر لياتيه بخبره : (إنه لصادق وإنهم لكاذبون) .

أبعد ظهور هذا الكلام وبيان رأيهم فيه بمثل هذه الصراحة والنزاهة التي عرف
بها العرب يشك إنسان غافل في نبوته ؟ أو يمتري من يمحس الحق في رسالته ؟ كلا إن
محمداً رسول حقاً من عند الله وما أحسن ما قاله عبد الله بن رواحه :-

(٤)

لو لم تكن فيه آيات بينه
لكان منظره يبيك بالخبر

(١) الشفاء للقاضي عياض ٣٤٩/١ .

(٢) سيرة ابن هشام لابن هشام ٢٧٠/١ - ٢٧١ ، وانظر الشفاء للقاضي عياض ٢٦٥/١ ،
الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزي ٢٠٤/١ ، البداية والنهاية لابن كثير ٦١/٣ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٢٠/٤ .

(٤) الشفاء للقاضي عياض ٢٤٩/١ .

٥ - البشارة به في الكتب السابقة :-

ما أكثر ما وردت العبارات في الكتب السابقة كاللتوراه والانجيل في التبشير به صلى الله عليه وآله وسلم . وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة في أكثر من سورة ، فهو قد أخبر أن الله قد أخذ الميثاق على جميع الأنبياء أن بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وهم أحياء أن يؤمنوا به ويصدقوه ، وأن يأمرؤا أتباعهم باتباعه صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَتَرَرْنَا قَالَ أَفَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾

وأخبر أن عيسى عليه السلام قد بشر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال على لسان عيسى مخاطباً بني إسرائيل : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ وأخبر كذلك أيضاً أنهم يجدون صفته صلى الله عليه وآله وسلم مكتوبة في كتبهم قال تعالى : ﴿ وَرَحِمْتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ فَسَاكِبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاذْهَبْ مِنْهُمْ بِرُوحِكَ رُوحًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣﴾

(١) آل عمران آية ﴿٨١ - ٨٢﴾ .

(٢) الصف آية ﴿٦﴾ .

(٣) الأعراف آية ﴿١٥٦ - ١٥٧﴾ .

وأخبر عن اليهود أنهم كانوا يستفتحون به على الأوس والخزرج حينما تقوم بينهم معركة ويهزمون يقولون لهم : سيبعث نبي وسنتبعه ونقاتلهم به قال تعالى : ﴿ ولما جاءهم كتب من عند الله صدق لما معهم ولأنوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ (١)

وأنك لتجد أن البشارة به صلى الله عليه وآله وسلم قد وردت أيضا في كتبهم فمن ذلك ما يلي :-

(٢)
١ - (جاء الرب من سينا وأشرق لنا من ساعير واستعلن من جبل فاران) . ومعلوم أن سينا مهبط الوحي على موسى عليه السلام وانزال التوراة عليه وأن ساعير مهبط الوحي على عيسى عليه السلام وانزال الإنجيل عليه وبقيت فاران والمقصود بها مكة كما دل على ذلك ما جاء في الفصل الحادي والعشرين من سفر التكوين فسي بيان حال اسماعيل عليه السلام هكذا (وكان الله مع الغلام حتى كبر فأقام بالبرية وكان راميا بالقوس وأقام ببرية فاران واتخذت له أمه امرأة من أرض مصر) . ولا شك أن إسماعيل كانت سكناه بمكة .

٢ - جاء عن إشعياء وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل (لأنه قد ولد لنا ولد اعطى لنا ابنا نصارت الرئاسة على كتفه ودعى اسمه عجيبا مشيرا . لها جبارا أبا الأبد رئيس

(١) البقرة آية ١٧٩ .
(٢) الكتاب المقدس طبع بمطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٨٠م ط ٣ . سفر تثنية الاشتراع ١/٣٤٣ . الفصل الثالث والثلاثين .
(٣) الكتاب المقدس سفر التكوين ١/٣٣ ، وانظر في تفسير النص كتاب إظهار الحق للشيخ رحمت الله ابن خليل الرحمن العثماني الكيرانوني ط . دار إحياء التراث الإسلامي . ص ٥٢٧ - ٥٢٨ .

السلام لنمو الرئاسة ولسلام لا انقضاء له على عرشه اود مملكته ليقرها ويوطد ها
(١)

بالانصاف والعدل من الآن الى الأبد) والمقصود به هو الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣ - وجاء عنه أيضا : (لتفرح أرض البادية العطشى ، ولتبتهج البرارى والفلوات ولستره
لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان وكمال حسن الدساكر والرياض) .
(٢)

٤ - وجاء عن حبقوق وهو نبي من أنبياء بنى إسرائيل : (الله يأتى من الجنوب والقديس
من جبل فاران سلاه ، جلاله غطى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه) .
(٣)

٥ - وجاء فى إنجيل يوحنا : (إن كنتم تحبوتى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الأب
فيعطىكم المعزى ليثبت معكم الى الأبد ، روح الحق الذى لن يطيق العالم أن يقبله ،
لأنه ليس يراه ولا يعرفه وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم ، والمعزى الذى
يرسله الأب باسمى هو يعلمكم كل شىء ، وهو يذكركم كل ما قلته لكم ، والآن قد قلت
لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنون) .

٦ - وجاء عنه أيضا : (فأما إذا جاء الفارقليط الذى أرسله أنا اليكم ، روح الحق الذى
من الأب ينبثق ، هو يشهد لأجلى وأنتم تشهدون لأنكم معى من الابتداء) .
(٥)

(١) الكتاب المقدس نبؤه أشعيا ٣٣٥/٢ الفصل التاسع

(٢) الكتاب المقدس نبؤه أشعيا ٣٦٦/٢ الفصل الخامس والثلاثون .

(٣) الكتاب المقدس ٧٠٩/٢ نبؤ حبقوق الفصل الثالث . وانظر الجواب الصحيح لمن
بدل دين المسيح لابن تيمية ٣٠٠/٣ - ٣٠١ ، اغاثة اللهبان من مصائد الشيطان
لابن القيم ٣٦٣/٢ .

(٤) الكتاب المقدس ١٨٦/٣ - ١٨٨ الفصل الرابع عشر ، الفصل الخامس عشر من
انجيل يوحنا . وانظر تفسير النص فى كتاب إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي .
ص ٥٤٨ - ٥٤٩ .

٧ - وجاء في صفة النبي في الزبور :

(١)

: (الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية) وفي انجيل متى من

كلام سيدنا عيسى عليه السلام : (قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب

الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب ، كان

وهو عجيب في اعيننا لذلك أقول لكم : ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمته

(٢)

تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يتعرض ومن سقط هو عليه يسحقه

وهذا اشارة الى الحديث الذي رواه البخارى في صحيحه عن جابر بن

عبد الله رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : " مثلى ومثلى

الانبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسبها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها

(٣)

ويتعجبون ويقولون : لولا موضع اللبنة " وفي رواية هلا وضعت هذه اللبنة ؟

(٤)

قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين "

(١) الكتاب المقدس صفر المزامير المزمور ١١٨ وانظر تفسير النص في كتاب اظهار

الحق ص ٥٤٦ .

(٢) الكتاب المقدس انجيل متى ٢١ من ٤٢ - ٤٤ وانظر تفسير النص في اظهار

الحق ص ٥٤٦ - ٥٤٧ .

(٤٤٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المناقب باب خاتم النبيين صلى الله عليه

وسلم ٥٥٨/٦ .

وبناء على هذا فقد كان الناس عموماً والأخبار والرهبان والكهنة خصوصاً يترقبون بعثة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فلما بعث آمن به من كتب الله له الهداية والتوفيق وإليك بعض القصص التي تبين ذلك :-

١ - قصة سلمان الفارسي في بحثه عن الحق وتنقله من بلد إلى بلد من عالم إلى آخر في النصرانية حتى دله آخرهم على نبي مرتقب يبعث في جزيرة العرب وأخبره بعلامات تدل عليه منها أنه لا يأكل الصدقة ويقبل الهدية وبين كتيبه خاتم النبوة فجاء سلمان إلى جزيرة العرب وإلى المدينة المنورة فسمع بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فذهب إليه ليختبر تلك العلامات فوجدها كما قال ذلك العالم النصراني فأمن برسول الله (صدقه) .
(١)

٢ - قصة حبي بن أخطب وأخيه :

ذكرت صفية بنت حي أم المؤمنين عن أبيها وعمها اليهوديين اللذين سمعا بمقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذهبا إليه ثم عادا في المساء متعبين مجهدين فسمعت صفية عمها أبا ياسر يقول لأبيها : أهو هو ؟ أي هل هو الرسول المبشربه في التوراة ؟ قال : نعم والله . قال : أشبته وتعرفه ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه . قال : عداوته والله ما بقيت أبدا .
(٢)

(١) سيرة ابن هشام لابن هشام ٢٢٨/١ - ٢٣٤ بتحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي . ط . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصرة الطبقات الكبرى لابن سعد ٧٥/٤ - ٧٩ . الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزي ٥٥/١ - ٥٦ ، السيرة الحلبية ٣٠٣/١ - ٣٠٨ .

(٢) سيرة ابن هشام لابن هشام ١٦٥/٢ - ١٦٦ بتحقيق السقا والأبياري والشلبي ، الوفاء بأحوال المصطفى ٥٧/١ .

وصدق الله العظيم حيث قال : ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم

(١)

لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾

وتال : ﴿ ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة

(٢)

المفسدين ﴾

٣ - قصة عبد الله بن سلام واسلامه وهو حبر يهود وعالمها وفي القصة أنه قال : (يا معشر

يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوبا

(٣)

عندكم في التوراه باسمه وصفته فإنني أشهد أنه رسول الله وأؤمن به وأصدقته وأعرفه)

٤ - قصة إسلام النجاشي وفيها أنه قال : (أشهد أنه رسول الله فإنه الذي نجد في الإنجيل

(٤)

وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم)

٥ - قصة إسلام سلمة بن سلامه وأنه كان يسمع من حبر من أحبار اليهود أنه سيبعث نبي من

مكة . فسأله الأنصار : ومتى يبعث ؟ فنظر إلى سلمه بن سلامه فقال : (إن يستنفذ

(٥)

هذا الغلام عمره يدركه) . فلما بعث الرسول كفر ذلك الحبر اليهودي ووجد)

(١) الأنعام آية ﴿٣٣﴾

(٢) النمل آية ﴿١٤﴾

(٣) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب مناقب الانصار باب مسائل عبد الله بن سلام النبي

٢٥٢/٧ ، سيرة ابن هشام لابن هشام ١٦٣/٢ - ١٦٤ بتحقيق السقا وزملائه

، الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزي ٧٣/١

(٤) سيرة ابن هشام لابن هشام القسم الأول ٣٦٠/١ ، والوفاء بأحوال المصطفى لابن

الجوزي ١٩٧/١ ، السيرة الحلبية ٢٩/٢

(٥) سيرة ابن هشام لابن هشام ٢٢٥/١ - ٢٢٦ ، الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزي

٤٧/١ - ٤٨ ، السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي (ت : ١٠٤٤ هـ)

٧ - قصة بحيرى الراعب مع أين طالب وفيها أنه قال لأبى طالب : (ما هذا الغلام منك ؟
قال : ابنى • قال له : ما هو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا •
قال : فإنه ابن أخى • قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به قال صدقت •
فارجع باين أخيك إلى بلدك واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لبيخه
(٢)
شرا فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم) •
وغير هذا من القصص كثير وكلها تدل دلالات واضحة على أن محمدا رسول حقا من

عند الله •

(١) سيرة بن هشام لابن هشام ١٩٣/١ - ١٩٤ ، بتحقيق السقا وزملاؤه ، الطبقات الكبرى
لابن سعد ١٥٥/١ ، تاريخ الأمم والملوك للطبرى ١٩٥/٢ ، الوفاء بأحوال المصطفى
لابن الجوزى ١٣٣/١ ، البداية والنهاية لابن كثير ٢٢٩/٢ - ٢٣٠ •

فأيا : الاستدلال بالمقابلة :-

إن من الأساليب الرائعة الحكيمة التي استخدمها الكتاب والسنة لعرض حقائقهما بشكل مشرّجذاب ، يأخذ بالألباب والعقول ، ويفتح القلوب ، ويشرح الصدور ، ويجعل النفوس مهيأة لتلقى الحق وقبوله والرضا به هو الاستدلال بالمقابلة بين الضدين والنقيضين . ليعرف الحق من الباطل ، والصواب من الخطأ ، والهدى من الضلال ، والخير من الشر . وذلك أن النفوس الطيبة والقلوب السليمة إذا عرضت عليها الحقائق بطريق الاستدلال بالمقابلة ، فإنها لا تملك إلا أن تدع للمعاني التي قررها من الحق والصواب والهدى والخير ، وترفض الباطل والخطأ والضلال .

إن أسلوب المقابلة بين الأشياء يكون أدعى للاستجابة وأقرب للفهم ، وأدنى للاعتبار والاعتراض . فهو أسلوب رصين قوى ، يعرض الحقائق بشكل ناصح واضح . وإن النفوس متى ما وضع لها الحق من الباطل ، واستبان لها طريق الرشاد والهداية من الغي والضلالة ، فإنها تبادر للاستجابة ، وتتجه نحو الحق والخير . فعلى الداعية الحكيم أن يستخدم هذا المنهج القويم في عرض حقائق التوحيد والإيمان والخير والمعروف والفضيلة .

نماذج على الاستدلال بالمقابلة :-

أولا : من الكتاب :-

١ - قال تعالى : (م) أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون (١)
ففي هذه الآية تشييل مسوق لتفسير المسلمين عن طاعة المشركين قال الطبري : (وهذا
الكلام من الله جل ثناؤه يدل على نهيه المؤمنين برسوله يومئذ عن طاعة بعض المشركين
الذين جاد لوهم في أكل الميتة) (٢) فقد ضرب الله مثلا لمن هداه بعد الضلالة ، ومنحه
التوفيق والهداية ، ليميز بين الحق والباطل ، وبين الطيب والخبيث ، بمن كان ميتا
فأحياه الله ، وجعل له نورا يمشى به في الناس . ومثل من بقى على الضلالة
وأصر عليها ، بمن هو يتخبط في الظلمات وليس له نور يضيء له ليخرج من هذه
الظلمات . قال سيد قطب : (كذلك كان للناس قبل هذا الدين . قبل أن ينفخ
الإيمان في أرواحهم فيحييها ، ويطلق فيها هذه الطاقة الضخمة من الحيوية
والحركة والتطلع والاستشراق . كانت قلوبهم مواتا ، وكانت أرواحهم ظلاما ،
ثم إذا قلوبهم ينضج عليها الإيمان فتتهتز ، وإذا أرواحهم يشرق فيها النور
فتضيء ، ويفيض منها النور فتشمى به في الناس تهدي الضال ، وتلتقط
الشارد ، وتطمئن الخائف وتحرر المستعبد ، وتكشف معالم الطريق للبشر ،
وتعلن في الأرض ميلاد الانسان الجديد . الإنسان المتحرر المستنير الذي
خرج بعبوديته لله وحده من عبودية العبيد . أمن نفخ الله في
روحه الحياة ، وأفاض على قلبه النور كما حاله أنه في الظلمات
لا يخرج له منها ؟ إنهما عالمان مختلفان شتان

(١) الأنعام آية (١٢٢) .

(٢) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٢١/٨ .

(١)

• بينهما شتان •

(٢)

٢ - قال تعالى : ﴿ امن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾ •

بعد ان ذكر الله ما ذكر من خلقه السموات والأرض ، والجبال والبحار والنجوم ، وانزال الماء من السماء وغيرها من النعم التي عدد ها الله في أول السورة ، وهى نعم لا تعد ولا تحصى • قال مخاطبا المشركين : ﴿ امن يخلق ﴾ أى هذه المخلوقات العجيبة العظيمة التي تدل على خالق حكيم قدير مدبر : ﴿ كمن لا يخلق ﴾ شيئا من اصنامكم التي تعبدونها من دون الله ﴿ أفلا تذكرون ﴾ فتعسفوا فساد ما انتم عليه من عبادة غير الله •

قال الرازى : (لما دلت هذه الدلائل الباهرة ، والبيئات الزاهرة القاهرة ،

على وجود إله قادر حكيم • وثبت أنه هو المولى لجميع هذه النعم ، والمعطى لكل هذه الخيرات • فكيف يحسن فى العقول الاشتغال بعبادة موجود سواه ، لا سيما

(٣)

إذا كان ذلك الموجود جمادا لا يفهم ولا يقدر) • إن الاستفهام فى الآية هو

تبيكيت وتقرع للمشركين ، كيف يسوون من لا يخلق بمن يخلق ؟ أليست لديهم عقول ؟

أليسوا أولى أبصار وألباب ؟ فلينظروا فى هذا الكون الفسيح العجيب ليروا مظاهر

القدرة والاعجاز والاتقان والتنظيم والابداع : ﴿ هذا خلق الله ﴾ شاهد مرئى يتحدى

كل من ينظر ويرى : ﴿ فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين ﴾ •

• ﴿ امن يخلق كمن لا يخلق ﴾ • وهل هناك إلا جواب واحد ؟ لا • ليس •

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب ١٢٠١/٣ •

(٢) النحل آية ١٧ •

(٣) مفاتيح الغيب للرازى ١٢/٢٠ •

من يخلق كمن لا يخلق ثمان بينهما ثتان .

۳ - قال تعالى : م أمن أسس بنيته على تقوى من اللامرضوان خير أم من أسس

(۱)
بنيته على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين

بعد أن ذكر الله تعالى المسجدين مسجد الضرار والكفر والتفريق ، ومسجد

قباء مسجد التقوى . أمر رسوله والمؤمنون تبع لرسولهم أن لا يقوموا ولا يصلوا إلا

في مسجد قباء مسجد التقوى : م لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من

(۲)
أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين

ذكر هنا الفرق بين المسجدين والبناءين - بطريقة المقابلة - م أمن أسس

بنيته على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيته على شفا جرف هار فانهار

(۳)

به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين

والمعنى كما قال الحافظ ابن كثير : (لا يستوى من أسس بنيانه على تقوى من

الله ورضوان . ومن بني مسجداً ضاراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين ، وارضاداً لمن

حارب الله ورسوله من قبل . فإنما بيني هؤلاء بنيانهم على شفا جرف هار ، أى

طرف حفيره ، مآله م في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) أى لا يصلح

(۴)

عمل المفسدين)

۴ - قال تعالى : م إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى فسى

النار خير أم من يأتي آماناً يوم القيامة اعلموا ما شعتم إنه بما

(۵)

تعملون بصير

(۱) التوبة آية م (۱۰۹)

(۲) التوبة آية م (۱۰۹)

(۳) التوبة آية م (۱۰۹)

(۴) تفسير ابن كثير لابن كثير ۳۹۱/۲

(۵) فصلت آية م (۴۰)

ففي هذه الآية قابل البيان القرآني بين الإيمان والكفر بين من يؤمن بآيات الله ومن يلحد في آيات الله بذكر الغاية والجزاء لكل واحد منهما ﴿أفمن يلقى في النار خيرا مما من يأتي آمنا يوم القيامة﴾ .

قال الرازي : (هذا استفهام بمعنى التقرير والخرق التنبه على أن الذين يلحدون في آياتنا يلقدون في النار والذين يؤمنون بآياتنا يأتون آمنين يوم القيامة) (١)

وقال الألوسي : (وكان الظاهر أن يقابل الالقاء في النار بدخول الجنة لكنه عدل عنه إلى ما في النظم الجليل اعتناء بشأن المؤمنين لأن الأمن من العذاب (٢) أعم وأهم) .

هـ - قال تعالى : ﴿ أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم ﴾ (٣)

في هذه الآية ضرب الله مثلا للمؤمن والكافر . فمثل الكافر بمن يمشى منكسا رأسه لا ينظر أمامه ولا عن يمينه ولا عن شماله فهو لا يأمن من العثور والانكباب والسقوط في الهاوية ومثل المؤمن بالرجل السوي الصحيح البصير الماشي فسي الطريق المهتدي له . أيهما أهدى ؟ وأيها أولى بالاختيار ؟ وأيها أحق وأجدر بالاتباع ؟ وهل الأمر بحاجة إلى جواب أو حتى مجرد التفكير ؟ إن الجواب على هذا السؤال واضح ومعروف . فمن يمشى سويا على صراط مستقيم أهدى ممن يمشى مكبا على وجهه .

-
- (١) مفاتيح الغيب للرازي ١٣١/٢٢ .
(٢) روح المعاني للألوسي ١٢٧/٢٤ . وانظر روح البيان للبروسوي ٢٦٨/٨ .
(٣) الملك آية ٥ (٢٢) .

ثانيا : من السنة ١ -

١ - عن أبي موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم : " إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك

ونافع الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه

ريحاً طيبة ونافع الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثاً " (١)

رواه مسلم . ففى هذا الحديث مقابلة رائعة حقا بين الجليس الصالح

وجليس السوء . فقد شبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الجليس الصالح

بحامل المسك وشبه جليس السوء بنافع الكير . وكما أن الفرق كبير بين حامل

المسك ونافع الكير فكذلك البون شاسع بين الجليس الصالح وجليس السوء .

قال النووى : (فيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والعروة ومكارم

الأخلاق والورع والعلم والأدب والنهى عن مجالسة أهل الشر وأهل البسdc

ومن يفتاب الناس أو يكثر فجره . وبطالته ونحو ذلك من الأنواع الذمومة) (٢)

٢ - وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : "

إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق

حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى

(٣)

إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا " متفق عليه .

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب مجالسة الصالحين

ومجانبة قرناء السوء ١٧٨/١٦ .

(٢) شرح النووى على مسلم ١٧٨/١٦ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الأدب باب قول الله تعالى : ﴿ يناديها الذين

آمَنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ وما ينهى عن الكذب ٥٠٧/١٠ ، صحيح مسلم

بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ١٥٩/١٦ .

فأينا يسمع هذه النتيجة التي يؤول إليها كل من الصادق والكاذب ولا يجب

الصدق ويكره الكذب •

قال النووي : (قال العلماء هذا فيه حث على تحرى الصدق وهو قصد

والاعتناء به وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه فإنه إذا تساهل فيه كثر

(١)

منه فعرف به وكتبه الله لمبالغته صدقاً إن اعتاده أو كذاباً إن اعتاده) •

٣ - عن أبي موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه قال : قال النبي صلى الله عليه

وآله وسلم : " مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت " •

(٢)

متفق عليه •

فهنا قابل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الذى يذكر ربه والذى

لا يذكره (ف شبه الذى ذكر بالذى الذى ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور

المعرفة وغير الذاكر بالميت الذى ظاهره غاظم وباطنه غاظم) • فأين الحى (٣)

من الميت ؟ وأين الذاكر من الغافل ؟ إنها سؤالان ليسا بحاجة إلى

عمق وروية فى التفكير فى الجواب • فالجواب حاضر ومعروف أن الحى أفضل من

الميت وأن الذاكر أخير من غير الذاكر •

وهكذا ترى أخى الداعية : كيف أن الاستدلال بأسلوب المقابلة له أثره

(١) شرح النووي على مسلم ١٦٠/١٦ •

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل

٢٠٨/١١ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صلاة المسافرين وقصرها

باب استحباب صلاة النافلة فى بيته ٦٨/٦ •

(٣) فتح البارى ٢١٠/١١ - ٢١١ •

- في النفوس ، ووقعه في القلوب ، وشرحه للصدور ، ونفعه للمدعوين بما يثبته فيهم
من حب ورغبة وتضحية في سبيل التوحيد والخير والمعروف والفضيلة ، أو بقض
وابتعاد عن الشرك والشمر والمنكر والرذيلة .
- فهلا تأسيت بهذا الأسلوب في دعوتك للآخرين ، ومخاطبتك للمدعوين .



ثالثاً : الاستدلال بالمقدمات المشهورة المسلمة :

إن أى مبدأ يصاحبه دليل يكون ذا حجة وقوة على الآخرين ، وعلى قدر كفاية الأدلة وقوتها ووضوحها وساطتها يكون أثر المبدأ وتأثيره « ومن الأدلة التى استعملها الكتاب والسنة الاستدلال بالمقدمات المشهورة المسلمة فهى أدلة واضحة مقنعة تنفع كل من يخاطب بها فما على الداعية الحكيم إلا أن يقتدى بالكتاب والسنة فيورد حجج الله ويقيم برائمه بمقدمات مشهورة مسلمة وعندئذ سينقاد كل ذى لب وعقل له ، لأن برهانه ساطع وحجته باهرة أما من لم يكن له عقل ولا سمع ولا بصر بل هو كالأنعام يردد ما حكاه الله عنهم فى قوله تعالى : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على أمرهم مهتدون ﴾^(١) و ﴿ بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾^(٢) فهؤلاء لو أوردت عليهم كل الحجج وأقيمت عليهم كل البراهين بالأدلة الواضحة والبراهين المقننة لما كانت هناك نتيجة ، لأن هذا التقليد والاتباع الأعمى قد استحوذ عليهم واستولى على مشاعرهم وأفكارهم واستحكم فى قلوبهم والهداية بيد الخلاق العليم : ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾^(٣) فعلى الداعية إلى الله أن يبين ويوضح منهجه ومبدأه على قدر طاقته واستعداده ، وأن يحاول التفنن فى أساليب مخاطبة الآخرين والله لا يكلف نفساً إلا وسعها .

وها هى ذى أمثلة من الكتاب والسنة نحاول فى ضوئها أن نرى كيف يكون

لهذه المقدمات المشهورة المسلمة النتائج الايجابية السريعة .

-
- (١) الزخرف آية ﴿ ٢٢ ﴾ .
 - (٢) الشعراء آية ﴿ ٧٤ ﴾ .
 - (٣) القصص آية ﴿ ٥٦ ﴾ .

نماذج على المقدمات المشهورة المسلمة : أولاً من الكتاب :-

١ - قال تعالى : ﴿مَ أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِلَا يَدْعُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِكُمْ أَمْ هُمُ الْمَسْطُورُونَ أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ
يَسْتَمْعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمْعِمَهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ
الْبَنُونَ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ
فَهُمْ يَكْتُمُونَ أَمْ يَرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ أَمْ لَهُمْ
إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)

ففي هذه الآيات الكريمات خاطب السياق المشركين خطاب العقل والفترة
وساق لهم أدلته عن طريق المقدمات المشهورة وصاغها في قالب
استفهام انكاري . وهذه المقدمات بدعية لا تحتاج إلى روية وتفكر في الجواب
عليها فالجواب معروف سلفاً وهو أنهم لم يفعلوا لا هم ولا شركاء هم شيئاً من ذلك
فثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الله هو الذي خلقهم وأنه وحده يستحق العبادة
دون سواه .

وقد كان لهذه الحقائق المسلم بها - والتي لا يستطيع أي أحد مهما كان
وبلغ أن ينكر واحدة منها أو يدعي أنه فعل شيئاً منها - الأثر الكبير والاستجابة
السريعة في نفس جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه . وهو يسمع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يتلو بها في المغرب وكان مشركاً . قال جبير بن مطعم
رضي الله تعالى عنه : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في المغرب
بالطور ، فلما بلغ هذه الآية : ﴿مَ أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ؟ أَمْ

(١) الطور آية (٣٥٥ - ٤٤٣)

(١)

خلقوا السموات والأرض ؟ بل لا يوقنون أم عند هم خزائن ربك أم هم المسيطرون)

كاد قلبي أن يطيرين * وفي رواية : (سمعت النبي صلى الله

(٣)

عليه وآله وسلم يقرأ في المغرب بالطور وذلك أول ما قرأ الإيمان في قلبي) .

قال الخطابي عند قوله صلى الله عليه وآله وسلم : * كاد قلبي أن يطير : (لأنه

انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها ، ومعرفته بما تضمنته ، ففهم الحجة

فاستدركها بلطف طبعه . وذلك من قوله تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء ﴾

قيل معناه ليسوا أشد خلقا من خلق السموات والأرض ، لأنهما خلقتا من

غير شيء . أي هل خلقوا باطلا لا يؤمرون ولا ينهون ؟ وقيل المعنى : أم خلقوا

من غير خالق ؟ وذلك لا يجوز فلا بد لهم من خالق . فإذا أنكروا الخالق فهم

الخالقون لأنفسهم وذلك في الفساد والبطلان أشد ، لأن ما لا وجود له كيف

يخلق ؟ وإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً ثم قال : ﴿ أم

خلقوا السموات والأرض ﴾ أي إن جاز لهم أن يدعوا خلق أنفسهم ، فليدعوا

خلق السموات والأرض ، وذلك لا يمكنهم فقامت الحجة . ثم قال : ﴿ بل

لا يوقنون ﴾ فذكر العلة التي عاقبتهم عن الإيمان ، وهو عدم اليقين الذي هو

موهبة ، ولا يحصل إلا بتوفيقه فلهذا انزعج جبير حتى كاد قلبه يطير وما إلى

(٤)

الاسلام) .

٢ - قال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا تعبد

(١) الطور آية ﴿ ٣٥ - ٣٧ ﴾ .

(٢) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب التفسير باب سورة الطور ٦٠٣/٨

(٣) المرجع نفسه كتاب المغازي ٣٢٣/٧ .

(٤) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٦٠٣/٨ .

أصناماً فنظّل لها عنكبين قال هل يسمعونكم إن تدعون أو ينفعونكم أو يضرون
قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفريتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم
الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقتني فهو يهدى والذى هو
يطعمنى ويسقئنى وإن امرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيينى (١)

لقد وجد إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم قومه يعبدون
الأصنام من دون الله ويتوجهون إليها • فهال ما هم عليه من العكوف لأصنام لا تنفع
ولا تضر • فأخذ يحاول أن يوقظ قلوبهم الفائلة • وينبه عقولهم المتبلدة إلى هذا
السخف الذى يزاوونه دون وعى ولا تفكير بمقدمات مشهورتين مسلم جوابها عند هم
بالنقى حتى أنهم حاروا ولم يجدوا ما يجيبونه به سوى تحلهم بتقليد الآباء • قال
هل يسمعونكم إن تدعون أو ينفعونكم أو يضرون • قال سيد قطب (فأقل ما يتوفر
لإله يعبد أن يكون له سمع كعابده الذى يتوجه إليه بالعبادة والابتهال • وهذ
الأصنام لا تسمع عبادها وهم يتوجهون إليها بالعبادة • ويدعونها للنفع والضرر •
(٢)
فإن كانت صماء لا تسمع فهل هى تملك النفع والضرر؟ لا هذا ولا ذاك يمكن أن يدعوه

٣ - قال تعالى : ٥ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا
تذكرون • قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون
قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل
فأنى تسحرون بل أتيناكم بالحق وإنهم لكذبون ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه
(٣)
من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون

(١) الشعراء آية ٦٩٥ - ٩٨١

(٢) فى ظلال القرآن لسيد قطب ٢٦٠٢/٥

(٣) المؤمنون آية ٨٤٥ - ٩١١

ففي هذه الآيات الكرسات يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك
، ليرشد المشركين إلى أنه لا إله إلا الله ، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده
لا شريك له . ولهذا أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أن يسأل المشركين
العابدين معه غيره : من الذى يملك الأرض ومن فيها ؟ ومن رب السموات السبع
ورب العرش العظيم ؟ ومن بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ؟ وهذه كلها
أسئلة لا جواب لها إلا جواب واحد . فسيقولون الله فقل أفلا تذكرون ؟ أفلا تتقون ؟
فأنى تسحرون ؟

ثم قل لهم :

لو كان مع الله آلهة أخرى كما يقولون لحصل إحدى فرضين اثنين :-

١- إما أن يذهب كل إله بما خلق .

٢- أو يعلو بعضهم على بعض .

وهذان الفرضان باطلان . لأن تناسق أمر هذا العالم وانتظام حركته يدل على

بطلان هذين الفرضين ويشير إلى وجود خالق عظيم جل جلاله ينبغي أن يعبد وحده

وأن يتوجه إليه وحده لا شريك له .

ثانيا : من السنة :

- ١ - عن النعمان بن بشير أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال :
”إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غَلَامًا • فَقَالَ : أَكَلَّ وَلَدَكَ نَحَلْتُ مِثْلَهُ ؟ قَالَ : لَا • قَالَ
(١)
فَارْجِعْهُ •“ متفق عليه •
- وفى رواية : (أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا • قال : ”فاتقوا الله
(٢)
واعدوا لولا بين أولادكم •“ متفق عليه •
- وفى رواية : ”الك ولد سواء ؟ قال : نعم • قال : لا تشهدنى على جور“
(٣)
رواه البخارى •
- وفى رواية : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا بشير الك ولد سوى
هذا ؟ قال : نعم • فقال : أكلهم وهبت له مثل هذا ؟ قال : لا • قال :
(٤)
فلا تشهدنى إذا فانى لا أشهد على جور •“ رواه مسلم •
- (٥)
وفى رواية : ”أليس تريد منهم من البر ما تريد من ذا ؟“ قال بلى • رواه مسلم
- وفى رواية : ”إن لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم كما أن لهم عليك من
(٦)
الحق أن يبروك •“ رواه ابوداود •

-
- (١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الهبة باب الهبة للولد ٢١١/٥ صحيح مسلم
بشرح النووى كتاب الهبة باب كراهية تفضيل بعض الاولاد فى الهبة ٦٥/١١ •
- (٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الهبة باب الهبة للولد ٢١١/٥ صحيح
مسلم بشرح النووى كتاب الهبة باب كراهية تفضيل بعض الاولاد فى الهبة ٦٧/١١ •
- (٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الشهادات باب لا يشهد على جور إذا
أشهد ٢٥٨/٥ •
- (٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الهبة باب كراهية تفضيل بعض الاولاد على بعض
فى الهبة ٦٨/١١ •
- (٥) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الهبة باب كراهية تفضيل بعض الاولاد على بعض
فى الهبة ٦٨/١١ - ٦٩ •
- (٦) سنن أبى داود كتاب البيوع باب فى الرجل يفضّل بعض ولد • فى النحل ٢٩٢/٣ •

فنحن نلاحظ هنا في هذا الحديث كيف أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد استخدم مقدمات مشهورة مسلمة لدى والد النعمان ليقتنعه بالرجوع عما أراد أن يفعله من عبة ولده النعمان دون بقية أولاده ولما أبدى له صلى الله عليه وآله وسلم هذه المقدمات استجاب والد النعمان ورجع عن هبته لولده النعمان .

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فقال: "يا رسول الله ولد لي غلام أسود فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم .

(١)

قال: ما ألوانها؟ قال: حمر . قال: هل فيها من أورك؟ قال: نعم . قال:

فأني ذلك؟ قال: لعله نزع عرق . قال: فلعل ابنك هذا نزع . متفق عليه . (٢)

فقد أبان هذا الحديث كيف أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرب المثل

في هذا الحديث وشبه المجهول بالمعلوم تقريبا لفهم السائل وقياس الأمر بنظيره

واستخدم المقدمات المشهورة لإقناع الرجل الذي جاء منكرا أن امرأته ولدت غلاما

أسود وهو أبيض فلما ضرب له صلى الله عليه وآله وسلم المثل بالإبل تكون حمرا

ويظهر من بينها أورك وسأله كيف هذا؟ قال: لعله نزع عرق قال له فكذلك لعل

ابنك هذا نزع عرق .

٣ - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله

عليه وآله وسلم فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟

قال: نعم حجي عنها . أرايت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ أقضوا الله فالله

(٣)

أحق بالوفاء .

(١) أي أسمر . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٧٥/٥ .

(٢) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الطلاق باب إذا عرض بنفي الولد ٤٤٢/٩ .

صحيح مسلم بشرح النووي كتاب اللعان ١٣٣/١٠ .

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب جزاء الصيغ باب الحج والنذور عن الميت

والرجل يحج عن المرأة ٦٤/٤ .

فقد أبان النضر كيف أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استخدم مقدمة مشهورة مسلمة وهي (أرايت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته) فأجابته : نعم • فوصل إلى جواب سؤالها عن طريق هذه المقدمة إذا اقتضوا الله فالله أحق بالوفاء " قال ابن حجر : (فيه مشروعية القياس وضرب المثل ليكون أوضح وأوقع في نفس السامع واقرب إلى سرعة فهمه وفيه تشبيه ما اختلف فيه وأشكل بما اتفق عليه • وفيه أنه يستحب للفتى التبيه على وجه الدليل إذا ترتبت على ذلك مصاحبة وهو أطيب لنفس المستفتى وأدعى لإذعانه وفيه أن وفاء الدين المالى عن الميت كان معلوما عند هم مقررا ولذا حسن الالحاق به) (١) •

٤ - عن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال : إن فتى من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم • فقال : يا رسول الله ائذن لي بالزنا • فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه فقال صلى الله عليه وآله وسلم : " ادنه • فدنا منه قريبا فقال فجلس قال : أتجبه لأمك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك • ولا الناس يحبونه لأمهاتهم • قال : أفتجبه لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك • ولا الناس يحبونه لبناتهم • قال : أفتجبه لأختك ؟ قال لا والله جعلني الله فداك • ولا الناس يحبونه لأخواتهم • قال : أفتجبه لعمتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك • ولا الناس يحبونه لعماتهم • قال : أفتجبه لخالتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك • قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم • قال فوضع يده عليه وقال اللهم اغفر ذنبيه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء " أخرجه الامام احمد • (٢)

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٦٦/٤ •

(٢) مسند الامام احمد وسهامه منتخب كنز العمال ٢٥٦/٥ - ٢٥٧ • مسند أبي أمامة • ط • دار صادر للنشر والطباعة • والحدِيث صحيح لأن رجاله ثقات وسنده متصل •

فقد أبان هذا الحديث ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مكارم الأخلاق ، وبعد النظر وحسن سياسته للأمر ، واستخدامه للمقدّمات المشهورة لإقناع هذا الفتى . حيث إنه سأله أسئلة لا يرضاها لنفسه ، ونفى كل مرة يقول له : ولا الناس يحبونه . فكما أنك لا تحبه لأمك ولا لأختك ولا لابنتك أو عمك أو خالتك ، فكذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم أو أخواتهم . وإذا كان الأمر كذلك فكيف آذن لك به؟ وكيف ترضاه لنفسك؟ .

٥ - عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا عدوى ولا صفر ولا عامه . فقال أعرابي : يا رسول الله فما بال إبلى تكون في الرمل كأنها الظباء فيأتيها البعير الأجرى فيدخل بينها فيجرها؟ فقال : فمن أعدى الأول ؟ (١)

٦ - عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : إن رجلاً قال : يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال : ليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يعيش على وجهه يوم القيامة . قال قتادة بلى وعزة ربنا . (٢)

٧ - وهذه أم سليم زوجة أبي طلحة ماتت ولدها فقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بآبائه حتى أكون أنا أحدثه فجاء فقربت إليه عشاءً فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت يا أبا طلحة : (أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعهم قال لا . قالت فاحتسب ابنك . (٣)

- (١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الطب باب وصفر وهو داء يأخذ البطن ١٠/١٧١ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الطب والمرضى والرقى باب لا عدوى ولا طير ولا عامه ولا صفر ١٤/٢١٣ .
- (٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التفسير باب الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم ٨/٤٩٢ .
- (٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الجنائز باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة ٣/١٦٩ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب فضائل الصحابة رضى الله عنهم باب فضائل أم سليم أم أنس بن مالك ١٦/١١ - ١٢ .

وهكذا نرى أن هذا المنهج يؤتى أكله وثماره بإذن ربّه ومولاه .



رابعاً : الدعوة باستعمال القدوة الحسنة :-

إن للقدوة في عملية التربية أثراً عظيماً فهي من أهم وسائل الدعوة إلى الله وأكبرها فاعلية . ذلك أن لسان الحال أفضل من لسان المقال . فالقول إن لم يصدقه العمل — وخاصة من الدعاة الذين نصبوا أنفسهم لهذا المقام السامى — يعتبر في الحقيقة تضييعاً لقيمة هذا القول أياً كان مبناه ، واستخفافاً بالمعاني التي حواها ذلك القول ولو كانت من عيون المعاني وكرائمها . ولهذا كان التوجيه الرباني للعلماء العاملين أن يكونوا قدوة حسنة لغيرهم : ط ولكن كونوا رهنبيين بما كنتم تعلمون الكتب وما كنتم تدرسون ك وكذلك التوجيه النبوي لسفيان بن عبد الله الثقفي حين قال له : " يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك . قال : قل آمنت بالله ثم استقم " . (١)

إن القدوة لها أثر كبير في التأثير على الآخرين . فالناس عندما يرون الداعية صادقة أميناً كريماً ، متحلياً بالأخلاق الفاضلة متجسداً بالآداب الإسلامية ، يقول ويفعل ، يأمر ويأتمر ، ينهى وينتهى ، فإنه بلا شك سيكون لذلك الأثر الكبير والوقع العظيم في اقتدائهم وتأسيسهم به .

قال الغزالي : (إن صلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الإيمان وخلق الفاضل هو السحر الذي يجذب إليه الأئمة ويجمع عليه القلوب) . (٢)

وقد أمر الله المؤمنين أن يتخذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة

(١) آل عمران آية ٥٧٩ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب جامع أوصاف الإسلام ٨/٢ - ٩ .

(٣) مع الله للغزالي ص ٢٨٢ .

وقدوة لهم في عقيدتهم وأخلاقهم وسلوكهم فقال عز من قائل : ﴿ لقد كان لكم فسى

(١)

رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ بل أمرهم

أن يتخذوا من إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم ومن

الذين آمنوا معه قدوة حسنة في تحرير الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين قال تعالى :

﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءا منكم ومما

تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى

(٢)

تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا

ربنا إنك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم

(٣)

الآخر ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد ﴾ وعاب على فريق منهم يقولون ما لا يفعلون

وتوعدهم بالعذاب الشديد : ﴿ يدأبها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا

(٤)

عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ . وأنكر على اليهود الإنكار الشديد لأمرهم الناس

بالخير والبر ونسيانهم لأنفسهم قال تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم

(٥)

وأنتم تتلون الكتب أفلا تعقلون ﴾ بل ذمهم لعدم عملهم بعلمهم وكونهم قدوة سيئة

قال تعالى : ﴿ مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا

(٦)

بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ففي هذه

(١) الأحزاب آية (٢١) .

(٢) وهذا الاستغفار كان عن موعدة وعدها إبراهيم لأبيه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه

قال تعالى : ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له

أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ التوبة آية (١١٤) .

(٣) المتحنة آية (٤٥ - ٤٦) .

(٤) الصف آية (٢ - ٣) .

(٥) البقرة آية (٤٤) .

(٦) الجمعة آية (٤٥) .

الآية تنبيه وإرشاد من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويفهم ما فيه
ثم يعمل به ويطبقه لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء .

وقد أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يتخذ إخوته من الأنبياء
السابقين قدوة له يسير على نهجهم ويقتفى أثرهم . قال تعالى : ﴿ أولئك الذين
(١)
هدى الله فبهم نسهم اقتده ﴾ .

إن للقدوة سواءً أكانت حسنة أم سيئة أثران في مضاعفة الحسنات أو زيادة الأوزار .
ولذا فقد طلب عباد الرحمن من ربهم أن يجعلهم قدوة صالحة للمؤمنين . لسيزداد
أجرهم وتتضاعف حسناتهم . قال تعالى : ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا
(٢)
وذريتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ .
(٣)

قال قتادة : (أي قادة في الخير ودعاة هدى يؤتم بنا في الخير) . وقال
(٤)
البخاري : (أئمة يقتدى بمن قبلنا ويقتدى بنا من بعدنا) . وأخبر تعالى أن
أصحاب القدوة السيئة يحملون يوم القيامة أوزارهم ومن أوزار الذين يضلونهم بخير علم
فقال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم
(٥)
كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بخير علم آلاء ما يزرعون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكذوبون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع
(٦)
أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ .

(١) الانعام آية (٩٠) .

(٢) الفرقان آية (٧٤) .

(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٢٥١/١٣ .

(٤) المرجع نفسه ٢٤٨/١٣ .

(٥) النحل آية (٢٤٦ - ٢٤٥) .

(٦) العنكبوت آية (١٢٥ - ١٢٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : " من سن في الإسلام سنة حسنة فله اجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من اجورهم شيئاً ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً " (١)

وتحدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عقوبة من يخالف فعله قوله ففسى الحديث الذي رواه عنه أسامة بن زيد بن حارثة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك! ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول : بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر (٤) وآتية " .

قال ابن القيم : (علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم . فكلما قالت أقوالهم للناس : هلموا قالت أفعالهم : لا تسمعوا منهم ، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له . فهم في الصورة أدلاء ، وفي الحقيقة قطاع الطرق) .

- (١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٢٢٦/١٦ .
- (٢) الاندلاق : خروج الشيء من مكانه . والمراد خروج أمعاشه من جوفه . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٣٠/٢ .
- (٣) أي الطحانة التي يطحن بها . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢١١/٢ .
- (٤) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة ٣٣١/٦ . صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد والرقائق باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ١١٨/١٨ .
- (٥) الفوائد لابن قيم الجوزية ص ٦١ .

وقال الشافعي :

يا واعظ الناس عما أنت فاعلمه يا من يعدّ عليه العمر بالنفس
احفظ لشيبك من عيب يدسه إن البياض تليل الحمل للذنوب
كحامل لثياب الناس ينسبها وثوبه طارق في الرجس والنجس
تبغى النجاة ولم تملك طريقها إن السفينة لا تجرى على اليس (١)

وقال الشاعر :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام من الضنى ومن الضنى تسمى وأنت سقيم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
ابداً بنفسك فأنهبا عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم (٢)

(٣)

وجاء في الامثال : (إذا زل العالم زل بزلته عالم)

فيجب على الداعية أن يحرض كل الحرص على أن يكون للناس قدوة حسنة ماثلة
في كل مجال من مجالات الحياة . في العقيدة والفكر ، في السلوك والأخلاق ، في الخ
إن القدوة تجعل للقول وزناً وتعطيه دفعا ولها تأثير عجيب في النفوس . هذا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر أصحابه أن يتحلوا من عمرتهم يوم الحد بيعة
فلم ينفذوا أمره . فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أم سلمة فذكر لها ما
لقي من الناس . فأشارت عليه أن يخرج إلى القوم ولا يكلمهم فيخلق رأسه . فخرج رسول الله

(١) ديوان الشافعي جمع وتحقيق زهدى يكن ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ١ : ٤٤٧ .

(٣) مجمع الامثال للميداني ١ / ٤٤ .

صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكلم أحدا ٦ وأمر الحلاق بحلق رأسه • فإِنْ رَأَى الصَّخَابَةَ
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد حلق شعره • حتى حلقوا شعورهم • بل يبلغ
من تدافعهم أنه كاد أن يقتل بعضهم بعضاً^(١) .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : ^(٢) إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج
عام الفتح إلى مكة في رمضان • فصام حتى بلغ كراع الغميم • فصام الناس ثم دعا بقدر من
ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب^(٣) .

وعن ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها أن الناس شكوا في صيام رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يوم عرفه • فأرسلت إليه باللبن وهو واقف في الموقف فشرب منه والناس
ينظرون إليه^(٤) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : اتخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاتماً من
ذهب • فاتخذ الناس خواتيم من ذهب • فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إني اتخذت
خاتماً من ذهب فنيذره وقال إني لن ألبسه أبداً " فنيذ الناس خواتيمهم • قال ابن بطال :^(٥)

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الشروط باب الشروط فى الجهاد والمصالحة
مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٣٣٢/٥ • الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية
لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت : ٥٨١ هـ ٢٧/٤ • ط دار المعرفة ١٩٨٠م
٧٨م • زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن قيم الجوزية ١٩٥/١ •

(٢) كراع : بالضم وآخره عين مهملة • كراع الغميم : موضع بالحجاز بين مكة والمدينة •
أمام عسفان بشمانية أميال • وهذا الكراع جبل أسود فى طرف الحرة يمتد إليه معجم
ط استعجم للبكرى ١٠٠٦/٢ • مرصد الاطلاع للبغدادى ١١٥٣/٣ •

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الصيام باب جواز الصوم أو الفطر فى رمضان للمشافر
• ٢٣٢/٧

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الصيام باب استحباب الفطر للحاج بعرفات يوم عرفه
• ٤٣/٨

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بأفعال
النبي ٢٧٤/١٣ • صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الأشربة باب تحريم خاتم الذهب
على الرجال ٦٦/١٤ •

(١)

: (فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول) .

فليحرص الدعاة على أن يكونوا قدوة صالحة • ليحرصوا على أن يكون خلقهم القرآن
يترسمون منهجه وينقادون لأحكامه وآدابه • ذلك أن نصاب زكاة
الداعية عمله • فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة ؟ وفاقد النور كيف يستنير به غيره ؟
ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ؟ .

وحسبنا الآن أن نذكر نماذج من الرسول القدوة لتكون للدعاة نبراسا ومناجرا •

١ : القدوة في العبادة :

١ - عن عائشة رضی الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقوم من الليل
(٢)

حتى تتفطر قدماه • فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك

(٣)

ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : " أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا " •

ب - وعن عائشة رضی الله تعالى عنها أنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وآله
(٤) (٥)

وسلم إذا دخل المشرشد مبرزه وأحيا ليله وأيقظ أهله •

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٢٧٥/١٣ •

(٢) أي تتشقق • يقال تفطرت وانفطرت بمعنى • النهاية في غريب الحديث والأثر

لابن الأثير ٤٥٨/٣ •

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب التهجيد باب قيام النبي الليل ١٤/٣

• صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صفة القيمة والجنة والنار باب إكثار الأعمال والاجتهاد

في العبادة ١٦٢/١٧ •

(٤) المئزر : الإزار • وكنتي بشده عن اعتزال النساء • وقيل : أراد تشييره للعبادة •

النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٤/١ •

(٥) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب فضل ليلة القدر باب العمل في العشر

الأواخر من رمضان ٢٦٩/٤ •

ج - عن أبي عبد الله حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة • فقلت : يركع عند المائة • ثم مضى • فقلت يصلى بها في ركعة • فمضى ثم افتتح النساء فقرأها • ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح • وإذا مر بسؤال سأل • وإذا مرتعون تعوذ • ثم ركع فجعل يقول : " سبحان ربي العظيم " فكان ركوعه نحواً من قيامه • ثم قال : " سنع الله لمن حمده ربنا لك الحمد " ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما ركع • ثم سجد فقال : " سبحان ربي الأعلى • فكان سجوداً قريباً من قيامه • (٢)

د - وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة فأطال القيام حتى هممت بأمر سوء • قيل وما هممت به ؟ قال : هممت أن أجلس وأدعه •

٢ : القدوة في الخوف من الله :-

١ - عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط • فقال : " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً " فغضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجوههم (٤) (٥) ولهم خنين ٣٢

- (١) أى متأنياً مرتلاً النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢٢٣/٢ •
- (٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ٦١/٦ - ٦٣ •
- (٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التهجد باب طول القيام في صلاة الليل ١٩/٣ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ٦٣/٦ •
- (٤) الخنين ضرب من البكاء دون الانتحاب • وأصل الخنين خروج الصوت من الأنف كالحنين من الفم • النهاية في غريب الحديث والاثرا لابن الأثير ٨٥/٢ •
- (٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الرقاق باب قول النبي : " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً " ٣١٩/١١ • صحيح مسلم بشرح النووي كتاب النضال باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك أكثر سؤاله ١١١/١٥ - ١١٢ •

ب - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل " (١)

ج - وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " اقرأ على القرآن . قلت : يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل . قال : إني أحب أن أسمعه من غيري " فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ قال : " حسبك الآن " فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان " (٢) (٣)

٣ : القدوة في الزهد عن الدنيا :-

١ - عن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه قال : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حرة بالمدينة فاستقبلنا أحد (٤) . فقال : يا أبا ذر قلت لبيك يا رسول الله . فقال : " ما يسرنى أن عندى مثل أحد هذا ذهباً ترضى على ثلاثة أيام وعندى منه دينار إلا شئ أرصده لدين ، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله وعن خلفه " (٥) (٦)

- (١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الرقاق باب القصد وال مداومة على العمل ٢٩٤/١١
صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى ١٦٠/١٧ .
- (٢) ذرفت العين تذرف إذا جرى دم معها . انظر النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ١٥٧٢
- (٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب فضائل القرآن باب قول المقرئ للقارئ حسبك ٩٤/٩ . صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل سماع القرآن وتدبيره ٨٧/٦ .
- (٤) الحرة : أرض بالمدينة المنورة لها حجارة سود كثيرة . النهاية ٣٦٥/١ .
- (٥) أى أعد . النهاية ٢٢٦/٢ .
- (٦) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الرقاق باب قول النبي " ما يسرنى أن عندى مثل أحد هذا ذهباً " . ٢٦٤/١١ .

ب - عن النعمان بن بدير رضي الله تعالى عنهما قال : ذكر عمر ابن الخطاب

رضي الله تعالى عنه ما أصاب الناس من الدنيا فقال : لقد رأيت رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلا يعلا به يطنسه .
(١) (٢)

ج - وعن عمرو بن الحارث أخى جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنهما

قال : " ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند موته ديناراً ولا درهماً

ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضاً

(٣)
جعلها لابن السبيل صدقة " .

د - عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : " ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين

متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " .
(٤)

ه - عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تقول : " والله يا ابن

اختى إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال . ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد

في أبيات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نار . قال : قلت يا خالة فما

(٥)
كان يحيشكم ؟ قالت : الأسودان التمر والماء .

(١) الدقل : رديء التمر ويابسُه وما ليس له اسم خاص فتراه ليسه ورداءته لا يجتمع

• ويكون منشوراً • النهاية في غريب الحديث لأبن الأثير ١٢٧/٢ •

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد ١٥٩/١٨ •

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الرقاق باب كيف كان عيش النبي وأصحابه

وتخليهم عن الدنيا ٢٨٢/١١ •

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد ١٠٦/١٨ •

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الرقاق باب كيف كان عيش النبي وأصحابه

وتخليهم عن الدنيا ٢٨٣/١١ • صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد ١٠٧/١٨ •

٤ : القدوة في الكرم والافتاق :

أ - عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : " ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا قط فقال لا " (١)

ب - وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : " ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الإسلام شيئا إلا أعطاه " . قال : فجاء رجل فأعطاه غنما بين جبلين ، فرجع إلى قومته فقال : يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخش الفاقة " . وفي رواية : فوالله إن محمداً ليعطي عطاءً ما يخاف الفقر . قال أنس : وان كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يلبث إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها " (٢)

ج - وعن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال : بينما هو يسير مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقلعه من خنين ، فعلته الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمره فخطفت رداءه فوقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أعطوني رداي فلو كان عدد هذه العضاء نعلما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً " (٣) (٤) (٥)

د - وعن أبي سعيد الخدري أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم . حتى

-
- (١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب في سخائه صلى الله عليه وسلم ٧١/١٥
 - (٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب في سخائه صلى الله عليه وسلم ٧٢/١٥
 - (٣) أي شجره . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣٩٩/٢ .
 - (٤) العضاء شجر أم غيلان وكل شجر عظيم له شوك . الواحدة : عضة بالطاء . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢٥٥/٣ .
 - (٥) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الجهاد باب الشجاعة في الحروب والجبن ٣٥/٦ .

إذا نفذ ما عنده قال : " ما يكن عندى من خير فلن أدخره عنكم • ومن يستعفف يعفه الله • ومن يستغن يغنه الله • ومن يصبِر يصبره الله • وما أعطى أحد من عطاء خيراً وأوسع من الصبر " (١)

هـ - وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس بالخير (٢)

و - وعن عقبه بن الحارث رضى الله عنه قال : (صليت مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم العصر • فلما سلم قام سريعاً فدخل على بعض نساءه ثم خرج • ورأى ما فى وجوه القوم من تعجبهم لسرعته • فقال : " ذكرت - وأنا فى الصلاة - تبراً عندنا فكرهت أن يمسى - أو يبيت عندنا - فأمرت بقسمته " (٤)

هـ : القدوة فى التواضع :-

أ - عن عياض بن حمار رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " ان الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد " (٥)

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن السألة ٣/٣٣٥ •
• صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزكاة باب فضل التعفف والصبر والقناعة ٧/١٤٤ -
• ١٤٥

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب بدء الوحي ١/٣٠ • • صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب جوده صلى الله عليه وسلم ١٥/٦٨ •

(٣) التبر هو الذهب والفضة قبل أن يضربا دنانير ودراهم فإذا ضربا كانا عينا • النهاية ١/١٧٩

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب العمل فى الصلاة باب يفكر الرجل الشئ فى الصلاة ٣/١٨٩

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التى يعرف بها

فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار ١٧/٢٠٠ •

ب - عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال :
(١)

” كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفعله ” .

ج - وعن أنس أيضا قال : ” كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول
(٢)

الله صلى الله عليه وآله وسلم فتنتظق به حيث شاءت ” .

د - عن الأسود بن يزيد رضى الله عنه قال : ” سألت عائشة رضى الله عنها ما كان

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصنع في بيته ؟ قالت : يكون في مهنة أهله -
(٣)

يعنى في خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة ” .

٦ : القدوة في حسن الخلق :-

١ - عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : ” كان رسول الله صلى الله عليه وآله
(٤)

أحسن الناس خلقا ” .

ب - وعن أنس أيضا رضى الله تعالى عنه قال : ” ما مسست ديباجا ولا حريرا اليمين
(٥)

من كف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ولا شممت رائحة قط أطيب من

رائحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ولقد خدمت رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم عشر سنين فما قال لى قط أف ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الاستئذان باب التسليم على الصبيان

• ٣٢/١١

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الأدب باب الكبير ٤٨٩/١٠ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الأدب باب كيف يكون الرجل في أهله ؟

• ٤٦١/١٠

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب في حسن خلقه صلى الله عليه وآله وسلم

• ٧١/١٥

(٥) الديباج ثياب متخذة من الإبريسم فارسى معرب وقد تفتح داله . انثار النهاية

في غريب الحديث لابن الأثير ٩٧/٢ .

(١)

لم أفعله إلا فعلت كذا) .

ج - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال : "لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ، وكان يقول : "إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً" .

(٢)

د - عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادره أعرابي فجدته برداءه جريدة شديدة . فنظرت إلى صفحة عاتق النبي وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جدته . ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليّ فضحك ثم أمره يعطاه" .

(٣)

٧ : القدوة في الرحمة والشفقة واللين :-

أ - عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال : أرسلت بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن ابنه قد احتضر فاشهدنا . فأرسل يقرئ السلام ويقول : "إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب" . فأرسلت إليه تقسم عليه ليا تينها فقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد ابن ثابت ورجال رضي الله عنهم . فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب حسن خلقه صلى الله عليه وآله وسلم

• ٦٩/١٥

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب كثرة حياته صلى الله عليه وآله وسلم ٧٨/١٥

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي يعطى المؤلفة قلوبهم

وغيرهم من الخمس ونحوه ٢٥١/٦ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب إعطاء

المؤلفة قلوبهم ومن يخاف على إيمانه إن لم يعط ١٤٦/٧ - ١٤٧ .

(١)

المصبي فأقعد، في حجره ونفسه تقفح ففاضت عيناه . فقال سعد : يا رسول الله

ما هذا؟ فقال : " هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده " . وفي رواية "

(٢)

في قلوب من شاء من عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحمة "

ب - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الحسن بن علي وعند الأقرع بن حابس فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت

منهم أحدا . فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : " من لا يرحم

(٣)

لا يرحم " .

ج - وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم فقالوا : أتقبلون صبيانكم؟ فقال : نعم . قالوا : لكننا والله ما نقبل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم

(٤)

الرحمة " .

د - عن عائشة رضي الله عنها قالت : " إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليدع

(٥)

العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم " .

(١) أي تضطرب وتتحرك أراد كلما صار إلى حال لم يلبث أن ينتقل إلى أخرى تقربه من

الموت . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٨٨/٤ .

(٢) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب التوحيد باب قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قل

ادعوا لله أو ادعوا الرحمن أي ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ ٣٥٨/١٣ .

٦ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنائز باب البكاء على الميت ٢٢٤/٦ - ٢٢٥ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب رحمة صلى الله عليه وآله وسلم وتواضعه

٧٧ - ٧٦/١٥ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب رحمة صلى الله عليه وآله وسلم وتواضعه

٧٦/١٥ .

(٥) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب التهجد باب تحريض النبي على صلاة الليل

والنوافل من غير إيجاب ١٠/٣ ٦ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صلاة المسافرين

وقصرها باب استحباب صلاة الضحى ٢٢٨/٥ - ٢٢٩ .

هـ - عن أنس رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جبذة شديدة فنظرت
إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد اثرت بها حاشية الرداء
من شدة جبذته ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك • فالتفت
إليه فضحك ثم أمر له بعطاء" (١)

- وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بال أعرابي في المسجد فقام الناس
إليه ليقعوا فيه • فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " دعوه وأرى يقوا على
بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" (٢)

٨ : القدوة في الصبر :

١ - عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كآني أنظر إلى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحكي نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه
عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه يقول : (اللهم اغفر لقومي
فإنهم لا يعلمون) (٤)

-
- (١) سبق تخريجه • ص ١٤٥ •
 - (٢) السجل الدلو المملوء ماء • أنظرا لنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣٤٤/٢ •
 - (٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الوضوء باب صب الماء على البول في المسجد
• ٣٢٣/١ •
 - (٤) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الأنبياء ٥١٤/٦ •

- ب - وعن ابن مسعود قال : لما كان يوم حنين أشر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناسا في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينه ابن حصن مثل ذلك وأعطى ناسا من أشرف العرب وأشرهم يومئذ في القسمة فقال رجل : والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله . فقلت : لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأثبته فأخبرته بما قال . فتغير وجهه حتى كان كالصوف ثم قال : " فمن يعدل إن لم يعدل الله (١) ورسوله ؟ ثم قال : يرحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر " .
- ج - عن عروة بن الزبير قال سألت ابن عمرو بن العاص : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي . قال : بينا النبي يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة ابن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا . فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي قال : (اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) الآية (٢) .

٩ : القدوة في العفو :-

١ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه غزا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قفل معهم فأدركتهم

- (١) هو بالكسر شجر أحمر يدبغ به الأديم . ويسمى الدم والشراب إذا لم يمزجا صرفا .
والصرف الخالص من كل شيء . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢٤/٣ .
- (٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه
١٥٧/٧ - ١٥٨ .
- (٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب مناقب الأنصار باب ما لقي النبي وأصحابه
من المشركين بمكة ١٦٥/٧ - ١٦٦ .

(١)
القائلة في واد كثير العضاء • فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتفرق الناس
يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت سمرة • فعلق بها
سيفه ونمنا نومه فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يد عوناً وإذا عنده أعراسي
فقال : إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يدي صلماً • قال :
(٢)
من يمنعك مني ؟ قلت : الله ثلاثاً ولم يعاتبه وجلس •
(٣)

ب - وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : هل أتى عليك
يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : " لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم
الحقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجيني إلى ما أردت
فانطلقت وأنا مبهوم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا
(٤)
أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال : إن الله
قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم
فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك

-
- (١) أي القيلولة : وهي الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم • النهاية في غريب
الحدِيث لأبن الأثير ١٣٣/٤ •
(٢) أي مجرداً • النهاية في غريب الحدِيث لابن الأثير ٤٥/٣ •
(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الجهاد باب من علق سيفه بالشجر في السفر
عند القائلة ٩٦/٦ •
(٤) هو قرن المنازل • ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة معجم ما استعجم من أسماء
البلاد والمواضع لعبد الله بن عبد العزيز البكري (ت : ٤٨٧ هـ) ١٠٦٧/٣ • مراد
الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت : ٧٣٩)
١٠٨٢/٣ ط ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م • دار المعرفة بيروت •

الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت . إن شئت أطبق عليهم
الأخشيين^(١) . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من
أصلاهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا^(٢) .

١٠ : القدوة في الشجاعة :-

أ - عن أنس رضي الله عنه قال : " كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الناس
وأشجع الناس وأجود الناس " .^(٣)

ب - عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال لما سئل : " أفررت عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين ؟ قال : لكن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم لم يفر إن هوازن كانوا قوما رماة وإنما لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا
فأقبل المسلمون على الخنائم فاستقبلونا بالسهم فأما رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فلم يفر فلقد رأيته وإنه لعلى بخلته البيضاء وإن أبا سفيان أخذ بلجامها
والنبي يقول : " أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب " .^(٤)

ج - عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحسن
الناس وأشجع الناس ولقد فزه أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم

(١) الأخشيان : تثنية أخشب : جبلان يضافان تارة إلى مكة ، وتارة إلى منى ، وهما واحد .
أحد هما أبو قبيس والآخر قعيقعان ، ويقال : بل هما أبو قبيس والجبل المشرف الأحمر
هنالك . وقيل : هما الجبلان اللذان تحت المعبة بمنى . معجم ما استمعتم للبكري

١٢٣/١ - ١٢٤ ، مرصد الاطلاع للبغدادى ٤٢/١ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجهاد باب ما لقى النبي من الأذى المشركين والمنافقين
١٥٤/١٢ - ٢٥٥ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الجهاد باب الشجاعة في الحرب والجبرن ٣٥/٦
، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب شجاعته صلى الله عليه وآله وسلم ٦٧/١٥ .

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الجهاد باب من قاد دابة غيره ٦٩/٦ ، صحيح
مسلم بشرح النووي كتاب الجهاد والسير باب غزوة حنين ١١٧/١٢ - ١١٨ .

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عسرى

وفى عنقه السيف وهو يقول : لم تراعوا له لم تراعوا ثم قال : وجدناه بحسرا .
(١)
أو قال إنه لبحر .

١١ : القدوة في الغضب إذا انتهكت محارم الله :-

أ - عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما خير النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يَأْمِمْ فَإِذَا كَانَ الْإِثْمُ كَانَ أَيْعَدُ هُمَا مِنْهُ وَاللَّهُ مَا أَنْتَقِمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يَأْتِي إِلَيْهِ قَطُّ حَتَّى تَنْتَهِكَ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لَهُ .
(٢)

ب - عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه .
(٣)

ج - عن عائشة رضي الله عنها أن قریشاً أهتمهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله وآله وسلم ومن يجترئ عليه إلا أسامه حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : " أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال : يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشرف

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الجهاد باب الحمائل وتحليق السيف بالعنق . ٩٥/٦

، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب شجاعته صلى الله عليه وسلم ١٧/١٥
(٢) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب باب إقامة الحدود والانتقام لحرمة الله ٨٦/١٢
صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب مبادئه صلى الله عليه وسلم للأشمام واختياره من المباح أسهله ٨٣/١٥ .

(٣) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الأدب من لم يواجه الناس بالعتاب ١٠/١٣٠ .
صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب كثرة حياته صلى الله عليه وسلم ٧٨/١٥

تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد
سُرقت لقطع محمد يدها" (١)

(١) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الحدود باب كراهية الشفاعة في الحد إذا

رفع إلى السلطان ٨٧/١٢ •

خامسا : النصح بالسردون العلانية :-

إن النصيحة معظم الدين وعماده وقوامه وأساسه
بها تقوم مصالح العباد ، وبها تصلح الأحوال وتستقيم الأمور .
وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معظم الدين وأكثره في النصيحة .
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " الدين النصيحة . قلنا :
(١)
لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " بل يابح بعض
أصحابه عندها . عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال : بايعت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .
(٢)
قال النووي : (هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الاسلام) .
وقد كان كل رسول من رسل الله عليهم الصلاة والسلام يخبر قومه أنه ما جاء يريد
ويغنى إلا نصحهم . قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : ﴿ أبلغكم رسالتك
ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ . وقال على لسان هود عليه
(٤)
السلام : ﴿ أبلغكم رسالتك ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴾ . وقال على لسان
صالح عليه السلام : ﴿ فتولى عنهم وقال يلقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم
(٥)
ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ .

-
- (١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة ٣٧/٢ .
 - (٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الايمان باب قول النبي : " الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ١٣٧/١ . صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الايمان باب بيان أن الدين النصيحة ٣٩/٢ .
 - (٣) شرح النووي على مسلم ٣٧/٢ .
 - (٤) الأعراف آية ﴿٦٢﴾ .
 - (٥) الأعراف آية ﴿٦٨﴾ .
 - (٦) الأعراف آية ﴿٧٩﴾ .

وقال على لسان شعيب عليه السلام : ﴿ فتولى عنهم وقال يقوم لقد أبلغتكم رسالتك

(١)

رسى ونصحت لكم فكيف ءاسى على قوم كفارين ﴾ .

وإن النصح فى السر دون العلانية أحد طرق الدعوة الناجحة المؤثرة الموجبة

النافعة . وقد استخدمها الأنبياء عليهم السلام مع اقوامهم . فهذا نوح عليه السلام

أبو الأنبياء يفصح عن منهجه فى الدعوة فيقول كما أخير القرآن عنه : ﴿ قال رب انسى

دعوت قومي ليلا ونهاراً فلم يزد هم دعاءى إلا فراراً وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا

أصابعهم فى ءذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ثم انى دعوتهم

(٢)

جهاراً ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً) . فهو قد أخبر أنه

نضحهم أولاً فى السر ثم نسي بالجاهرة ثم تلك بالجمع بين الاسرار والعلن .

(٣)

قال القرطبي : (وهذا من نوح مبالغة فى الدعاء لهم وتلطف فى الاستدعاء) .

هذا وإن النصيحة فى السر تكون قريبة الى إجابة المدعو لما فيها من مراعاة شعوره

واللطف به قال أبوحيان : (وهذا هو حال من ينصح فى السر فإنه جدير

(٤)

أن يقبل منه) . وذلك لأن النصيحة سراً تؤدي الغرض المطلوب ، والمقصود

الأعظم من النصح . فهى تؤلف القلوب ، ولا توجد مجالاً للنفرة والاختلاف . ذلك

لأن المنصوح قد أخبر بعينه بطريقة خفية ، ليس فيها تجريح أو فضح بين الناس .

(١) الأعراف آية ٩٣٥ .

(٢) نوح آية ٥٦ - ٩٩ .

(٣) جامع أحكام القرآن للقرطبي (ت : ٦٧١) . ٣٠١ / ١٨ .

(٤) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣٣٩ / ٨ .

وعلى عكس السر العلانية ، فان فيها فضماً للمنصوح وإبرازاً لعيوبه أمام الآخرين .
وهذا ما لا يتحملة أكثر الناس . فيحصل عكس المراد من النصيحة فيتلصّب المدعو ،
وتأخذ العزة بالاثم ، والحمية والأنفة والكبر ، فيرفض كلام الداعية ، ويزيد من تمسكه
بخطئه ويعاند . ولهذا فان معظم الناس يقبلون النصيحة ولكنهم لا يقبلون التمهيد لهم
وقد قيل لبعض السلف : (أحب أن يخبرك أحد بعيوبك ؟ فقال : إن كان
(١)
يريد أن يوبخني فلا) .

وما أحسن ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله في هذا المقام :-

تغمدني بنصحك في انفرادي	وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نسوع	من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وصيت قولتي	فلا تجزع إذا لم تعط طاعة

(٢)

إنه لا مجال في النصيحة سرّاً لحظوظ النفس والهوى والشيطان . فالناصح قد أدى
ما عليه ، وامثل أمره ، ونصح سرا . فلم يداخله شيء من الرياء أو العجب أو الخور .
والمنصوح له اقتنع بالنصيحة وعمل بها لأنه نصح بطريقة حسنة وبالمعروف . إن من
يقصد النصيحة يكون عمله خالصاً لله موافقاً للسنة صواباً . أما من يقصد النصيحة فإنه
لا يوقب في مؤمن إلا ولا ذمة . فيفضح أخاه على رؤوس الأشهاد . وقد حذر رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك أيما تحذير وأشدّه فقال صلى الله عليه وآله
وسلم : * يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم .

(١) الفرق بين النصيحة والتعبير للإمام ابن رجب الحنبلي ص ٣٨ تحقيق نجم
الرحمن خلف ط المكتبة القيمة .

(٢) ديوان الإمام الشافعي للإمام الشافعي ص ٥٦ . وعلق عليه محمد عفيف
الزعيبي دار الجيل بيروت ط ٣ ١٩٩٢/٧٤م .

فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته • ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته •
أخرجه أحمد وأبو داود (١) والترمذي (٢) وقال حديث حسن غريب (٣)

قال الإمام الشافعي : (من وعظ أخاه سرا فقد نصه وزانه ومن وعظه علانية
(٤)

فقد فضحه وشانه) • وقال الفضيل بن عياض : (المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك
(٥)

ويعير) • وكان يقال : (من أمر أخاه على رؤوس الأشهاد فقد عيره) •
(٦)

-
- (١) مسند الامام أحمد وسهامه منتخب كنز العمال ٤/٤٢٠ - ٤٢١ •
 - (٢) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في الغيبة ٤/٢٧٠ والحديث حسن لوجود سعيد ابن عبد الله بن جريج وهو صدوق أنظر تقريب التهذيب ١/٢٩٩ •
 - (٣) سنن الترمذي بتحفة الأحوزي كتاب البر والصلة والآداب باب ما جاء في تعظيم المؤمن
٦/١٨٠ - ١٨١ • والحديث حسن لوجود يحيى بن أكنم وأبى بن دلهم وهما
صدوقان • أنظر تقريب التهذيب ٢/٣٤٢ - ٣٤٣ ، ١/٨٦ •
 - (٤) شرح النووي على مسلم ٢/٢٤ •
 - (٥) الفرق بين النصيحة والتعير للامام ابن رجب الحنبلي ص ٣٩ •
 - (٦) المرجع نفسه ص ٤٠ •

تعادج من النصيحة سرا دون العلانية :-

أولا : من الكتاب :

١ - قال تعالى : ﴿ قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزد هم دعائى
إلا فرارا وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصليهم فى اذانهم واستنشوا
شبابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسررت
(١)
لهم أسراراً ﴾ .

فقد أبانت هذه الآيات الكريمات كيف أن نوحا عليه الصلاة والسلام قد استخدم
أساليب متعددة ووسائل متنوعة لدعوة قومه ومن بينها النصح فى السر دون العلانية
وأكد على استخدامه لهذا الأسلوب بالصدر ﴿إسراراً﴾ وذلك لما رأى نوحى
النصح سرا من مزايا وخصائص حيث إن الناصح سرا غالبا ما تقبل نصيحته قال
الزمخشري : (قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر فى الابتداء بالأهون والترقى فى الأشد فالأشد . فافتتح المناصحة فى السر فلما
لم يقبلوا شئ بالمجاهرة فلما لم تؤثر ذلك بالجمع بين الاسرار والعلن) .
(٢)

٢ - وقال تعالى : ﴿ ألم ترالى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك
وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطغفوت وقد أمروا أن يكفروا به ويرسد
الشيطان أن يضلهم ضللا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول

(١) نوح آية ٥ - ٤٩ .

(٢) الكشاف للزمخشري ١٦٢/٤ . وأنظر مفاتيح الغيب للرازى

رأيت المنفقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظيهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) .
(١)

فقد أبانت هذه الآيات الكريمات ما كان من شأن المنافقين وأعمالهم وأمر

الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في أن يعرض عنهم وأن يعظيهم ويخوفهم ويزجرهم

بأبلغ الزواجر في السر والخلاء ليرتد عوا ويتزجروا فقال له : ﴿ وقل لهم في أنفسهم

قولا بليغا) . قال الزمخشري : (قل لهم في أنفسهم خاليا بهم ليس معهم

غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لأنها في السر انجع وفي الامحاض أدخل) . وقال
(٢)

الألوسي : (أى قل لهم خاليا لا يكون معهم أحد لأنه أدعى إلى قبول النصيحة .

(٣)

ولذا قيل : النصح بين المأ تفریح) .

(١) النساء آية (٦٠-٦٣) .

(٢) الكشاف للزمخشري ٥٣٧/١ . وأنظر مفاتيح الغيب للرازي ١٥٩/١٠ .

(٣) روح المعاني للألوسي ٦٩/٥ ط دار احياء التراث العربى .

ثانيا : من السنة :

١ - عن سعد بن أبي وقاص قال : " أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رهطا وأنا جالس فيهم • فترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم رجلا لم يعطه - وهو أعجبهم إلى - فقمت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فساررت • فقلت : ما لك عن فلان ؟ والله إنى لأراه مؤمنا قال أو مسلما • قال فسكت قليلا ثم غلبنى ما أعلم فيه فقلت : يا رسول الله مالك عن فلان ؟ والله إنى لأراه مؤمنا قال أو مسلما • قال فسكت قليلا ثم غلبنى ما أعلم فيه فقلت : يا رسول الله مالك عن فلان ؟ والله إنى لأراه مؤمنا قال أو مسلما • ف ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده فجمع بين عنقى وكفى ثم قال : " اقتتلا أى سعد إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكب فى النار على وجهه " •

قال النووي : (وفيه التاديب مع الكبار وأنهم يسأرون بما كان من باب التذكير لهم والتنبيه ونحوه ولا يجاهرون به فقد يكون فى المجاهرة به مفسدة) •

٢ - عن عروة بن الزبير أن عبيد الله بن عدى بن الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا : " ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه فقصدت لعثمان حتى خرج إلى

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الزكاة باب قول الله تعالى : ﴿ لا يسئلون الناس الخفاف ﴾ ٣/٣٤٠ - ٣٤١ • صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه إن لم يعط ٧/١٤٨ - ١٤٩ •
(٢) شرح النووي على مسلم ٧/١٤٩ •

الصلاة . قلت : إن لي إليك حاجة وهي نصيحة لك . قال : يا أيها المرء منك .
قال معمر : أراه قال أعوذ بالله منك فأنصرفت فرجعت إليهما . إذ جاء رسول
عثمان فأتيته فقال : ما نصيحتك ؟ فقلت : إن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله
عليه وآله وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب وكنت ممن استجاب لله ولرسوله فهاجرت
الهجرتين وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورايت هديه وقد أكثر الناس
في شأن الوليد . قال : أدركت رسول الله ؟ قلت : لا ولكن خلص إلي من علمه
ما يخلص إلي العذراء في سترها . قال : أما بعد : فإن الله بعث محمدا بالحق
فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمنت بما بعث به وهاجرت الهجرتين - كما قلت -
وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبايعته فوالله ما عصيته ولا غششته
حتى توفاه الله ثم أبو بكر مثله ثم عمر مثله ثم استخلفت أبا بكر لي من الحق مثل الذي
لهم ؟ قلت : بلى . قال : فما هذه الأحاديث التي تيلخني عنكم ؟ أما ما ذكرت من
شأن الوليد فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله ثم دعا عليا فأمره أن يجلد فجلده
(1)

ثمانين

فقد بين النص كيف أن عبید الله بن عدی بن الخيار اختار الطريق الأسلم
والأجمع للنصح وهو أنه نصحه سرا فيما بينه وبين عثمان : " إن لي إليك حاجة وهي
نصيحة " فاستجاب لها عثمان لأنها عرضت بطريق تقبله النفوس " أما ما ذكرت من
شأن الوليد فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله ثم دعا عليا فأمره أن يجلد فجلده ثمانين "

٣ - عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه قال : قيل له : ألا تدخل على عثمان فتكلمه .
فقال : أترون أنني لا أكلمه إلا أسحكم . والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن

(1) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب فتنائل الصحابة باب مناقب عثمان بن عفان

أفتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه • ولا أقول لأحد يكون علي أميرا إنسه
خير الناس بعد ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : " يؤتى
بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقطاب بطنه فيدور بها كما يسدور
الحمار بالرحا ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان • مالك ؟ ألم تكن
تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول : بلى ، كنت أمر بالمعروف ولا آتية
وانهى عن المنكر وآتية " (١)

قال النووي : (وفيه الأدب مع الأمراء ، واللطف بهم ، وعظهم سرا ،
(٢)
وتبليغهم ما يقول الناس لينتبهوا عنه)

(١) سبق تخريجه ص ١٥٣ .

(٢) شرح النووي على مسلم ١١٨/٨ .

سادسا : النصح بالتعريض دون التصريح :-

ان النصح بالتعريض دون التصريح أحد العوامل الحساسة المهمة لنجاح الداعية في دعوته . فالنفوس البشرية مجبولة على الأنفة والكبر والاعتداد بالذات ، فهي لا تحب أن يواجهها أحد كائنا من كان يعيوبها صريحة مكشوفة لأنها تعتبر ذلك إهانة لها وتحقيرا ، فتلجأ إلى الغناد والمحادثة والمشاقة . ولا سبيل إلى كسر هذا إلا التعريض في النصح فإن التعريض في النصيحة يكون أوقع في النفس وأكثر إرضاءً لغير المدعو وأنتفه وشعوره بكرامته وأوفق لظروف الحال . فيقبل النصيحة ويعمل بها لأنه أخبر بعيبه بطريقة غير مباشرة وبدون أن يفطن به أحد فيحاول علاج نفسه وإصلاحها .

قال الزركشى : (ووجه حسنه - أي التعريض - ظاهر لأنه يتضمن إعلام السامع على صورة لا تقتضى مواجهته بالخطاب المنكر كأنك لم تعنه وهو أعلى محاسن الأخلاق وأقرب للقبول وادعى للتواضع)^(١) وقال الطيبي : (ووجه حسنه إسراع من يقصد خطابه الحق على وجه يمنع غضبه إذ لم يصرح بنسبته للباطل والاعانة على قبوله إذ لم يرد له إلا ما أراد لنفسه)^(٢)

فالتعريض إذاً يؤدي إلى الغرض المطلوب والهدف المقصود من النصيحة وهو قبول النصيحة مع تآلف القلوب وعدم نفرتها ولذا فلا عجب أن قال الزمخشري : (يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح)^(٣)

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشى ٣١٣/٢ .

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ٢٩٢/١ . ط دار الفكر العربي .

(٣) الكشاف للزمخشري ١١٦/٣ .

هذا وقد جعل الامام الغزالي رحمه الله (من دقائق صناعة التعليم أن يتجسس المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ . فإن التصريح يهتك حجاب الهبة ويورث الجراءة على الهجوم بالخلاف ويسبغ الحوص على الاصوار) .
(١)

وإننا لنجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد استخدم ما هذا الأسلوب في النصيحة . فنجد إشارات يفهم صاحبها أنه هو المراد فيحاول علاج نفسه وإصلاحها دون أن يظن له أحد أو يعلم به إنسان . ففي القرآن نجد : ﴿ ألم تر إلى الذين ﴿٥٠٠﴾ و ﴿٥٠٠﴾ : ﴿ أرأيت الذي ﴿٥٠٠﴾ ﴾ وغيرها من الآيات التي تتضمن النصح بالتعريض دون التصريح .
وفي السنة النبوية الشريفة نجد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول دائما : " ما بال أقوام . . . " .

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ٥٢/١ .

نماذج على التصريح دون التصريح :-

أولا : من الكتاب :

- ١ - قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متلذذوا قليلا والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتبيلا ﴾ (١) فهذه الآيات تعرض بهؤلاء الذين قيل لهم هذا القول فلم يبادروا إلى الاستجابة بل تعللوا بعلم الخوف والحرص على الحياة • فتعنى الآيات تصحيح لهم ولغيرهم سوء التصور والادراك لحقائق الموت والحياة والأجل والقدر والخير والشر والنفع والضرر والكسب والحياة والموازن والقيم لتدبرهم هم وغيرهم على الوجه الصحيح والنظرة الصائبة للأمور • (٢)
- ٢ - قال تعالى : ﴿ وإنا أوأياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾ • قال ابن قتيبة : (والمعنى إنا لضالون أو مهتدون وإنكم أيضا لضالون أو مهتدون • وهو جل وعز يعلم أن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم المهتدى وإن مخالفة الضال وهذا كما تقول للرجل يكذبك ويخالفك : إن أحدنا لكاذب وأننت تعنيه فكذبتك من وجه هو أحسن من التصريح) (٣)

(١) النساء آية ٧٧ •

(٢) سبأ آية ٢٤ •

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٦٩ وانظر البرهان فى علوم القرآن

٣ - قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمِنَ

تَزَكَّى فَأَمَّا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (١)

قال الزركشى : (المقصود التعريض بدم من ليست له هذه الخشية وأن

يعرف أنه لفرط عناده كأنه ليس له أذن تسمع ولا قلب يعقل وأن الإنذار له

(٢)

• كلاً إنذار)

٤ - قال تعالى : ﴿ آرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى

أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ (٣)

وهذه الآيات وإن نزلت في شأن أبي جهل فهي مع ذلك عامة في كل

طائفة يأتي بعد ذلك إلى قيام الساعة والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

السبب ولهذا نجد الأسلوب القرآني قد آثر التعبير بهذه اللفظة ﴿ آرأيت ﴾ التي تفيد العموم والتعريض بدل التخصيص والتصريح

٥ - قال تعالى : ﴿ آرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالَّذِينَ قَدْ كَذَّبَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحِضُ

(٤)

• على طعام المسكين ﴾

وهذه الآيات تبين أن الذي يكذب بالذين ليسوا بشخصا بعينه وإنما هو كل من

يدع اليتيم ويؤجره ولا يحض على طعام المسكين • إنه خطاب يلحق قلب كل

واحد من المخاطبين قد يكون بعضهم مقصودا والبعض الآخر ليس مقصودا بذاته

وإنما هذا هو الأسلوب القرآني يخاطب بالتمريض دون التصريح لينصح الجميع

ويعظ الكل فمن كانت فيه عرف نفسه فأصلحها وقومها ومن لم تكن فيه حاول

الابتعاد عنها وعدم الوقوع فيها

(١) فاطر آية ﴿ ١٨ ﴾

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشى ٣١٤/٢

(٣) العلق آية ﴿ ٩ - ١٤ ﴾

(٤) الماعون آية ﴿ ١ - ٣ ﴾

ثانيا : من السنة :

١ - عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : رخص رسول الله صلى الله عليه وآله

(١)

وسلم في أمر فتنزهه عنه ناس من الناس فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فغضب حتى بان الغضب في وجهه ثم قال : " ما بال أقوام يرغبون عما رخص

(٢)

لي فيه فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشد هم له خشية " .

(٣)

قال النووي : (وفيه الحث على الاقتداء به صلى الله عليه وآله وسلم)

وقال أيضا : (وفيه حسن المعاشرة بإرسال التعزير والانكار في الجمع ولا يعين

(٤)

فاعله فيقال : ما بال أقوام ونحوه) .

٢ - وعن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن نفرا من اصحاب النبي صلى الله عليه

وآله وسلم : سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عمله في السر فقال

بعضهم : لا أتزوج النساء . وقال بعضهم : لا أكل اللحم . وقال بعضهم :

لا أنام على فراش . فحمد الله وأثنى عليه فقال صلى الله عليه وآله وسلم : " ما

بال أقوام قالوا كذا وكذا ولكنى أصلى وأنام وأصوم وأنظر وأتزوج النساء فمن رغب

(٥)

عن سنتي فليس مني " .

(١) أى تركوه وأبعدوا عنه ولم يعملوا بالرخصة فيه . أنظرا النهاية في غريب الحديث لابن

الأثير ٤٣/٥ .

(٢) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب ٥١٣/١٠

• صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى

وشدة خشيته ١٠٦/١٥ - ١٠٧ .

(٣) (٤) شرح النووي على مسلم ١٠٧/١٥ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد

مؤنة واشتغال من عجز عن المؤمن بالصوم ١٧٥/٩ - ١٧٦ .

قال النووي في شرحه : (وهو موافق للمعروف من خطبه في مثل هذا أنه إذا كره شيئاً فخطب له ، ذكر كراهيته ولا يعين فاعله وهذا من عظيم خلقه صلى الله عليه وآله وسلم فإن المقصود من ذلك الشخص وجميع الحاضرين وغيرهم ممن يبلغه ذلك ولا يحصل توبيخ صاحبه في الملاء) (١)

قلت : وفيه عدم مواجهة المدعو بالنقد والعتاب والملامة ، حتى لا تتأثر نفسيته وتحدث أمور عكسية ليست في الحساب قد تؤدي إلى إثارة الشكوك وحصول الضغينة والبغضاء ، وظهور العداوة والخلاف .

٣ - عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً من الأسد . يقال له ابن اللببية على الصدقة . فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدي لي . قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنسبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : " ما بال عامل أبعثه فيقول : هذا لكم وهذا أهدي لي . أفلا تعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهما إليه أم لا . والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرته إبطيه ثم قال : اللهم هل بلغت مرتين . " (٢)

-
- (١) شرح النووي على مسلم ١٧٦/٩ .
(٢) الرغاء صوت الأبل . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢٤٠/٢ .
(٣) الخوار صوت البقرة . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٨٧/٢ .
(٤) أي تصيح . النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢٩٧/٥ .
(٥) العفرة بياض ليس بالناصع ولكن كلون عفر الأرض وهو وجهها . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢٦١/٣ .
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الامارة باب تحريم هدايا العمال ٢١٨/١٢ - ٢١٩

٤ - عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم أنهما سمعا رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم يقول على أحواد منبره : " لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ^(١) و

(٢)

ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين " .

٥ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : "

ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم ؟ فاشتد قوله في ذلك ^(٣)

حتى قال : لينتهين عن ذلك أولتخطفن أبصارهم " .

٦ - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى

عنه يخطب الناس يوم الجمعة إذ دخل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فعرض

به عمر فقال : ما بال رجال يتأخرون بعد النداء ؟ فقال عثمان : يا أمير المؤمنين

ما زدت حين سمعت النداء أن توضأت ثم أقبلت . فقال عمر : والوضوء أيضا . ألم

تسمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : " إذا جاء أحدكم الجمعة

(٤)

فليغتسل " .

(١) تركهم إياها والتخلف عنها . انظر النهاية في غريب الحديث ١٦٦/٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجمعة باب التغليب في ترك الجمعة ١٥٢/٦ .

(٣) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الأذان باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة

٢٣٣/٢ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصلاة باب النهي عن رفع البصر

إلى السماء في الصلاة . ١٥٢/٤ .

(٤) / صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجمعة باب في غسل الجمعة ١٣١/٦ صحيح

سابعاً : الدعوة باستعمال اللين في موضع اللين :

إن الداعية الحكيم هو الذي يقيس الأمور بمقياسها الصحيح ويزن الأمور
بميزانها السليم ويعرف أي الأساليب يستخدم ومتى يستعمل ذلك الأسلوب وكيف
يستعمله ؟ .
ومن الأساليب المهمة في عرض الدعوة عرضاً شيقاً مفيداً ، بل هو الأساس
الذي قامت عليه الدعوة إلى الله عز وجل أسلوب اللين . والمراد منه : عرض
الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإسداء النصيحة بأسلوب
جميل مؤثر يفتح القلوب ويشرح الصدر ويحمل الآخرين على الاستماع والاستجابة
ذلك أن الغرض الأسى من دعوة الداعية هو استجابة المدعو وطاعته وامتناله
للأمر ، وهذا المقصود العظيم لا يتحقق ولا يحصل إلا باللين والماملة الحسنة
والأدب الجميل والخلق الرفيع الرصين والتجاني عن سوء الخلق وخشونة الجانب كما قال
تعالى : ﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك
فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب
المتوكلين ﴾ (١) قال سيد قطب : (فالناس في حاجة إلى كنف رحيم ، وإلى رعاية
فائقة ، وإلى بشاشة سمحة ، وإلى ود يسعهم ، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم
ونقصهم . في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ، ويحصل
همومهم ولا يعينهم بهممة . ويجدون عند دأبهم الاهتمام والرعاية ، والعطف
(٢)
والسماحة ، والود والرضاء . وهكذا كان قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
وقد أمر الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام أن يذبا إلى فرعون عليه لعنة

(١) آل عمران آية (١٥٩) .

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ٥٠٠/١ - ٥٠١ .

أقول : فينبغي للدعاة إلى الله أن يسلكوا هذا المنهج منهج استعمال اللين والرحمة في دعوتهم للآخرين . إن اللين والرحمة ومعاملة الناس بالحسن ، والاحسان والتودد إليهم بكل وسيلة مشروعة وقضاء حوائجهم ، وتفقد غائبهم ، وزيارة مريضهم ، والسؤال عن أحوالهم كل هذا له أثره البالغ في اجتذاب القلوب وكسب الأنصار وروح محبة المدعو وقبوله للموعظة . وصدق رسول الله صلى الله وآله وسلم حين قال : " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه " .^(١)

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : " من يحرم الرفق يحرم الخير " .^(٢) وأخبرت عائشة عن حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : ما خير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى " .^(٣)

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصي الدعاة الذين يرسلهم إلى الآفاق باللين في الدعوة وبالتيسير بدل التعسير . فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما حين بعثهما إلى اليمن : " يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلعا " .^(٤) وقال صلى الله عليه وآله وسلم

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة والآداب باب فضل الرفق ١٦ / ١٤٦ -

• ١٤٧

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة والآداب باب فضل الرفق ١٦ / ١٤٥ •

(٣) سبق تخريجه • انظر ص ١٥١ •

(٤) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الجهاد باب ما يكره من التنازع والاختلاف

في الحرب ٦ / ١٦٢ • صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجهاد والسير باب تأمير

الإمام الأمراء على البعث ١٢ / ٤١ •

(١) مخبراً عن نفسه : " إن الله لم يعثني معنئ ولا متعنئ ولكن بعثني محلاً ميسراً " • هدى
الله الدعاء إلى استعمال أسلوب اللين والرحمة والشفقة في دعوتهم لعباد الله • حتى
يكون لدعوتهم قبولاً وأثراً محموداً في إقبال الناس عليهم واستماع نصيحهم وإرشادهم وتوجيهاتهم •

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الطلاق باب بيان أن تخيير المرأة لا يكون
إلا بالنية ٨١/١٠ •

نماذج على اللين موضع اللين :-

اولا : من الكتاب :

١ - قال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم انه كان صديقا نبيا • اذ قال لابيه
يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا •
يا ابت انى قد جاءنى من العلم ما لم ياتك فاتحنى اعدك
صراطا سويا يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان
للرحمن عصيا يا ابت انى اخاف ان يسك عذاب من الرحمن
(١)
فتكون للشيطان وليا •

فى الآيات بيان : كيف أن إبراهيم الخليل عليه السلام لم يستعمل مع ابيه
العنف والشدّة ، والغلظة والقسوة ، وإنما أورد عليه النصائح والدلائل بأسلوب
هين لين سهل وصدركلا منها بالنداء الحبيب " يا ابت " المتضمن للرفق
واللين استمالة لقلب ابيه وامثالا لأمر به (يا ابت) لين لابيه عن شدة محبته
له ورغبته فى صونه عن العقاب وإرشاده إلى الصواب • وهكذا الداعية إلى الله
لا بد أن يكون رفيقا لطيفا هينا ليلا سهلا يورد الكلام لا على سبيل العنف
والشدّة والزجر والقسوة لأن إيراد ه على هذا السبيل يقرّب عليه أعراض
المدعو عنه فيكون قد سعى فى الحقيقة إلى اغوائه واذلاله مدلا من هدّيته
وإسعاده قال الزمخشري : (انظر حين اراد ان ينصح اياه ويعظه فيما كان
متورطا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذى عصى فيه أمر العقلاء • كيف

(١) مريم آية (٤١ - ٤٥) •

رتب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه أرشقى مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصفا في ذلك بنصيحة ربه عز وعلما . فطلب منه أولا أن يبين العلة من عبادته لهذه الأصنام طلب منه على تعاديه موقظ لإفراطه وتناهيه ، وذلك لأن العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت الميثب المعاقب الذي منه أصول النعم وفروعها ، ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترقا به متلظفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال إن معنى طائفة من العلم وشيئا منه ليست معك فاتبعنى انجك من أن تضل وتتيه ثم ثلث بتشبيطه ونهيه عما كان عليه بأن بين له أن الشيطان عدو له لا يريد به إلا كل هلاك وخزى ونكال . ثم ربح بتخويفه سرا العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوالم ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لا حق له وأن العذاب لا صق به ولكنه قال أخاف أن يسلك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أتباعه وأوليائه أكبر من العذاب . وقد صد ركل نصيحة من هذه النصائح الأربع بقوله يا أبا توسلا (١) إليه واستعظما) . هـ بتصرف .

٢ - قال تعالى : (ودخل معه السجن فتيان . قال أحدهما إني أرى

أعصر خمرا وقال الآخر إني أرى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبتنا بتأويله إنا نرتك من المحسنين ، قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نياتكما بتأويله قبل أن يأتيكما . ذلكما مما علمنى ربى إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم

(١) الكشاف للزمخشري ٢/٢٢٥ - ٢٢٦ ط ٢ ١٣١٨ هـ . المطبعة الكبرى الأميرية

بيولاقي مصر المحمدية .

كثفرون واتبعتم ملة^٤ آباء^٥ى إبراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من
شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون يصلحى السجن
آرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه^٦ إلا أسماء^٧ سميتوها
انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه
ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون • يصلحى السجن أما أحد كما فيسقى
ربه خمرًا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذى فيه تستفتيان^٨

فقد ابانت هذه الآيات كيف أن يوسف عليه السلام لم يغفل عن الدعوة له ينه
مع انه فى السجن بل استغل الموقف وأخذ يشرح فى تلىف ولين ورفق مبادئ دعوته
مستغلا الموقف احسن استغلال مدركا لطبيعة البيئته ومدخل النفوس فيها وصدر
نصيحته الخاصة بقوله « يصلحى السجن » فهناك علاقة بينى وبينكم وأنا لا أريد
إلا مصلحتكما فقد علمتم سيرتى ورأيتم صلاحى ومبلغ علمى • قال سيد قطب: (مدخل
لطيف وخطوة خطوة فى حذر ولين ثم يتوغل فى قلبيهما أكثر وأكثر وينصح عن عقيدته
ودعوته إفصاحا كاملا ويكشف عن فساد اعتقادهما واعتقاد قومهما وفساد ذلك الواقع
التكد الذى يعيشون فيه • بعد ذلك التمهيد الطويل « يصلحى السجن آرباب
متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء^٧ سميتوها أنتم وآباؤكم
ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه • ذلك الدين
القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » لقد رسم يوسف عليه السلام بهذه الكلمات القليلة
الناصحة الحاسمة المنيرة كل معالم هذا الدين وكل مقومات هذه العقيدة كما هزبها
كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هذا شديدا عنيفا « يصلحى السجن آرباب

متفوقون خير أم الله الواحد القهار) • إنه يتخذ منهما صاحبين ويتجسرا إليهما
بهذه الصفة المؤنسة ليدخل من هذا المدخل إلى صلب الدعوة وجسم العقيدة (١) •

٣ - قال تعالى : « ولقد آتينا لقمن الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه
ومن كفر فإن الله غني حميد وإن قال لقمن لابنه وهو يعظه يبنى لا تشرك بالله
إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصله
في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير وإن جهداك علي أن تشرك بي ما ليس
لك به علم فلا تطعبهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي
مرجعكم فأبئسكم بما كنتم تعملون يبنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في
صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير يبنى أتم الصلوة
وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا تصغر
خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك
واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » (٢)

فقد أبانت الآيات الكريمات كيف أن لقمان الحكيم قد نصح ولده واستعمل معه
أسلوب اللين والرحمة وصدّر كل توجيه من توجيهاته ببيان الرابطة التي تربطه به (يبنى)
ولذا فإني لا أريد لك إلا الخير •

قال سيد قطب : (وإنما لعظة غير متهمة فما يريد الوالد لولده إلا الخير وما
يكون الوالد لولده إلا ناصحاً • وهذا لقمان الحكيم ينهى ابنه عن الشرك ويعلل هذا
النهي بأن الشرك ظلم عظيم ويؤكد هذه الحقيقة مرتين مرة بتقدير النهي
وفصل علة ومرة بأن واللام وهذه هي الحقيقة التي يعرضها محمد صلى الله
عليه وسلم على قومه فيجاد لونه فيها ، ويشكون في غرضها من وراء عرضها ويخشون
أن يكون وراءها انتزاع السلطان منهم والتفضل عليهم ! فما القول ولقمان الحكيم
يعرضها على ابنه ويأمره بها ؟ والنصيحة من الوالد لولده مبراة من كل شبهة

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ١٩٩٩/٤ •

(٢) لقمان آية (١٢ - ١٩) •

(١)

بعيدة من كل ظنة ؟ ألا إنها الحقيقة القديمة التي تجرى على لسان كل من أتاه

الله الحكمة من الناس يراد بها الخير المحض ولا يراد بها سواء وهذا هو المؤثر

(٢)

• النفس المقصود •

٤ - قال تعالى عن مؤ من يسن : ﴿ وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يلقوم اتبعوا

المرسلين اتبعوا من لا يستلكم اجرا وهم مهتدون وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه

ترجعون أتخذ من دونه الهة إن يردن الرحمن بضر لا تغنى عني شفعتهم شيئا

ولا ينقذون إني إذا لقي ضلل مبين إني آمنتم بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة

(٣)

قال يألويت قومي يعلمون بما غر لي ربي وجعلني من المكرمين •

٥ - وقال تعالى عن مؤ من آل فرعون : ﴿ وقال الذي آمن يلقوم اتبعون أهدكم سبيلا

الرشاد يلقوم إنما هذه الحيوة الدنيا متبع وإن الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة

فلا يجزي إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤ من فأولئك يدخلون

الجنة يرزقون فيها بخير حساب ويلقون مالي ادعوكم إلى النجوة وتدعوني إلى

النار تدعوني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا ادعوكم إلى العزيز الغفر

لا جرم أنا تدعوني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله

وأن المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن

(٤)

• الله بصير بالعباد •

فقد أبانت الآيات الكريمة : أن كلا من مؤ من يسن وآل فرعون حاولا أن يستميلا

(١) الظنة : أي التهمة • انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٦٣/٣ •

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ٢٧٨٨/٥ •

(٣) يسن آية ﴿ ٢٠ - ٢٧ ﴾ •

(٤) ظفر آية ﴿ ٣٨ - ٤٤ ﴾ •

قلوب أقوامهم وعواطفهم نحو عما فخطبواهم بندا^١ يشعرونهم فيه أن عنك رابطة
تجمعهم وعصمة تربطهم م يقوم د فنحن منكم وا نتم منا يشعرونهم أن أمرهم
يهمهم فهما منهم ومصيرهما مصيرهم وما هما في الحقيقة إلا ناصحان لهم مشفقان
عليهم فلعل هذا الشعور يجعلهم ينظرون إلى كلامهم باهتمام وياخذونه مأخذ
البراءة والاخلاص . وهذا هو في الأصل منهج الأنبياء جميعا . لقد كانوا
يظهرون هذه الصلة فنوح عليه السلام قال لقومه : م يقوم اعدوا الله ما لكم
من إله غيره د (١)

(٢)

• وهود عليه السلام قال لقومه : م يقوم اعدوا الله ما لكم من إله غيره د

(٣)

• وصالح عليه السلام قال لقومه : م يقوم اعدوا الله ما لكم من إله غيره د

(٤)

• وشعيب عليه السلام قال لقومه : م يقوم اعدوا الله ما لكم من إله غيره د

وهكذا كان كل نبي من أنبياء الله يبعث الله إلى قومه يخاطب قومه مبرزاً

لهذه الصلة التي تربطهم به على قلوبهم تليق وأفئدتهم تستجيب وعقولهم تستنير .

(١) الأعراف آية (٥٩) د

(٢) الأعراف آية (٦٥) د

(٣) الأعراف آية (٧٣) د

(٤) الأعراف آية (٨٥) د

ثانيها : من السنة :

١ - عن معاوية بن الحكم السلمي قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ عطس رجل من القوم . فقلت : يرحمك الله . فرماني القوم بأبصارهم فقلت : واشكل أعياء ما شأنكم تنظرون إلي ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم . فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت . فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبابي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني . قال : " إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قلت يا رسول الله : إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالاسلام وإن منا رجلا يأتون الكهان . قال : فلا تأتهم . قلت : ومنا رجال يتطيرون . قال : ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم " رواه مسلم .

قال النووي : (فيه بيان ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ورفقه بالجاهل ورافته بأمته وشفقته عليهم

- (١) الشكل : أي الفقد . وهو لم يرد حقيقة هذا الدعاء إنما كان جاريا على لسان العرب كقولهم تربت يدك . قاتلك الله . أنظر النهاية في غريب الحديث ٢١٧/١ .
- (٢) الكهر : الانتهاز وقد كهره يكهره إذا زبره واستقبله بوجه عبوس والمراد أي ما نهسه ولا عبس في وجهه . أنظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢١٢/٤ .
- (٣) أي يتشاءمون ببعض الطيور . النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٥٢/٣ .
- (٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة ٢٠/٥ - ٢٢ .

وفيه التخلق بخلق صلى الله عليه وآله وسلم في الرفق بالجاهل وحسن تلقيه
واللطف به وتقريب الصواب الى فهمه (١).

٢ - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال أعرابي في المسجد فقام اليه
الناس ليقعوا فيه . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " دعوه وأريقوا علي
بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين " .
رواه البخاري وفي رواية ابن ماجه انه قال : " بأبي وأمي فلم يؤنب ولم يسب .
فقال : " ان هذا المسجد لا يبالي فيه انما بنى لذكر الله وللصلاة " ثم أمر
بسجل من ماء فأفرغ على بوله (٢).

٣ - وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه
وآله وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة
حتى نظرت الى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد أثرت بها حاشية
الرداء من شدته . ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك .
فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء (٣).

-
- (١) شرح النووي على مسلم ٢٠/٥ .
(٢) سبق تخريجه . انظر ص ١٤٧ .
(٣) سنن ابن ماجه لابن ماجه بتحقيق محمد مصطفى الاعطى ١/٩٩ . ط ١
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م . مطبعة شركة الطباعة العربية السعودية .
(٤) سبق تخريجه انظر ص ١٤٥ .

٤ - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : " ماذا عندك يا ثمامة ؟ فقال : عندي خير • يا محمد إن تقتلني تقتل ذاك دم وإن تنعم تنعم على شاكرو وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت • فترك حتى كان الغد ثم قال : ما عندك يا ثمامة ؟ فقال : إن تنعم تنعم على شاكرو فتركه حتى كان بعد الغد فقال : ما عندك يا ثمامة ؟ قال : عندي ما قلت لك • فقال : اطلقوا ثمامة • فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله • يا محمد والله ما كان على الأرض وجه ابغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي • والله ما كان من دين ابغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي • والله ما كان من بلد ابغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي • وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمره أن يحترق فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ؟ قال : لا والله ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة خنطصة حتى يأتون فيها النبي صلى الله عليه وسلم " • (١)

قال ابن حجر : (فيه الملاطفة بمن يرجو إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه) • (٢)

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب المغازى باب وفد ابى حنيفة وحدث ثمامة بن أثال ٨٢/٨ •

(٢) فتح البارى ٨٨/٨ •

٥ - عن ابن شهاب قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزوة الفتح فتح مكة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بحنين فنصر الله دينه والمسلمين وأعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ صفوان ابن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة . قال ابن شهاب حدثني سعيد بن المسيب ان صفوان قال : والله لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اعطاني وإنه لأبغض الناس إلي فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي .^(١)

٦ - عن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال : ان فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله اغدن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه فقال صلى الله عليه وآله وسلم : " ادنه فدنا منه قريبا قال : فجلس فقال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم . قال : أتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال : أتحبه لأختك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم . قال : أتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم . قال : أتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم . قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء .^(٢)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب في سخائه صلى الله عليه وآله وسلم

٥٣١/٧٣

(٢) سند الامام احمد وبهامشه منتخب كنز العمال ٢٥٦/٥ - ٢٥٧ مسند أبي امامة ط. دار

صادر للنشر والطباعة .
وانظر الفتح الرباني لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيباني كتاب الحدود

أبواب حد الزنا باب ما جاء في التنفير من الزنا ووعد فاعله ٧٠/١٦ - ٧١ قال =

فقد أبانت هذه النصوص المتضاربة ما ينبغي للداعية أن يتخلى به من اللين
في المعاملة والرفق بالمدعوين • وأن يكون متحليا بالخلق الطيب الرقيق الرحيم ،
وبالوجه البشوش المتواضع • ليستطيع من خلال ذلك أن يملك قلوبهم ، ويسيطر
على عواطفهم ، ويسير بها نحو الإيمان والكمال •

= الشيخ احمد البنا الساعاتي وسنده عند الامام احمد جيد •
وقال العراقي : رواه احمد باسناد جيد رجاله رجال الصحيح • أنظر احياء
علوم الدين بتخريج الحافظ العراقي ٥٤/١١ • والحديث صحيح لأن رجاله
ثقات وسنده متصل •

فإنما : الدعوة باستعمال الشدة موضع الشدة :

إن اللين والرفق ومعاملة الناس بالحسن والتودد إليهم وكسب قلوبهم هو الأساس في الدعوة إلى الله كما تبين مما سبق ولكن في بعض الأحوال والظروف تكون الشدة أنسب وأوقع وأعمق أثرا ، ومسألة تقدر هذا الأمر متروك لحكمة الداعية وفطنته وحسب قياسته للأمور . ومن هنا كان لزاما على الداعية أن يقدر للأمور قدرها ويعطى كل موقف حقه من اللين والرفق أو الشدة والحزم . والشدة أحيانا تكون من الشفقة والاحسان .

قال الشاعر :

فقسا ليزد جروا ومن يك حازما

(١) فليقس أحيانا على من يرحم

(٢)

قال بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ إن القول

الحسن ليس هو عبارة عن القول الذي يشتهيه المدعو ويوافق هواه ويحبه بل القول

الحسن هو الذي يحصل انتفاعه به سواء حصل عن طريق اللين والرفق أو الشدة

والحزم وعلى هذا قد تكون الشدة من القول الحسن . (٣)

إن الشدة موضع الشدة ترد الأمور إلى نصابها وتبين قدر كل شيء وتضع

الأمور في وضعها الطبيعي اللائق بها . لقد كان صلى الله عليه وآله وسلم ليين

المعاملة حسن العريكة متواضعا حليما يتودد إلى أصحابه ويرفق بهم ويحسن

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ١١٢١/٣ .

(٢) البقرة آية (٨٣) .

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ١٦٨/٣ .

مغاملتهم يزور مرضهم ويتفقد غائبهم ويشيع ميتهم ويقبل هداياهم ويتجبر إليهم ، وما انتقم لنفسه قط كان يصفح ويعفو لكن إذا تجاوزت الأمور حدها إلى إهمال حق من حقوق الله أو انتهاك حرمة من حرمت الله فإنه يغضب أشد الغضب وينتقم أشد الانتقام . عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها " . (١)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيا من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه منى وجهه . (٢)

إن استخدام أي من الشدة أو اللين هو أمر - كما قلت - متروك لحكمة الداعية وحكمته وحسن كياسته وتصرفه في الأمور وبعد نظره . فقد يرى أن اللين لبعض الناس أنفع من الشدة والشدة لبعض الناس أنفع من اللين . أو قد يرى أن اللين في بعض المواطن والمواقف يكون مناسبا وأن الشدة في بعض المواطن والمواقف تكون مناسبة . ومن الشدة الهجر والهجس وأحكام قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقتلتهم

(١) سبق تخريجه انظر ص ١٥١ .

(٢) سبق تخريجه انظر ص ١٥١ .

وكثرتهم فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوعه العامة عن مثل حاله ، فإن كانت
المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضى هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان - أي المهجر -
مشروعاً . وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدح بذلك ، بل يزيد الشر والهناجر ضعيف ،
بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشع المهجر (١) . وقال أيضاً : (فإذا
لم يكن في هجرانه تزجار أحد ولا انتهاء أحد بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها
لم تكن هجرة مأموراً بها) . ومن هنا يتبين أن ما يفعله بعض الدعاة اليوم من الشدة
والقسوة في معاملتهم للآخرين لهو من الأخطاء التي ينبغي أن تصحح وفق ما ذكره
أئمتنا الأعلام رحمهم الله ، إذ كان نتيجة تصرفهم هذا نفرة الناس عنهم ، وعدم استجابتهم
لهم ، وزيادة الشر وانتشار الفساد . فعلى هؤلاء الدعاة أن يراجعوا أنفسهم وأن يفهموا
حقيقة المراد من أحاديث المهجر والبغض في الله كما فهمها سلفهم الأوائل من العلماء
الأمجاد رحمهم الله . قال ابن تيمية بعد كلامه السابق : (وإذا عرف هذا فالهجرة الشرعية
هي من الأعمال التي أمر الله بها رسوله صلى الله عليه وآله وسلم . فالطاعة لا بد أن تكون
خالصة وأن تكون موافقة لأمره فتكون خالصة لله صواباً . فمن هجر لهوى نفسه أو هجر هجراً
غير مأمور به كان خارجاً عن هذا وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله)
ثم قال : (فينبغي أن يفرق بين المهجر لحق الله وبين المهجر لحق نفسه فالأول مأمور به
والثاني منهي عنه) . فليتدبرا الأخوة الدعاة الفرق بين المهجرتين فما أكثر ما يلتبس أحدهما
بالآخر . وأيضاً يجب على الداعية إذا اشتد أن لا ينسى حق الله وحق المدعو فيطلق لسانه
بما شاء وكيفاء اتفق ، بل كما قال الخزالي رحمه الله : (ولهذا الرتبة أدبان : أحدهما :
أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف . والثاني : أن لا ينطق إلا بالصدق
ولا يسترسل فيه ، فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه ، بل يقتصر على قدر الحاجة) .

- (١) الفتاوى لابن تيمية ٢٠٦/٢٨ .
- (٢) المرجع نفسه ٢٠٢/٢٨ .
- (٣) المرجع نفسه ٢٠٧/٢٨ .
- (٤) المرجع نفسه ٢٠٧/٢٨ - ٢٠٨ .
- (٥) إحياء علوم الدين للخزالي ٤٧/٢ . المجلد الثالث .

نماذج على الشدة موضع الشدة :

أولا : من الكتاب :

١ - قال تعالى : ﴿ أولما أصببتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند

أنفسكم إن الله على كل شيء قدير وما أصببتكم يوم التقى الجمعان

(١)

فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا ﴾ .

فقد آيات الآيات كيف أن الله قد أذاق المؤمن طعم الهزيمة يوم أحد حيث

قتل منهم سبعون وولوا الأدبار وذلك كله كان بسبب مخالفتهم لأمر الرسول وتركهم

طاعته . وبينت أيضا أن ما حدث كان بإذن الله وأمره وعلمه تربية لهم وتوجيها وإرشادا

قال الرازى : (قوله : ﴿ قل هو من عند أنفسكم ﴾ وفيه مسائل : المسألة الأولى : تقرير

هذا الجواب من وجهين الأول : أنكم إنما وقعت في هذه المصيبة بشؤم معصيتكم وذلك

لأنهم عصوا الرسول في أمور : أولها : أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال :

الصلحة في أن لا نخرج من المدينة بل نبقى ههنا وهم أبوا إلا الخروج فلما خالفوه

توجه إلى أحد . وثانيا : ما حكى الله عنهم من فشلهم . وثالثها : ما وقع بينهم من

المنازعة . ورابعها : أنهم فارقوا المكان وفرقوا الجمع . وخامسها : اشتغالهم بطلب

الغنيمة واعراضهم عن طاعة الرسول عليه السلام في محاربة العدو . فهذه الوجوه كلها

ذنوب ومعاصي والله تعالى إنما وعدهم النصر بشرط ترك المعصية كما قال : ﴿ إن تصبروا

(٢)

وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم ﴾ فلما فات الشرط لا جرم فات المشروط)

(١) ال عمران آية (١٦٥ - ١٦٧) .

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٨٢/٩ ط ١ المطبعة البهية المصرية .

فعاقبهم الله تعالى بهذا تربية لهم وتوجيها إلى طاعة القائد والتزام امره وعدم مخالفته .

٢ - وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفروا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

انما قُلتُمْ إِلَى الْأَرْضِ اأرضيتم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفَرُوا يَعْذِبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ

(١)

وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿

قال ابن كثير : (هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه واله

(٢) (٣)

وسلم في غزوة تبوك حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر وحرارة القيظ) فقد

عاتب الله المؤمنين على شاكلتهم ولزوم أرضهم ومساكنهم وعدم خروجهم إلى الجهاد في

سبيل الله . ثم انكر عليهم ذلك في أسلوب انكارى شديد : ﴿ اأرضيتم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ

الْآخِرَةِ ﴾ أي مالكم فعلتم هكذا . أهو رضا منكم بالدنيا بدلا من الآخرة ثم زهد هم

في الدنيا ورجعهم في الآخرة ببيان حقيقة متاع الدنيا إلى الآخرة : ﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ . ثم اشتد عليهم وتوعدهم بالعذاب الأليم واستبدلهم

يقوم آخريين يطيعون الله ورسوله وينفرون إذا استنفروا ويجاهدون في سبيل الله . قال

الطبري : (يقول الله تعالى ذكره للمؤمنين به من اصحاب رسوله متوعد هم على ترك

النفير إلى عدوهم من الروم : إن لم تنفروا أيها المؤمنون إلى من استنفركم رسول الله

يعذبكم الله عاجلا في الدنيا بترككم النفير إليهم عذابا موجعا : ﴿ وَيَسْتَبَدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾

يقول : يستبدل الله بكم نبيه قوما غيركم ينفرون إذا استنفروا ، ويجيئونه إذا دعوا ،

(١) التوبة آية ﴿ ٣٨ - ٣٩ ﴾ (٢) أي شدة الحر . النهاية ٤٤ / ١٣٢

(٣) تفسير ابن كثير ٣٥٧ / ٢

ويطيعون الله ورسوله : ﴿ ولا تضروه شيئاً ﴾ يقول : ولا تضرُوا الله بترككم النفس
ومحسنتكم إياه شيئاً لأنه لا حاجة به إليكم بل أنتم أهل الحاجة إليه وهو الغنى عنكم
وأنتم الفقراء : ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ يقول جل ثناؤه : ﴿ والله على إهلاككم
(١)
واستبدال قوم غيركم بكم وعلى كل ما يشاء من الأشياء قدير ﴾ .

٣ - قال تعالى : ﴿ يأتونها الذين ءامنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم
غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ (٢)

فهذه الآية تدل على الأمر بالتغليظ وهي الشدة في التعامل مع الكافرين وعدم
الشفقة عليهم في المواطن التي تستحق تلك الشدة وهذه كقوله تعالى : ﴿ يأتونها النبي
جثهد الكفار والمنافقين واغلق عليهم وماوسهم جهنم وبئس المصير ﴾ . وكقوله
(٣)
تعالى في وصف الصحابة رضوان الله عليهم : ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ (٤)
وقوله : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ (٥)

قال الرازي : (واعلم أن الغلظة ضد الرقة ، وهي الشدة في إحلال النعمة ، والفاضة
أنها أقوى تأثيراً في الزجر والمنع عن القبيح) (٦)

٤ - وقال تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما
رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما
(٧)
طائفة من المؤمنين ﴾ .

فقد أبانت هذه الآية كيف أنه ينبغي للمؤمنين أن يستعملوا الشدة والقسوة مع من
يحاول خلخلة المجتمع واسقاط قيمه وموازينه وعدم المحافظة على أمنه واستقراره كالزنا
مثلاً فهم بمعظمهم هذا يهددون المجتمع إذ يخلطون بين الأنساب وتظهر الفاحشة

(١) جامع البيان في تفسير أي القرآن للطبري .
(٢) التوبة آية م ١٢٣ .
(٣) التحريم آية م ٤٩ .
(٤) المائدة آية م ٥٤ .
(٥) الفتح آية م ٢٩ .
(٦) مفاتيح الغيب للرازي ١٦ / ٢٣٠ .
(٧) النور آية م ٢٢ .

فأمر الله المؤمنين أن يجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة إذا كان بكرا أما إذا كان
محصنا فعقابه الرجم ، وأمرهم أيضا أن لا يمتنعوا عن إقامة الحدود عليهم أو
يخففوا الضرب شفقة بهم ورحمة لأن المراد إيجاعهم وإيلاهم ثم : (٥) ليشهد عذائهما
طائفة من المؤمنين (٦) ليكون أغلظ عليهم وأويح لهم ورد عا لهم وافضح لشأنهم
والفاسق بين صلحاء قومه أخجل ، ومن حضره يتعظ به ويزدجر لأجله قال الزمخشري
: (والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجسد
والمعانة فيه ، ولا يأخذهم اللين واليهوادة في استيفاء حدوده ، وكفى برسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم أسوة في ذلك حيث قال : " لو سرق فاطمة بنت محمد
(١) (٢)
لقطع يدها ")

وقال ابن العربي : (فلا يجوز أن تحمل أحدا رافة على زان بأن يسقط الحد
(٣)
أو يخففه عنه)

(١) سبق تخريجه انظر ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) الكشاف للزمخشري ٤٧/٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن لابن العربي ١٣٢٦/٣ ، وأحكام القرآن للجصاص

ثانيا : من السنة :

١ - عن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدرى قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله

وسلم فقال : إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا ! فما رايت

النبي صلى الله عليه وآله وسلم غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال : " يا أيها
(١)

الناس إن منكم منفرين فأيكم أم الناس فليجوز فإن من وراءه الكبير والضعيف وهذا الحاجة "

وللبخارى : " إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز فإن فيهم الضعيف والكبير
(٢)

وذا الحاجة " . وفي رواية : " فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة " .
(٤)

٢ - عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فقال : " أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا " فقال رجل : أكل ظم يا رسول الله ؟

فسكت حتى قالها ثلاثا . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " لو قلت نعم

لوجبت ولما استطعتم " ثم قال : " ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة

سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم

(٥)

عن شيء فدعوه " .

(١) أى فليسرع وليخفف وليقتصد . النهاية فى غريب الحديث والاثرا لابن الأثير ١٥٦/٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصلاة باب امر الائمة بتخفيف الصلاة فى

تمام ١٨٤/٤ .

(٣) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الأذان باب تخفيف الإمام فى القيام

واتمام الركوع والسجود ١٩٨/٢ .

(٤) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب العلم باب الغضب فى الموعظة والتعليم إذا

رأى ما يكره ١٨٦/١ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الحج باب فرض الحج مرة فى العمر

١٠٠/٩ - ١٠١ .

٣ - عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أن قريشا أهمهم
شان المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة
الفتح • فقالوا : من يكلم فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم • فقالوا : ومن يجترئ
عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتى بها رسول الله
فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلون وجه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال : " أتشفع
في حد من حدود الله • فقال له أسامة : استغفر لي يا رسول الله • فلما كان العشي^(١)
قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخطب • فأثنى على الله تعالى بما هو أهله
ثم قال : " أما بعد فانما أهلك الذين من قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف
تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد • وإني والذي نفسي بيده لو أن
فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها • " ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت
يدها • قالت عائشة رضي الله عنها : فصنعت توبتها بعد وتزوجت وكانت تاتينني بعد
ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم •
(٢)

٤ - عن المعرورين سويد قال مررنا بأبي ذر بالريذة وعليه برد وعلى غلامه مثله • فقلنا :

(١) العشي : هو ما بعد الزوال إلى غروب الشمس وقيل من زوال الشمس إلى الصباح • أنظر
النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢٤٢/٣ •

(٢) سبق تخريجه انظر ص ١٥١ - ١٥٢ •

(٣) الريذة : بفتح أوله وثانيه وذال معجمه مفتوحة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال منها
قرية من ذات عرق • على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة • بها قبر أبي
ذر • خربت في سنة تسع عشرة وثلاثمائة بالقرامطة • مراد الاطلاع على أسماء الأمكنة
والبقاع لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ٦٠١/٢

(٤) البرد : نوع من الثياب معروف والجمع أبراد وبرود والبردة الشملة المخططة وقيل كساء
أسود مرجع فيه صور تلبسه الأعراب وجمعها برد • أنظر النهاية في غريب الحديث
لابن الأثير ١١٦/١ •

(١)

يا ابا ذر لو جمعت بينهما ثلث حلة • فقال : إنه كان بينى وبين رجل من إخوانى
كلام وكانت أمه اعجمية فعيرته بأمه فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم •
فلقيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : " يا ابا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية
قلت يا رسول الله من سب الرجال سبوا أباه وأمّه • قال : يا ابا ذر إنك امرؤ
فيك جاهلية هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيدكم فأطعموهم مما تأكلون والبسوهم
مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلّبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم " (٢)

٥ - عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عن الوصال • فقال رجل من المسلمين : فإنك يا رسول الله تواصل • قال الرسول
: " وأيكم شئى إني ابيت يطعمنى ربي ويسقنى • فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال •
واصل بهم يوماً ثم رأوا الهلال فقال : لو تأخر الهلال لزدتكم كالمنكل لهم
حين أبوا أن ينتهوا " (٣)

٦ - وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : بينما يهودى يعرض سلعة له أعطى بها شيئاً
كرهه أو لم يرضه قال : لا والذي اصطفى موسى على البشر • قال : فسمعه رجل من
الأنصار فلطم وجهه • قال : تقول لا والذي اصطفى موسى على البشر ورسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم بين أظهرنا • قال : فذهب اليهودى إلى رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فقال : يا ابا القاسم : إن لى ذمة وعهداً • وقال : فلان لطم وجهى • فقال

(١) الخاء واحدة الحلل وهى برود اليمن ولا تسمى حلة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد •

أنظر النهاية ٤٣٢/١ •

(٢) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الإيمان باب المعاصى من أمر الجاهلية ١/٨٤٤، صحيح

مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب صحبة المالك ١١/١٣٢ - ١٣٣ •

(٣) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الصوم باب التنكيل لمن أكثر الوصال ٤/٢٠٥ - ٢٠٦ •

صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الصيام باب النهى عن الوصال ٧/٢١٢ •

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " لم لظمت وجهه ؟ قال : قال يا رسول الله
والذي اصطفى موسى على البشر وانت بيننا * قال فغضب رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم حتى عرف الغضب في وجهه ثم قال : لا تفضلوا بين انبياء الله فانهم
ينفخ في الصور فيصعق من في السموات والارض الا من شاء الله * قال : ثم ينفخ فيه
اخرى فاكون اول من بعث او في اول من بعث فاذا موسى اخذ بالعرش فلا ادرى
احوسب بصعقته يوم الطور او بعث قبلي * ولا اقول ان احدا افضل من يونس -
متى عليه السلام " . (١)

٧ - عن عائشة رضی اللہ عنہا قالت : دخل علی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم وقد
سترته سهوة لى بقرام فيه تماثيل * فلما رآه هتكة وتلون وجهه * وقال : يا عائشة
اشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاھون بخلق الله تعالى قالت عائشة :
فقطعناه فجعلنا منه سادة او سادتين . (٢)

-
- (١) الصعق : أن يغشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه وربما مات منه ثم استعمل في الموت كثيرا * أنظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/٣٢ .
 - (٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم ١٢٩/١٥ - ١٣١ .
 - (٣) السهوة : بيت صغير منحدر في الأرض قليلا يشبه بالمخدع والخوانة وقيل هو كالصفة تكون بين يدي البيت وقيل يشبه بالق أو الطاق يوضع فيه الشيء * أنظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/٤٣٠ .
 - (٤) القرام : الستر الرقيق وقيل الصفيق من صوف ذي اللون * أنظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/٤٩ .
 - (٥) أى تصاوير * أنظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/٢٩٥ .
 - (٦) المهتك : خرق الستر عما وراءه * أنظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٥/٢٤٣ .
 - (٧) الضاهاة : المشابهة * أنظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/١٠٦ .
 - (٨) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب اللباس والزينة باب في النمرقة فيها تصاوير واتخاذها مرافق ٦/١٦٠ .

٨ - وعن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى رأى في وجهه صلى الله عليه وآله وسلم فقام فحك بيده فقال : " إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجى ربه وإن ربه بينه وبين القبلة فلا ييزقن أحدكم قبل القبلة ولكن عن يساره أو تحت قدمه ثم اخذ طرف رداءه فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض فقال : " أو يفعل هكذا " متفق عليه واللفظ للبخارى (١)

٩ - وخاتمة هذه الأمثلة هي قصة كعب بن مالك وهجران الرسول صلى الله عليه وآله وأصحابه له وللمرارة بن الربيع وهلال بن أمية خمسين يوما نتيجة تخلفهم في غزوة تبوك بدون عذر أو سبب شرعي .

عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال : لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدنا تخلف عنها إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر اذكر في الناس منها . كان من خبري أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد غزوة إلا ورى بخيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حزم شديد واستقبل سفرا بعيدا ومغازا وعددا كثيرا . فجلى للمسلمين امرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) صحيح البخارى يفتح البارى كتاب الصلاة باب حاك البزاق باليد من المسجد ٥٠٧/١
- ٥٠٨ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن البصاق في المسجد ٣٨/٥ - ٤٠ .

كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد اليوان - قال كعب : فما رجل يريد أن يتخيب
إلا ظن أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى الله • وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
والمسلمون معه فطفقت أعدو لكني أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا فأقول في نفسي :
أنا قادر عليه • فلم يزل يتمادي بي حتى اشتد بالناس الجهد فأصبح رسول الله صلى
عليه وآله وسلم والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا • فقلت أتجهز بعده بيوم أو
يومين ثم أحقهم • فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئا ثم غدوت
ثم رجعت ولم أقض شيئا فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وعمت أن ارتحل
فأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك فكننت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول
الله صلى الله عليه وسلم - فطفقت فيهم أحزنى أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه النفاق
أو رجلا من عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ
تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك : " ما فعل كعب ؟ فقال رجل من بني سلمه :
(١)
يا رسول الله حبه برداه ونظره في عطفه • فقال معاذ بن جبل : بشئ ما قلت • والله
يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال كعب بن
مالك : فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرنى هى وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج
من سخطه غدا ؟ واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى • فلما قيل : إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد أظلم قادم ما زاح عنى الباطل وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشئ
فيه كذب فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادم وكان إذا قدم من
سفر بدأ بالسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا
يعتذرون إليه ويحلفون له - وكانوا بضعة وثمانين رجلا - فقبل منهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم علانيتهم وبأيعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله • فحجته فلما سلمت

(١) أي ردائة • النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ٢٥٧/٣ • النهاية
(٢) طفق : بمعنى أخذ في الفعل وحمله يفعل • وهي من أفعال المقارنة ١٢٩/٣ •

عليه تيسم تيسم المغضب ثم قال : " تعال ، فجلت أمشي حتى جلست بين يديه
فقال لي ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ فقلت : بلى إني والله لو جلست عند
غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعظيت جد لا ولكني
والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك
على ولكن حدثتك حديث صدق تجد على فيه إني لا أرجو فيه عفو الله إلا والله ما كان
لي من عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : " أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك . فقت وثار رجلا
من بنى سلمة فاتبعوني فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت قبل هذا ولقد عجزت
ان لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المتخلفون . قد
كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك . فوالله ما زالوا يؤنبونى
حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسى ثم قلت لهم : هل لقي هذا معى أحد ؟ قالوا : نعم
رجلان قالا مثل ما قلت . فقيل لهما مثل ما قيل لك . فقلت من هما ؟ قالوا مرارة بن
الربيع العمرى وهلال بن أمية الواقفى فذكروا لي رجلين قد شهدا بدرا فيهما أسوة
فضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيهما
الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسى الأرض فما
هى التى أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحبى فاستكنا وقعدا في بيوتهما
بيكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلد هم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف
في الأسواق ولا يكلمنى أحد . وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو نفسى
مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسى هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريبا
منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتى أقبل إلى وإذا التفت نحوه أعرض عنى . حتى
إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن

عن وأحب الناس إليّ . فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام . فقلت : يا أبا قتادة
أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله ؟ فسكت . فعدت له فنشده فسكت . فعدت
له فنشده فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار . قال :
فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطى من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه
بالمدينة يقول : من يسدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له ، حسيتى إذا
جاءنى دفع إلى كتابا من ملك غسان فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغنى أن صاحبك
قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك . فقلت لما قرأتها :
وهذا أيضا من البلاء ، فتيمنت بها التنور فسجرت به حتى إذا مضت أربعون ليلة
من الخمسين إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتينى فقال : إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل أمراةك . فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال :
لا بل اعتزلها ولا تقرنها . وارسل الى صاحبى مثل ذلك . فقلت لأمرأتى : الحقى
بأهلك فتكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر . قال كعب : فجاءت امرأة هلال
ابن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ
ضائع . ليس له خادم ، فهل تكره ان أخدمه ؟ قال : لا . ولكن لا يقربك . قالت :
إنه والله ما به حركة إلى شئ والله ما زال منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال
لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمرأتك كما أذن لامرأة
هلال بن أمية أن تخدمه . فقلت : والله لا استأذن فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما يدرينى ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها . وأنا رجل
شاب . فلبث بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن كلامنا . فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر
بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التى ذكر الله : قد ضاقت على نفسى وضاقت

على الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب
ابن مالك ابشر . قال فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء فرج . وآذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب
قبل صاحبى مبشرون وركض إلى رجل فرسا وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل ،
وكان الصوت أسرع من الفرس . فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوبى
فكسوته إياها ببشراه . والله ما أملك غيرها يومئذ . واستعرت ثوبين فلبستهما
وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتلقانى الناس فوجا فوجا يبشرونى بالتوبة
يقولون : لثيبتك توبة الله عليك . قال كعب حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس . فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى
صافحنى وهنأنى ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة
قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يبرق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك . قلت :
أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا بل من عند الله وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه .
فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتى أن أخلع من مالى صدقة السي
الله ورسوله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك
قلت : فإنى أمسك سهمى الذى بخير . فقلت : يا رسول الله إن الله إنما أنجاني
بالصدق وإن من توبتى إلا الصدقات إلا صدقا ما بقيت . فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين
إبلاه الله فى صدق الحديث - منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن
ما أباننى ، ما تعدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا
كذبا . وانى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقيت . وانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم

(١) سلع يفتح أوله وأسكان ثانيه بعده عين مهملة ، جبل متصل بالمدينة . معجم

٥ : لقد تاب الله على النبي والمهاجرين - الى قوله : ﴿وَكُذِبُوا مَعِ
الصَّادِقِينَ﴾ * فوالله ما انعم الله على من نعمة قط - بعد ان هداني للاسلام -
اعظم في نفسي من صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون كذبتة فأهلك
كما هلك الذين كذبوا فإن الله قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شرما قال
لأحد ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم
الى قوله - فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ * قال كعب : وكنا تخلفنا
ايها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى
قضى الله فيه فبذلك قال الله : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾
وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو ، إنما هو تخليفه إيانا إرجاء ، أمرنا عن
حلف له واعتذر إليه ، فقبل منه .

(١)

(١) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك ١١٣/٨ -
١١٦ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك
وصاحبه ١٧/٨٧ - ٩٨ .

تاسعا : مخاطبة الناس على قدر عقولهم :

ان الداعية كالطبيب ان رأى موصىما للسرور

أعطى وإلا أمسك وإن تفاوت عقول الناس ومداركهم يحتمل على الداعية أن يراعى ذلك في مخاطبته للعدو يمين فلا يخاطبهم بما لا تحتمله عقولهم أو لا تدركه أفهامهم بل يتحرى خطابهم على قدر ما تحتمله عقولهم وتدركه أفهامهم . وكما يقال : ورعاية مقتضى الحال قاعدة الحكيم .

ان موضوعا من المواضيع يتطرق له دعاة كثيرون . ترى لكلام بعضهم صدى فى

القلوب وأثرا فى النفوس والبعض الآخر لا ترى لكلامه وزنا ولا أثرا . بل إن بعضا

منهم قد يشوش على العقول بما يحدث لهم من بلبلة فى الأفكار وتصادم فى الآراء .

ما السبب الرئيسى الذى أدى إلى اختلاف النتيجة ؟ .

السبب معروف وهو أن الداعية الأولى قد دعا إلى الموضوع بأسلوب جميل ومخاطب

الناس على قدر ما تحتمله عقولهم وراعى فى ذلك ظروفهم وأحوالهم وبيئتهم وعرض الموضوع

بطريقة مناسبة ملائمة .

١ - ان من أول ما يجب على الداعية مراعاته فى مخاطبة الناس أن يخاطب كل قوم بما يعقلون

وفهمون حتى تستوعب عقولهم ما يقوله لهم وحتى لا يحدث فتنة وخللا وحتى لا تحدث

أمر لا تحدث عقباها .

أشلة ذلك -

أولا : من الكتاب :

- ١ - قال تعالى : ﴿ ولكن كونوا ربانيين ﴾ (١)
قال ابن عباس : (أى كونوا حلما فقهاء) (٢)
وقال البخارى : (الربانى : هو الذى يرى الناس بصغار العلم قبل كباره) (٣)
فهو يخاطبهم بما تحتمله عقولهم وتفهمه أفكارهم حتى لا يسبب لهم فتنة وخطلا
واضطرابا .

- ٢ - وقال تعالى : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ (٤)
قال ابن كثير : (أى ذكر حيث تنفع التذكرة . ومن هاهنا يؤخذ الأدب فى
نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه :
ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم . وقال :
حدث الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله) (٥)

(١) آل عمران آية (٧٩) .

(٢) (٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى ١٦٠/١ .

(٤) الأعلسى آية (٤٩) .

(٥) تفسير ابن كثير لابن كثير ٥٠٠/٤ .

ثانيا : من السنة :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين • فأما أحد هما فيثنته وأما الآخر فلو بثنته لقطع هذا المعلوم •
(١)

(والمقصود بالوعاء الآخر هو أحاديث الفتن وأحاديث أشراط الساعة أو الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء الجور وأحوالهم وذمهم •)
(٢)

٢ - عن انس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رد يفسه

على الرجل قال : " يا معاذ • قال : ليبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا •

قال : " ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من

قلبه إلا حرمه الله على النار • قال : يا رسول الله أفلا أخبر به الناس

فيستبشروا قال : إذا يتكلموا • وأخبر بها معاذ عند موته تأثما • وذلك
(٣)

لأن هذا الحديث إذا سمعه الناس فإنهم يحملونه على محل خطأ • وهو
(٤)

ترك العمل والاكتفاء بالاقرار •

ومعنى أنه أخبر به تأثما : أي أخبر به قبل موته حتى لا يصير كاتما للعلم

فيدخل في الوعيد المذكور في قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا

من بينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتب أولئك يلعنهم الله

ويلعنهم اللعنون ﴾ •
(٤)

(١) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب العلم باب حفظ العلم ٢١٦/١ •

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٢١٦/١ - ٢١٧ •

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قسوم

كراهية ألا يفهموا ٢٢٦/١ • صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب الدليل

على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ٢٤٠/١ - ٢٤٢ •

(٤) البقرة آية ﴿ ١٥٩ ﴾ •

٣ — وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : " يا عائشة ، لولا أن قومت حديث عهد هم — قال ابن الزبير : يكفر — لنقضت الكعبة فجعلت لها بايمن باب يدخل الناس وباب يخرجون منه " (١)

فقد أبان هذا الحديث كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد امتنع عن عدم الكعبة وإعادة بنائها كما كانت - مخافة أن تتغير عليه قريش ، أو يصيبهم سوء من الاضطراب والفتنة والشك لكونهم قريبي العهد بكفر وكانوا يعظمون الكعبة فخشي أن تنكر ذلك قلوبهم فتركه . قال ابن بطال : (فيه أنه قد يترك يسير من الأمر بالمعروف إذا خشي منه أن يكون سببا لفتنة قوم ينكرونه) . (٢)

٤ — عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت أقرئ رجلا من المهاجرين منهم عبد الرحمن ابن عوف فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها إذ رجع إلي عبد الرحمن فقال : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين اليوم فقال : يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول : لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلسنة فتمت ، فغضب عمر ثم قال : (إني إن شاء الله لقاتم العشية في الناس فمحذر هم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم قال عبد الرحمن فقلت : يا أمير المؤمنين ، لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاة الناس وغوغاءهم فإنهم هم الذين يغلبون على قريش حين تقوم في الناس وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب العلم باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه ٢٢٤/١ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الحج باب نقض الكعبة وبنائها ٩١/٩ .

(٢) عمدة القارى للعيني ٢٠٤/٢ .

(٣) أى غوغاءهم وسقاطهم واخلاطهم الواحد رعاة النهاية : ٢٣٥ .

عنه كل مطير وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها فأهمل حتى تقدم المدينة
فإنها دار الهجرة والسنة فتخلص بأهل الفقه وأشرف الناس فتقول ما قلت متمكنا فيعنى
أهل العلم مقالته ويضعونها على مواضعها ، فقال عمر : أما والله - إن شاء الله -
لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة) (١)

قال ابن حجر : (وفيه التنبيه على أن العلم لا يودع عند غير أهله ، ولا يحدث
به إلا من يعقله ، ولا يحدث القليل الفهم بما لا يحتمله) (٢)

٥ - وروى الامام البخارى رحمه الله عن على بن ابي طالب رضى الله عنه تعليقا أنه قال
(أيها الناس تجبون أن يكذب الله ورسوله ؟ حدثوا الناس بما يعرفون وداؤوا
ما ينكرون) (٤)

٦ - وروى الامام مسلم رحمه الله فى مقدمة صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
أنه قال : (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) (٥)
وقال ايوب السختياني : (لاتحدثوا الناس بما لا يعلمون فتضروهم) (٦)

وقال وهب بن منبه : (ينبغى للعالم أن يكون بمنزلة الطباخ الحاذق يعمل

-
- (١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الحدود باب رجم الجلى من الزنا إذا احصنت ١٢/١٤٤
(٢) فتح البارى لابن حجر العسقلاني ١٢/١٥٤ .
(٣) الحديث المعلق : هو الحديث الذى حذف من مبدأ إسناده راو واحد أو أكثر ، التقييد
والايضاح فى شرح مقدمة ابن الصلاح للعراقي ص ٣٢ .
(٤) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب العلم باب من خسر قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا
١/٢٢٥ ، الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣) ٢/١٠٨ .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي المقدمة باب النهى عن الحديث بكل ما سمع ١/٧٦ .
(٦) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادي ٢/١٠٩ .
٦ فتح المغيث للسخاوى (ت: ٨٠٢) ٢/٣٤٨ .

(١)
لكل قوم ما يشتهون من الطعام . قلت وكذا ينبغي للداعية أن يحدث كل قوم بما تتجاوب فيه أنفسهم ويكون له اثر عليهم وان يخاطب كل واحد منهم على قدر ما يحتمله عقله .

لذا فينبغي للدعاة إلى الله ان لا يحدثوا الناس إلا بما يفهمون ولا يخاطبوعم إلا بما يعقلون ولا يكلموهم إلا على قدر ما تحتمله عقولهم فليس كل ما يعلم يقال وليس كل ما يقال لشخص يقال لغيره وليس كل ما يقال في بيعة يصلح ان يقال في غيرها وإنما (لكل مقام مقال) .^(٢) وينبغي لهم مراعاة تغير المكان والزمان والحال ورحم الله امرأ عرف زمانه فخاطب أهله بما يفهمون ونعم المجلسس مجلس تنشر فيه الحكمة وترجى فيه الرحمة ويعد فيه عن الفتنة . وإن الناس حينما يخاطبون بما يفهمون وعلى قدر ما تحتمله عقولهم ، يكون إدراكهم لذلك الكلام أسهل ، ووقوفهم على المقصود والغرض أكمل .

(١) الجامع لاخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادي ١١٠/٢ .

(٢) مجمع الأمثال للميداني (ت : ٥١٨) ١٩٨/٢ .

٢ - وينبغي للداعية المسلم ليكون موفقا ناجحا في دعوته أن يعرف أحوال البيئة أو المجتمع الذي يعمل فيه • وأن يراعى هذه الأحوال في اختياره للموضوعات وفي تصرفاته العملية وفي أسلوبه وطريقته •

لا بد للداعية أن يعنى بالحياة الاجتماعية للناس ، ومعرفة خصائصهم ، وفهم طبائعهم وأذواقهم ، والوقوف على ألوان ثقافتهم وأفكارهم وأفهامهم • لأن معرفة الداعية بهذا اللون من الدراسات النفسية والاجتماعية والتهوية يعينه كثيرا جدا على أداء رسالته ونجاح مهمته • ويكون سندا له في توجيه دعوته • فتؤتى أكلها باذن ربها ويكون ممن ينطبق عليه قول القائل : (إنه ليعلم من أين تؤكل الكتف) • (١)

قال الفزائلي : (فالداعية إلى الله تعالى هو هذا الرجل الحصيف ، الذي يشخص العلة التي أمامه ، ويهيئ لها أسباب الشفاء المناسب من كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وآثار السلف الصالح عليهم رضوان الله تعالى • وبذلك يجيء نصحه طبيا للمريض ورحمة تذهب عنه • ونورا يهديه السبيل) • والأصل في هذا قوله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ • (٢)

قال الرازي : (وهذا يدل على أن الدعاء إلى الله تعالى إنما يحسن ويجوز مع هذا الشرط وهو أن يكون على بصيرة مما يقول وعلى هدى ويقين) • (٣)

وقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيفضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ﴾ • (٤)

(١) مجمع الامثال للميداني ٤٢/١ •

(٢) مع الله للفزائلي ص ١٨٥ •

(٣) يوسف آية ﴿١٠٨﴾ •

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ٢٢٥/١٨ •

(٥) ابراهيم آية ﴿٤﴾ •

إن من رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم رسلا من جنسهم يتكلمون بالسنتهم ويفهمون طبائعهم وأعرافهم وأذواقهم وأفكارهم ومشاربهم ، وذلك ليفهموا عنهم ما يريدون ويستوعبوا ما أرسلوا به ويكون فهمهم لأسرار تلك الشريعة بعد وتوفهم على حقائقها أسهل ، وعن الغلط والخطأ ابعده . قال الشوكاني في شرحه للآية : (أى متلبسا بلسانهم ، متكلما بلختهم . لأنه إذا كان كذلك فهم عنه المرسل إليهم ما يقوله لهم وسهل عليهم . ذلك بخلاف ما لو كان بلسان غيرهم فانهم لا يدرون ما يقول ، ولا يفهمون ما يخاطبهم به ، حتى يتعلموا ذلك اللسان دهرًا طويلًا ومع ذلك فالإيد أن يصعب عليهم فهم ذلك بعض صعوبة) .
(١)

قلت : وهناك فائدة أخرى ، وهي أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا كان من نفس القوم المرسل إليهم فإنه يسهل عليه مخاطبتهم وإفهامهم فهو أعرف بحالهم وظروفهم من غيره .

ولذا فإننا نجد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن داعيًا لهم إلى الإيمان بالله ورسوله عرفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم طبيعة أهلها وزوده بعبارة تعينه على فهم بيئتهم وتوضح له أحوالهم وظروفهم الاجتماعية فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : " إنك ستأتي قوما أهل كتاب " ولا شك أن هؤلاء يحتاجون إلى أسلوب في الدعوة غير الأسلوب الذي يكون مع غيرهم — لا يدنون بدین ولا يقرون بملء . فهو لا لهم أسلوب كما أن لأولئك أسلوباً ولكل ما يناسبه .

(١) فتح القدير للشوكاني ٩٤/٣ .

(٢) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الزكاة باب اخذ الصدقة من الأغنياء وترد

إلى الفقراء حيث كانوا ٣٥٧/٣ .

فينبغى للداعية أن يعطى هذا الأمر حقه من الاهتمام وأن يراعى في الموضوعات التي يتحدث عنها ويعالجها ما تكون الحاجة إليه أمس في البيئة نفسها . فإذا كان في البيئة أهمال لشعيرة من شعائر الاسلام ، أو شيوع آفة من الآفات الاخلاقية ، أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية . كان الكلام في هذه الأمور مقدما على غيره لوجود ما يدعو الى تقديره على غيره . وينبغى له البعد عن اثاره أمور غير موجودة في البيئة ، لأن هذا يعتبر من الحمق بمكان ، ومن البعد عن الحكمة بمنزلة . بل قد يفتح أذهانهم الى أشياء لم يكونوا يعرفونها من ذي قبل . وقد كان هذا هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع اقوامهم . فقد كانوا يختارون من المواضيع ما يرون أن اقوامهم في أمس الحاجة اليه . دون التطرق الى مواضيع جانبية غير موجودة فيهم .

فجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالاستثناء ، ركزوا على جانب التوحيد والايمان والدعوة اليه والى نبذ الشرك به والاصنام والأوثان . ثم بعد هذا كان كل نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعالج أهم المشكلات والآفات الراضحة فيها قومهم فلوط عليه السلام كان قومهم يأتون الرجال شهوة من دون النساء فاهتم لوط لهذا الأمر ووجه له اهتمامه وأعطاه جل تفكيره قال تعالى عن لوط : ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكوان من العالمين

(١)

وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل انتم قوم عادون ﴾ . وشعيب عليه السلام كان قومهم مشهورين

(١) الشعراء آية ١٦٠ - ١٦٦ .

بالتطيف في الكيل والميزان فأطار هذا الأمر كل تفكيره واهتم بعلاجه • قال تعالى
علي لسان شعيب عليه السلام انه قال لقومه : ﴿ اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين
(١)
وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين •
إن الداعية إذا ما فهم ظروف وأحوال وأفكار الدعويين فإنه يستطيع أن يوجه كل
واحد منهم التوجيه الشافي الكافي • لقد كان يعرض على رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم سؤال واحد فيجيب عليه عدة أجوبة وهذا كما علله العلماء أن ذلك راجع
لاختلاف أحوال السائلين :-

١ - ١ : عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله وآله وسلم :
(٢)
" أى الإسلام خير ؟ قال : " تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف "

ب : وعن أبي موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه قال : قالوا : يا رسول الله أى الإسلام
(٣) (٤)

أفضل ؟ قال : " من سلم المسلمون من لسانه ويده " رواه البخارى ومسلم عن

عبد الله بن عمرو وليس عن أبي موسى •

٢ - ١ : عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال

أفضل ؟ قال : " إيمان بالله ورسوله " قيل : ثم ماذا ؟ قال : " جهاد فى سبيل
(٥)

الله " قيل : ثم ماذا ؟ قال : " حج مبرور "

(١) الشعراء آية (١٨١ - ١٨٣) •

(٢) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الايمان باب اطعام الطعام من الإسلام ٥٥/١ •

صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب أى الإسلام خير ٤٧/١ •

(٣) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الإيمان باب أى الإسلام أفضل ٥٤/١ •

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب المسلم من سلم المسلمون منه ٤٨/١ •

(٥) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الإيمان باب من قال إن الإيمان هو العمل ٧٧/١ •

ب : عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل ؟ قال : " الصلاة على ميقاتها " قلت : ثم أي ؟ قال : " ثم بر الوالدين " قلت : ثم أي ؟ قال : " الجهاد في سبيل الله فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزدني " (١)

ج : وعن ابن ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه قال : يا رسول الله : أي الأعمال أفضل ؟ قال : " الإيمان بالله والجهاد في سبيله " قال قلت : أي الرقاب أفضل ؟ قال : " أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنًا " قال قلت : فإن لم أفعل ؟ قال : " تعين صانعًا أو تصنع لأخرق " قال : قلت يا رسول الله أرايت إن ضعفت عن بعض العمل ؟ قال : " تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك " (٢)

(٣)

٣ - ١ : عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رجل : يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله ؟ قال : " أن تدعو لله ندا وهو خلقك " قال ثم أي ؟ قال : " أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك " قال : ثم أي ؟ قال : " أن تزاني حليلة جارك " فأنزل الله تصديقها : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (٥) (٦)

- (١) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الجهاد والبر باب فضل الجهاد والبر ٣/٦ .
- (٢) صحيح مسلم بفتح النوى كتاب الصلاة باب أفضل العمل للصلاة لوقتها ٦٣/١ .
- (٣) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الإيمان باب الإيمان بالله أفضل الأعمال ٦٤/١ .
- (٤) أي زوجة جارك وامرأته . أنظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٣١/١ .
- (٥) الفرقان آية ﴿ ٦٨ ﴾ .
- (٦) سبق تخريجه انظر ص ٧٣ - ٧٤ .

ب : وعن عبد الله بن عمر قال جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكبائر؟ قال : " الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ " قال ثم ماذا؟ قال : عقوق الوالدين " .
قال : ثم ماذا؟ قال : " اليمين الخموس " . قلت وما اليمين الخموس؟ قال :
(١)
الذي يقتطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب " .

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب استتابة المرتدين والمعاند بين وقتالهم باب ائتم
من اشرك بالله وعقوبته فى الدنيا والآخرة ٢٦٤/١١ .

٣ - مراعاة الوقت المناسب ومقداره :

أولا : مراعاة الوقت المناسب :

ينبغي للداعية الحكيم ان يتخير الوقت المناسب للإلقاء موعظته حتى يكون لموعظته

الأثر الذي يصيب المحز ويؤدى الى المطلوب ويثمر النتيجة فإن اختيار الوقت المناسب

وتحريره يكون أدعى للقبول والاستماع وأوفق للاستجابة والمبادرة . وإليك نماذج من تخير

المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم للوقت المناسب للإلقاء توجيهه ونصحه .

١ : عن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال : " يا حكيم إن هذا المال خضر

حلو فمن أخذه بسخاوة نفس يورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان

كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى " .

وهنا يتبين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد اختار الوقت المناسب - بعد أن

أعطى حكيمًا حتى رضى - للإلقاء توجيهه . فإذا كان أثر هذا الكلام الذى جاء فى الوقت

المناسب على نفس حكيم . لنستمع إلى حكيم وهو يتحدث عن ذلك : (نقلت يا رسول الله

والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا . فكان أبو بكر يدعو

حكيمًا ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا . ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله

فقال : يا معشر المسلمين . أشهدكم على حكيم أنى أعرض عليه حقه الذى قسمه الله له

فى هذا الفىء فيأبى أن يأخذه فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد النبى صلى الله عليه

(٢)

وآله وسلم حتى توفى) .

(١) أى لاأخذ ولاأطلب . أنظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/٢١٨ .

(٢) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الزكاة باب الاستعفاف فى المسألة ٣/٣٣٥ .

قال ابن حجر : (وفيه انه ينبغي للإمام أن لا يبين للطالب ما في مسأله من
المفسدة إلا بعد قضاء حاجته فتقيم موعظته له الموقر لكلا يتخيل أن ذلك سبب
(١)
لمنعه من حاجته) .

٢ : يوم بدر والجموح محتشدة والكل متأهب للقتال يحذر الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم أصحابه على الجهاد ويقول لهم : " قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض "
فكان لهذا الحث والتحريض أثره البالغ في نفوس أصحابه حتى إن عمير بن الحمام
الانصاري قال : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض . قال : نعم . قال
(٢)
بيح بيح فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " ما يحمك على قولك بيح بيح .
قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها . قال : " فإنك من
(٣)
أهلها . فأخرج ثمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن حييت حتى أكل
ثمراتي هذه إنها لحياة طويلة . فرمى بما كان معه ثم قاتلهم حتى قتل " . (٤)

٣ : عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
ناقة تسمى العضاء لا تسبق فجاء أعرابي على قعود فسبقها فشق على المسلمين
(٥)
(٦)
حتى عرفه . فقال : حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه " .
(٧)

-
- (١) فتح الباري ٣/٣٣٧ .
(٢) هي كلمة تقال عند المدح والرضى بالشئ وتكرر للمبالغة وهي مبنية على السكون فإن
وصلت جررت وتوتت فقلت بيح بيح وربما شددت . النهاية ١/١٠١ .
(٣) أى جمعته . انظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٤/٥٥ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الهجرة والمغازى باب فى غزوة بدر ٤٤/٦ .
(٥) القعود من الدواب : ما يقتعد به الرجل للركوب والحمل ولا يكون إلا ذكرا وقيل :
القعود : ذكر . والأنثى قعوده . والقعود من الإبل : ما أمكن أن يركب وأدناه
أن يكون له سنتان ثم هو قعود إلى أن يثنى فيدخل فى السنة السادسة ثم هو
جمل . انظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٤/٨٧ .
(٦) أى عرف أثر المشقة فى وجوههم . فتح الباري لابن حجر العسقلانى ٦/٧٤ .
(٧) صحيح البخارى بفتح الباري كتاب الجهاد باب ناقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
٦/٧٣ .

٤ : عن عمرو بن عوف الأنصاري قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي . فقدم أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه بمال من البحرين فسمعت الأنصار يقدمون أبي عبيدة . فوافقت صلاة الصبح مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما صلى بهم الفجر انصرف فتعرضوا له فتيسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين رآهم وقال : أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء ؟ قالوا أجل يا رسول الله . قال : " فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم " (١)

٥ : عن أبي بكر عبد الله بن قيس عن أبيه قال : سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف . فقام رجل رث الهيئة فقال : يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول هذا . قال : نعم . قال : فرجع إلى أصحابه وقال اقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه قال ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل " (٢)

(١) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الجزية والموادعة باب الجزية والموادعة مع أهل

الذمة والحرب ٦/٢٥٧ - ٢٥٨ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد ١٨/٩٥

(٢) الجفن : الغمد . انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/٤٨٠ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجهاد باب ان أبواب الجنة تحت ظلال السيوف

ثانيا : مراعاة مقدار الوقت الذي يلقي فيه موعظته :

وينبغي للداعية أن لا يطيل المجلس الذي يتحدث فيه بل يجعله سحلا ويقتصد فيه لأن طول المجلس وكثرة الكلام تؤدي إلى سامة السامع ومثله وعدم قدرته على التحصيل والاستيعاب عن شقيق قال : **خبرنا عبد الله - يعني ابن مسعود -** فقال : **أما إنى أخبر بمكانكم فأتركم كراهية أن أملككم** . إن رسول الله صلى الله وآله وسلم كان يتخولنا بالموعظة بين الأيام مخافة السأم علينا أو قال السامة علينا . متفق عليه^(١) . وفي رواية لمسلم : **عن شقيق قال : كان عبد الله بن مسعود يذكرنا كل خميس** . فقال له رجل : **يا أبا عبد الرحمن** . إنا نحب حديثك ونشتهيهِ . ولوددنا أنك حدثنا كل يوم . فقال : **ما يمنعني أن أحدثكم إلا كراهية أن أملككم** . إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السامة علينا .^(٢)

قال النووي : (في هذا الحديث الاقتصاد في الموعظة لتلاطمها القلوب فيفوت مقصودها) .^(٤)

وقال العيني : (كان صلى الله عليه وآله وسلم يتعهد هم ، ويراعى الأوقات في وعظهم ، ويتحرى منها ما كان مظنة القبول ولا يفعله كل يوم لتلا سأم) . وكان أبو هريرة يجعل يوم الخميس من كل أسبوع موعدا ثابتا له للتحدث إلى الناس .^(٥)

- (١) السامة : الملل والضجر . أنظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣٢٨/٢ .
- (٢) صحيح البخارى بفتح الباء كتاب العلم باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كسى لا ينفروا ١٦٢/١ ، وأخرجه أيضا في باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة ١٦٣/١ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب الاقتصاد في الموعظة ١٦٣/١٧ .
- (٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب الاقتصاد في الموعظة ١٦٤/١٧ .
- (٤) شرح النووي على مسلم ١٦٤/١٧ .
- (٥) عمدة القارى للعيني ٤٤/٢ .
- (٦) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للبخدادى ٥٧/٢ .

ولم يتفرد ابن مسعود وأبو هريرة رضي الله عنهما دون الصحابة بهذا ، بل كان ذلك سمة بارزة فيهم رضوان الله عليهم اجمعين . فهذا عمر رضي الله عنه يقول على المنبر : (أيها الناس : لا تَبْخُضُوا الله إلى عبادِهِ . فقيل : كيف ذاك أصلحك الله ؟ قال : يجلس أحدكم قاصا فيطول على الناس حتى يبغض اليهم ما هم فيه .^(١) ويقوم أحدكم إماما فيطول على الناس حتى يبغض اليهم ما هم فيه) .

وهذه عاتقة رضي الله تعالى عنها تنصح عمر بن عبید بن قتادة فتقول له : (ألم أُحَدِّثُ أَنَّكَ تَجْلِسُ وَتُجْلَسُ إِلَيْكَ . قال : بلى . قالت : فأياك وإملا لالناس وتقنيطهم) .^(٢) قلت : ومعلوم أن إملا لهم إنما يكون بالإطالة عليهم في الكلام والزمان ومعلوم أن قليل الموعظة مع نشاط الموعوظ وحضور قلبه خير من كثير وافق من الأسعاع إعراضا ومن القلوب ملالة .

وكان الزهري يقول : (إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب) .^(٣)

قلت : وذلك لأن إطالة المجلس تدفع الناس إلى الملل والسآمة وكثرة الحركة والشاؤب بن قد يؤدي إلى النسيان وهذا كله من الشيطان . قال ابن جماعة الكنانى : (وينبغي أن لا يطيل الدرس تطويلا يمل ولا يقصره تقصيرا يخل ويراعى في ذلك مصلحة الحاضرين) .^(٤) وقال السخاوى : (ولا تطل المجلس بل اجعله متوسطا واقتصد منه حذرا من سآمة السامع وملاؤه وأن يؤدي ذلك إلى فتوره عن الطلب وكسله) .^(٥) وقال المبرد : (من أطال الحديث وأكثر القبول فقد عرض

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسى

الحنبلية (ت :) ١٠٨/٢ ط دار العلم للجميع ١٩٧٢م .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادي ١٢٨/٢ .

(٣) المرجع نفسه ١٢٨/٢ .

(٤) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لبد الدين ابن الشيخ أبي اسحاق

ابراهيم ابن أبي الفضل سعد الله ابن جماعة الكنانى (ت : ٧٣٣) ص ٣٨ .

(٥) فتح المغيب للسخاوى ٣٣١/٢ .

(١)

• للملال وسوء الاجتماع)

وقال الماوردى : (قال بعض العلماء : كل كلام كثر على الأسماع ولم يطاوعه الفهم

(٢)

ازداد به القلب عن وإنما يقع السمع فى الآذان إذا قوى فهم القلب فى الأبدان) •

وينبغى للداعية أن يتغرس فى وجوه الحاضرين فإذا رأى اقبالاً تكلم وإلا أمسك •

قال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه : (حدث القوم ما أقبلت عليك قلوبهم

فإذا انصرف قلوبهم فلا تحدثهم) • قيل له : وما علامة ذلك ؟ قال : إذا حدّثوك

(٣)

بأبصارهم فإذا تراءوا واتكأ بعضهم على بعض فقد انصرف قلوبهم فلا تحدثهم) •

وعن عبد الله أيضاً قال : (إن للقلوب شهوة وإقبالاً وإن للقلوب فترة وإدباراً

(٤)

فاغتنموها عند شهوتها ودعوها عند فترتها وإدبارها) • وقال أبو العالقة

(٥)

: (حدث القوم ما حملوا • فسئل ما حملوا قال : ما نشطوا) •

وينبغى للداعية كذلك أن يزيّن موعظته بطرف الحكمة والأشعار والحكايات

اللطيفة ليحدث تغييراً وتجديداً ونشاطاً لأن القلوب إذا كلت عمت وإذا عمت ضلت

(٦)

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : (روحوا القلوب وابتغوا لها طرف الحكمة) •

(٧)

• وكان الزهرى يقول لأصحابه : (هاتوا من أشعاركم هاتوا من أحاديثكم) •

(١) فتح المغيـث ٣٣١/٢ •

(٢) المرجع نفسه ٣٣٢/٢ •

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى ٣٣٠/١ •

(٤) المرجع نفسه ٣٣١/١ •

(٥) المرجع نفسه ٣٣١/١ •

(٦) تدريب الراوى للسيوطى ١٣٨/٢ • وفتح المغيـث للسخاوى ٣٤٩/٢ •

والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للبغدادى ١٢٩/٢ •

(٧) تدريب الراوى للسيوطى ١٣٨/٢ وفتح المغيـث للسخاوى ٣٤٩/٢ •

وقال عمر بن عبد العزيز: (تحذثوا بكتاب الله وتجالسوا وإذا ملتم فحدثوا من أحاديث
(١)
الرجال حسن جميل) .

فليحذر الدعاة من إطالة الوقت مهما كان منطقتهم جميلا وأسلوبهم حسنا وليراعوا
مصلحة المدعوين وليحاولوا تزيين موعظتهم بالحكم والأشعار والحكايات اللطيفة والنوادر
المستحسنة لأن هذا أدعى إلى القبول وأوفق للاستجابة . وقد أنزل الله القرآن مفرقا
ليفهمه الناس وليقرأه الرسول عليهم على مكث قال تعالى : ﴿ وقرآننا فرقناه لتقرأه على الناس
على مكث ونزلناه تنزيلا ﴾ .

-
- (١) الآداب الشرعية والمنح المرعية لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي
الحنبلي ١٠٩/٢ .
(٢) الإسراء آية (١٠٦) .

اختيار طريقة العرض المناسبة :

ينبغي للداعية الحكيم أن يتخير طريقة العرض المناسبة لعرض دعوته على المدعوين لتلقى دعوته الأثر المحمود من القبول والاستجابة الباهرة السريضة . ولا بد للداعية أيضا لكي يجتذب البشر خطابا ناجحا من مراعاة طبيعة البشر العامة أولا ، ثم مراعاة الأحوال الاجتماعية ثانيا ، ثم مراعاة الفروق الفردية في النهاية . وإن الداعية متى ما كان خبيرا بأداء النفوس وعقل القلوب ، فإنه سيسلك الأسلوب المناسب في علاجها ، ويختار طريقة العرض المناسبة لقبولها ذلك أن من الناس (من يعجبه حسن اللفظ ، ومنهم من يعجبه الإشارة ، ومنهم من ينقاد ببیت من الشعر ، وأحوج الناس إلى البلاغة الواعظ ليجمع مطالبهم لكنه ينبغي أن ينظر في اللزوم الواجب ، وأن يعطيهم من المباح في اللفظ قدر الملح في الطعام)^(١) . وإذا ن الله يكون النجاح حليفه والتوفيق نصيبه .

وقد رسم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هذا المنهج في معرض بيان دعوتهم لأقوامهم ولا أدل على هذا من منهج نوح عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى التسليم حيث شرح مسلكه في عرض دعوته على قومه وكيف أنه استخدم معهم كل المسالك وشق المنافذ لهدايتهم وارشادهم ودلائلهم لكنهم أصروا واستكبروا استكبارا قال تعالى : ﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم غذاب أليم . قال يئسوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يخفركم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون قال رب إني دعوت عموما ليلا ونهارا فلم يزد هم دعائي إلا غرارا وإني كلما دعوتهم لتخفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني

(١) مسد خاطر لابن الجوزي ص ١٠٠ طبع محمد الخزالي .

أعلنت لهم وأسروا لهم أسراراً فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدارا ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ما لكم لا ترجون
لله وقارا وقد خلقكم أطواراً ألم تتروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر
فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أُنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها
ويخرجكم إخراجا والله جعل لكم الأرض يساطا لتسلكوا منها سبيلا فجاجا (١)

فقد أبانت هذه الآيات أن نوحا عليه السلام قد أتبع وسلك كل ما أمكنه من
أساليب في عرض دعوته على قومه وتغنن في ذلك فجهر بالدعوة تارة ثم زأج بسين
الإعلان والإسرار تارة ودعاهم ليلا ونهارا وأطعمهم ورجعهم في خيرى الدنيا والآخرة
وأطعمهم في غفران الذنوب والرزق الوفير الميسور والجنات والبنين وذكرهم نعم الله
عليهم ومع هذا أصروا واستكبروا استكبارا قال الشوكانى : (فالمقصود أنه دعاهم على
وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة فلم ينجح ذلك فيهم) (٢)

فمن طرق العرض المناسبة :-

أولا : عرض الموضوع عرضا مباشرا يراعى فيه التقديم له ثم طرح أقدار الموضوع ثم
خاتمة يلخص فيها النتائج والأهداف على أن يراعى حساب الوقت فلا يطول حتى
لا يمل ويثقل على الأسماع

ثانيا : أن يحدث بحدوث فيه بعض الخوض من ناحية المعنى حتى يسأله المدعو
يفسره له وبذلك يعرف مدى مشاركة المدعو معه وفهمه وذلكائه وفطنته .

(١) نوح آية (١ - ٢٠) د

(٢) فتح القدير للشوكانى ٢٨٩/٥

ومن الأمثلة على ذلك :-

١ : عن عبد الله بن مسعود قال : (لما نزلت هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ . شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " ألا ترون الى قول لقمان : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ " (١)

٢ : وعن عائشة رضی الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . فقلت يا نبي الله اكراهية الموت فكلنا يكره الموت . قال : ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه " (٢)

٣ : وعن عبد الله بن عمر رضی الله تعالى عنهما قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله . ما الكبائر؟ قال : " الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ . قال : ثم ماذا؟ قال : عقوق الوالدين . قال : ثم ماذا؟ قال : اليمين الغموس . قلت : وما اليمين الغموس؟ قال : السدى يقتطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب " (٣)

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب التفسير باب سورة لقمان ٥١٣/٨

٦ صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الايمان ١١٤/١

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب من أحب لقاء

الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ٩/١٧

(٣) سبق تخريجه . انظر ص ٢١٤

ثالثا : الاعراض عن كلام السائل كلبية وإجابته إجابة تصح نظرتة وتتضمن طرح كل ما ذكره :

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :-
١ - عن أبي موسى الأشعري أن رجلا أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فقال : يا رسول الله • الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليذكر والرجل يقاتل

ليرى مكانه فأى ذلك فى سبيل الله • فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " من

(١)

قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله " •

٢ - عن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه قال : أتيت رسول الله مبايعا مسلما

فقال لى الرسول : " ابسط يمينك لأبايعك • فبسطت يمينى ثم قبضتها فقال : " مالك

يا عمرو؟ قلت : أردت أن اشترط قال • تشترط ماذا • قلت أن يغفرلى • فقال : أما

علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم

(٢)

ما كان قبله " •

رابعا : الثناء على أناس بأفعالهم ليقتدى بهم الآخرون :

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :-

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للأشج أشج عبد القيس : إن فىك

(٣)

لخصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة " •

٢ - عن عمرو بن تغلب قال : (أعطى رسول الله قوما ومنع آخرين فكانهم عتبوا عليه

(٤)

فقال : " إني أعطى قوما أخاف ظلمهم وجزعهم وأكل أقواما إلى ما جعل الله فى

قلوبهم من الخير والخنى منهم عمرو بن تغلب " فقال عمرو بن تغلب : ما أحب

(٥)

أن لى بكلمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حمر النعم) •

(١) سبق شخريجه • انظر ح ٣٤ •

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الحج

والهجرة ١٣٧/٢ - ١٣٨ •

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب أول الإيمان قول لا اله الا الله ٣٥/١ - ٣٦ •

(٤) هو يفتح الهم : أى ميلهم عن الحق وسعة إيمانهم وقيل ذنبهم • أنار النبأية فى غريب

الحدیث لابن الأثیر ١٥٩/٣ • صحيح البخارى بفتح البارى كتاب فروع الخمر باب ما كان النبى يعطى المؤلفه قلوبهم

وغيرهم من الخمس ونحوه ٢٥٠/٦ •

٣ — عن أبي موسى الأشعري قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " إن الأشعريين إذا أرملوا في الخزو أو قتل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم " (١)

خامسا : طريق الأمر والنهي :-

والأمثلة على هذا من القرآن والسنة كثيرة جدا .

فمن الآيات القرآنية :

١ — قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ

(٢)

تَتَّقُونَ ﴿

(٣)

٢ — وقال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴿

٣ — وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ

النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ

(٤)

كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة .

ومن الأحاديث النبوية :-

١ — عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " فكوا

(٥)

العاني وأجيبوا الداعي " (٦)

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الشركة باب الشركة فى الطعام والنهد والعروض ١٢٨/٥ - ١٢٩

(٢) البقرة آية ٢١٥ ﴿ ٢١٥ ﴾

(٣) البقرة آية ١١٠ ﴿ ١١٠ ﴾

(٤) النساء آية ١٥٨ ﴿ ١٥٨ ﴾

(٥) أى الأسير وكل من ذل واستكان وخضع فقد عنا يعنو والمرأة طانية وجمعها عوان . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٣١٤/٣ .

(٦) صحيح البخارى بشرحة فتح البارى كتاب الأحكام باب إجابة الحاكم الدعوة ١٦٣/١٣ .

٢ - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : خرجت مع النبي صلى الله عليه واله

وسلم يوم فطر أو أضحى فسلمي ثم خطب ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن

(١)

• بالصدقة •

٣ - عن أنس رضي الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : " انصر

أخاك ظالما أو مظلوما " فقال رجل يا رسول الله انصره إذا كان مظلوما • أرايت

إن كان ظالما : كيف أنصره ؟ قال : " تحجزه - أو تمنعه - من الظلم فإن ذلك

(٢)

نصره " •

سادسا : تذكر الحكم مقرونا بعلمته :

والأمثلة على ذلك كثيرة :

فمن الآيات القرآنية :-

(٣)

١ - قال تعالى : ﴿ واقم الصلوة إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ •

٢ - وقال تعالى : ﴿ يأتئها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين هم

(٤)

قبلكم لعلكم تتقون ﴾ •

٣ - قال تعالى : ﴿ يأتئها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس

من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان

أن يوقع بينكم المداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب العيدين باب خروج الصبيان إلى الصلوة ٤٦٤/٢ •

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الإكراه باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا

خاف عليه القتل أو نحوه ٣٢٣/١٢ •

(٣) العنكبوت آية ٤٥ •

(٤) البقرة آية ١٨٣ •

(١)

• ذكر الله وعن الصلوة قبل أنتم منتبهون •

ومن الأحاديث النبوية :

١ - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا وَحَشِيًّا وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ (٢) أَوْ بُوْدَانَ (٣) - فَرَدَّ

عَلَيْهِ • فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ • قَالَ : " أَمَا أَنَا لَمْ نَرُدَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حَرَمٌ " (٤) •

٢ - عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال : اطلع رجل من جحر في حجر

النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مدرى يحسك

به رأسه فقال : " لو أعلم أنك تنظر لطمعت به في عينك إنما جعل الاستئذان من

(٥)

اجل البصر " •

(٦)

سابعاً : محاولة تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة باللين والرفق •

(٧)

ثامناً : طريق الأسئلة والحوار لاثارة الانتباه •

(٨)

تاسعاً : طريق التحذير •

(٩)

عاشراً : طريق التعريض دون التصريح •

(١٠)

حادى عشر : طريق الترغيب والترهيب •

(١) المائدة آية (٩٠ - ٩١) •

(٢) الأبواء : بالفتح ثم السكون وفتح الواو والفاء مدودة : قرية من أعمال الفرع من المدينة

بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً وبالأبواء قبر أمته أم النبي

صلى الله عليه وآله وسلم • مرآصد الاطلاع ١٩٦٦ •

(٣) ودان : موضع بين مكة والمدينة قرية جامعة في نواحي الفرع بينها وبين هرش ستة أميال

• بينها وبين الأبواء نحو ثمانية أميال قريب من الجحفة لضمه وقفار وكنانة •

• مرآصد الاطلاع للبهندادى ١٤٢٩/٣ •

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الهبة باب قبول الهدية ٢٠٢/٥

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الاستئذان باب الاستئذان من أجل

البصر ١٤/١١ •

(٦) انظر ص ١٦٩ - ١٨٣ (٧) انظر ص ٣٠٧ (٨) انظر ص ٣١٦ •

(٩) انظر ص ١٦١ - ١٦٨ (١٠) انظر ص ٢٤٩ - ٢٦٧ •

- (١) الثاني عشر: طريق ضرب الأمثال
(٢) الثالث عشر: طريق القصص

وسياتى بيان كل ذلك فيما بعد إن شاء الله . إلى غير هذا من طرق عرض
الدعوة على الآخرين . والتي تكتسب بالخبرة والتجربة ، ومعرفة أحوال الناس
وأعرافهم وظروفهم وبيئتهم .

(١) انظر ص ٢٦٨ - ٢٨١

(٢) انظر ص ٢٨٢ - ٣٠٦

هاشرا : البدء بالأهم فالمهم :

إن الطبيب الحاذق الماهر هو الذى يعالج الأعراض الأساسية لا الجانبية ،
ويهتم بمعرفة أصل موطن الداء ليستصله ، ثم ما تبقى بعد ذلك من أعراض جانبية
فرعية تزول وتنتهى بالتدريج - إن شاء الله - لأن أصل علة الداء قد تلاشت .
وما أحسن فائدة الداء يصح به الجسم ويقوى ، حين يأخذه المريض على : فعات
حسب ما يأمر به الطبيب ويتحملة الجسم .

وكذا الداعية إلى الله ينبغى له أن يهتم بالأصول قبل الفروع ، وبالكلية
قبل الجزئيات . فيبدأ مع المدعو بدعوتة أولاً إلى العقيدة السلفية الصحيحة ،
السليمة من كل شك أو زيغ أو انحراف أو خرافة ، والإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة
والكتاب والنبين والقضاء والقدر خيره وشره ثم العبادات ، والأخلاق ، والتشريعات
والأحكام . ولقد أوضح صلى الله عليه وآله وسلم هذا المنهج لأصحابه ، حيث أنه قال
لمعاذ بن جبل رض الله عنه حين بعثه إلى اليمن : " إنك تقدم على قوم أهل كتاب ،
فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم
خمس صلوات فى يومهم وليلتهم . فإذا فعلوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة
تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقراءهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منها وتوق كرائم أموال
الناس ^(١) فهو صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث يرشد معاذاً إلى أن يبدأ فى دعوتة
بالأهم فالأهم قال الخطيبى : (فإذا أقاموها - أى الشهادة تين - توجهت عليهم
بعد ذلك الشرائع والعبادات ، لأنه قد أوجبها مرتبة وقد فىها الشهادة ثم تلاها

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الزكاة باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس فى
الصدقة ٣/٣٢٢ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب الدعاة إلى الشهادة تين
وشرائع الإسلام ١/١٩٩ - ٢٠٠ .

(١)

• بالصلاة والزكاة •

وقالت عائشة رضى الله عنها : انا نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل

فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام ، نزل الحلال والحرام

ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر • لقالوا : لا ندع الخمر أبدا • ولو نزل لا تنزوا

لقالوا : لا ندع الزنا أبدا • لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانسى

لجارية اللعب : ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ • وما نزلت سورة

البقرة والنساء إلا وأنا عنده • قال ابن حجر : (أشارت إلى الحكمة الإلهية فسي

ترتيب النزول • وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد ، والتبشير للمؤمنين

والمطيع بالجنة ، والكافر والمعاصي بالنار • فلما اطمانت النفوس على ذلك أنزلت

الأحكام) • ولذا كان من الحكم في نزول القرآن مفرقا منجما هذه الحكمة الجليلة

وهذه القاعدة العظيمة (البدء بالاهم فالأهم) • قال تعالى : ﴿ وقرآنا فرقناه

لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ﴾ • أنه التدرج في تربية هذه الأمة

الناشئة علما وعملا • قال الألوسي : (فذكر هذا بعد قوله : أي قوله ﴿ ونزلناه تنزيلا ﴾ بعد قوله

﴿ فرقناه ﴾ الخ مفيد ، وذلك لأن الأول دال على تدرج نزوله ليسهل حفظه وفهمه من غير نظر إلى

(٦)

مقتضى ذلك • وهذا أخص منه فإنه دال على تدرجه بحسب الاقتضاء •

(١) معالم السنن للخطابي ١٩٩/٢ •

(٢) القمر آية ﴿٤٦﴾ •

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن ٣٩/٩ •

(٤) فتح البارى ٤١/٩ •

(٥) الإسراء آية ﴿١٠٦﴾ •

(٦) روح المعانى للألوسى ١٨٩/١٥ •

وقد كان لهذه السياسة الحكيمة ، والتربية القويمة ، وقاعدة تقديم الأهم على المهم التي انتهجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الأثر الكبير في تخليص العرب من أرجاسهم وأدناسهم وتطهيرهم منها وهم لا يشعرون بأذى عنك أو حرج . ولا أدل على هذا من تحريم الخمر الذي ما إن جاء المنادى ونادى : (ألا إن الخمر حرمت^(١) حتى استجاب المؤمنون له جميعا . عن انس بن مالك رض الله عنه قال : " ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ . فإني لقايم أسقى أبا طلحة وفلانا وفلانا إذ جاء رجل فقال وهل بلخكم الخير ؟ فقالوا : وما ذاك ؟ قال : حرمت الخمر . قالوا : أهرق هذه القلال^(٢) يا انس . قال : فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل^(٣) . وفي رواية : " فجرت - أي الخمر - في سكك المدينة^(٤) . وما كانت هذه الاستجابة الفورية والسريعة إلا لأن الإيمان قد رسخ في القلوب ، والخوف من الله قد ثبت واطمأن في الأفئدة ، مع أن أمريكا في العصر الحديث حين حاولت تحريم الخمر فشلت ، لأنها لم تبدأ بالأهم ألا وهو إرساء العقيدة التي تدفع إلى الالتزام بالأوامر والاجتناب عن النواهي . قال الزرقاني : (وكان الإسلام في انتهاج هذه الخطة المثلى أبعد نظرا ، وأهدى سبيلا ، وأنجح تشريعا ، وأنجح سياسة ، من تلكم الأمم المتعدنة المتحضرة ، التي أذلت في تحريم الخمر على شعوبها أفضح أفلاس ، وفشلت أمر فشل . وما عهد أمريكا في مهزلة تحريمها الخمر بعيد إلا ليس ذلك اعجازا للإسلام في سياسة الشعوب ، وتهذيب الجماعات ، وتربية

(٥)

الأمم ؟ بلى والتاريخ على ذلك من الشاهدين) .

(١) أهرق بمعنى أراق الماء . النهاية في غريب الحديث ٢٦٠/٥ .

(٢) أي الجرار . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٠٤/٤ .

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب التفسير باب إنما الخمر والميسر والأنصاب

والأزلام رجس من عمل الشيطان ٢٧٦/٨ .

(٤) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المظالم باب صب الخمر في الطريق ١١٢/٥ .

(٥) مناهل العرفان للزرقاني ٥٠/١ ط ٣ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي

الحلبي وشركاه .

وقال عبد المنعم النمر : (والطفرة في بناء مجتمع جديد مستحيلة ، وتكليف أتباع الدين الجديد بكل ما يريد ، الله منهم دفعة واحدة حين يدخلون في الإسلام - لا سيما وهو في دور النماء - أمر فوق اللاحقة ، ولا بد من اخذ هذا المجتمع بالتدرج ، ووضع الأساس أولاً بالحقائق ثم يفرغ عليها التشريعات شيئاً فشيئاً) .
(١)

(١) علوم القرآن الكريم لعبد المنعم النمر ص ٨٥ ط ١ ١٩٩٩/٧٩م دار الكتاب
المصري .

نحتاج على البدء بالأهم فالأهم :

أولا - من الكتاب :

قال تعالى : ﴿ يسئلكم ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالد يسن

والأقربين واليتامى والمسكين وابن السبيل وما تفعلوا من

(١)

خير فإن الله به عليم ﴾ .

فقد أبانت هذه الآية أن بعضا من الصحابة رضوان الله عليهم ، سألوا

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ما ينفقون ؟ فأجيبوا ببيان المصرف الذي

يصرفون فيه نفقاتهم ، لأن هذا هو الأهم . فليس المهم مقدار ما ينفقون ،

بقدر ما هم مهم أين يصنعون تلك النفقة . قال الزمخشري : (بنى

الكلام على ما هو أهم . وهو بيان المصرف ، لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن

(٢)

تقع موقعها) . وقال الألوسى : (ظاهر الآية أنه سئل عن المنفق فأجاب

(٣)

ببيان المصرف صريحا ، لأنه أهم . فإن اعتداد النفقة باعتباره) .

ثم قال : (إنما تعرض لذلك وليس في السؤال ما يقتضيه ، لأن السؤال للمعلم

لا المجدل . وحق المعلم فيه أن يكون كطبيب رفيق يتحرى ما فيه الشفاء طلبه

(٤)

المرضى أم لم يطلبه) .

وقال القاسي : (بنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة

(١) البقرة آل ﴿ ٢١٥ ﴾ .

(٢) الكشاف للزمخشري ٣٥٦/١ .

(٣) روح المعاني للألوسى ١٠٥/١ .

(٤) المرجع نفسه ١٠٦/١ .

لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها • قال الشاعر :

إن الصنعة لا تكون صنعة حتى يصاب بها طريق المصنع
فإذا صنعت صنعة فاعمد بها لله أو لذوى القربى أو د.ع (١)

٢ - قال تعالى : ﴿ يسئلونك عن الأهلة • قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر

بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت

(٢)

من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون) •

روى أبو نعيم وابن عساکر عن ابن عباس رض الله عنهما قال : نزلت في معاذ

ابن جبل وشعبة بن غم قالوا : يا رسول الله ما بال الهلال يبدو - أو يطلع -

دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستد يرثم لا يزال ينقص ويدق حتى يموت

(٣)

كما كان لا يكون على حال واحد فنزلت) •

قال القاسمى : (فهو قد تلقى السائل بخير ما يتطلب - بتنزيل سؤاله

منزلة غيره ، بينها للسائل على أن ذلك الغير هو الأولى بحاله أو المهم له • فلما

سألوا عن السبب الفاعل للتشكيلات النورية في الهلال ، اجيبوا بما ترى من السبب

(٤)

الغائى تنبيها على أن السؤال عن الغاية والفائدة هو اليق بحالهم) •

قال الشوكاني : (وقد جعل بعض علماء المعانى هذا الجواب أعنى قوله

(١) محاسن تأويل القرآن للقاسمى (ت : ١٣٣٢ هـ) ٥٣١/٣ • وأنظر الكشاف للزمخشري

٣٥٦/١ • تفسير أبي السعود لأبي السعود (ت : ٩٥١ هـ) ٢١٦/١٠ • فتح القدير

للشوكاني ٢١٦/١٠ •

(٢) البقرة آية (١٨٩) •

(٣) الدر المنثور للسيوطى ٢٠٣/١ ، الكشاف للزمخشري ٣٤٠/١ • تفسير أبي السعود

لأبي السعود ٢٠٣/١ • مفاتيح الغيب للرازي ١/٥ • محاسن

تأويل القرآن للقاسمى ٤٧٠/٢ •

(٤) محاسن تأويل القرآن للقاسمى ٤٧٠/٣ •

: ﴿ قل هي موافقتك من الأسلوب الحكيم ، وهو تلقى المخاطب بغير ما يترقب ،
تنبيهها على أنه الأولي بالقصد . ووجه ذلك أنهم سألوا عن أجرام الأهلّة باعتبار
زيادتها ونقصانها ، فأجيبوا بالحكمة التي كانت تلك الزيادة والنقصان لأجلها ،
لكون ذلك أولى بأن يقصده السائل ، وأحق بأن يتطلع لعلمه) (١)

قلت : وهكذا ينبغي للداعية أن يقدم ما هو أهم ويتحرى ما هو أنفع للمدعو
فيبدأ به . وهذه قاعدة مهمة وفائدة جلييلة وعبرة عظيمة ينبغي على الدعاة إلى
الله أن ينتبهوا لها ويهتموا بها . قال ابن القيم الجوزية : (يجوز للمفتي أن
يعدل عن جواب المستفتي عما سأل عنه إلى ما هو أنفع له منه ، ولا سيما إذا تضمن
ذلك بيان ما سأل عنه ، وذلك من كمال علم المفتي وفقهه ونصحه) (٢)

(١) فتح القدير للشوكاني ١٨٩/١ .

(٢) أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ١٥٨/٤ .

ثانيا : من السنة :-

١ - عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله متى الساعة ؟ قال : " وما أعددت لها ؟ قال : حب الله ورسوله • قال فانك مع من أحببت • قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : فانك مع من أحببت • قال أنس فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم • وفى رواية للبخارى ومسلم : عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :^(١)
بينما أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خارجين من المسجد فلقينا رجلا عند سدة المسجد فقال : يا رسول الله متى الساعة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " ما أعددت لها ؟ قال : فكأن الرجل استكان ثم قال : يا رسول الله ما أعددت لها كبر صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكنى أحب الله ورسوله • قال : "فأنت مع من أحببت •"^(٢)
مع من أحببت •"

قلت : "قوله ما أعددت لها كبر صلاة ولا صيام ولا صدقة أى غير الفرائض معناه

أنه غير مكتر من نوافل العبادات •

فأبان هذا النور الكريم كيف أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وجه السائل إلى ما هو

أهم من سؤاله عن قيام الساعة ، حيث نبهه إلى أن يهتم بالاستعداد لها •

-
- (١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب المرء مع من أحب ١٨٧/١٦
(٢) أى الظلال التى حول المسجد وقيل هى الباب نفسه وقيل هى الساحة بين يديه •
النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الاثير ٣٥٣/٢ •
(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الآداب باب علامة الحب فى الله ٥٥٧/١٠
صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب المرء مع من أحب ١٨٧/١٦ •

قال الكرمانى : (سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع السائل أسلوب الحكيم ، وهو

(١)

تلقى السائل بغير ما يطلب مما يهيمه أو هو أهم) • وقال العيني : (قال شيخ

شيخى الطيبرى فى قول الرسول : " ما اعددت لها ؟ " سلك مع السائل طريق

الأسلوب الحكيم ، لأنه سأل عن وقت الساعة وأجاب بقوله " ما اعددت لها " يعنى

(٢)

إنما يهيمك أن تهتم بأهيتها وتعتنى بما ينفعك عند قيامها من الأعمال الصالحة) •

٢ - عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم فقلت : يا رسول الله أى العمل أفضل ؟ قال الصلاة على ميقاتها • قلت :

ثم أى ؟ قال : ثم بر الوالدين • قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله

فسكت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدت لزدتني" (٣)

قال الطبرى : (إنما خص هذه الثلاثة بالذكر ، لأنها عنوان على ما سواها من

الطاعات • فإن من ضيع الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها من غير عذر مع خفة مؤنتها

عليه ، وعظيم فضلها ، فهو لما سواها أضيع ومن لم يبر والد به مع وفور حقها عليه ،

كان لغيرها أقل برا • ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين ، كان لجهاد

غيرهم من الفساق أترك • فظهر أن هذه الثلاثة تجتمع فى أن من حافظ عليها كان لما

(٤)

سواها أحفظ ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع) •

٣ - عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم

(٥)

فاستأذنه فى الجهاد فقال : " أحى والداك ؟ " قال نعم • قال ففيمهما فجاهد •

فقد أبان هذا الحديث أن على المكلف أن يستفصل عن الأفضل والأهم لنفسه

(١) فتح البارى ٥٦٠/١٠ •

(٢) عمدة القارى للعيني (ت : ٨٥٥) ١٩٦/٢٢ •

(٣) سبق تخريجه انظر ص ٢١١

(٤) فتح البارى ٤/٦ •

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الجهاد باب الجهاد بإذن الأبوين ١٤/٦ •

من أعمال الطاعة ليعمل به ، ويقدمه على غيره فيبدأ بالأهم ثم المهم . فهذا الرجل
جاء يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد - والجهاد من أعظم الداعات
وأفضل القربات - فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو المرير الحكيم والموجه
المعظم : " أحى والداك " قال : نعم . قال ففيهما فجاهد . " فدلّه الرسول
صلى الله عليه وسلم على ما هو أفضل من الجهاد في حقه ، وهو أن يبرأ إليه
ويعمل جاهدا على ارضائهما .

وهناك مجالات كثيرة أرشد الشارع الحكيم أفرادها إلى الاهتمام بها وتطبيق
قاعدة الأهم ثم المهم .

ففي مجال الدعوة إلى الله عز وجل :-

أمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم - والأمة تبع له - أن يبدأ
في دعوته بالأقربين فيخصهم بالانذار والتبليغ قبل غيرهم فقال تعالى وهو أحكم
الحاكمين : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (١)

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : " لما نزلت هذه الآية : ﴿ وأنذر
(٢)
عشيرتك الأقربين ﴾ . دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فعمّ وخصّ .
وقال : يا بني عبد شمس ، يا بني كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى
مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ،
يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ،
يا فاطمة أنقذى نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها

(١) (٢) الشعراء آية (٢١٤) .

(١)

بيلالها .

قال البيضاوي : (وأ نذر عشيرتك الأقربين الأقرب منهم فالأقرب فإن الاهتمام

(٢)

بشأنهم أهم) . وقال الشوكاني : (خص الأقربين لأن الاهتمام بشأنهم أولى ،

(٣)

وهدايتهم إلى الحق أقدم) . ثم بعد هذا أمره بالإنذار العام لجميع البشر فقال

(٤)

تعالى : ﴿ فاصدح بما توعم وأعرض عن المشركين ﴾ .

وفي مجال الانفاق أيضاً أمره أن يبدأ بنفسه فإن فضل شيء فلأقربائه الأقرب منهم

فإن فضل شيء فلآخرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ابدأ بنفسك فتصدق

عليها فإن فضل شيء فلأهلك فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك

شيء فهكذا وهكذا يقول فيمن يدريك عن يمينك وعن شمالك ^(٥) قال النووي : (في هذا

الحدِيث فوائد منها : الابتداء في النفقة بالمذكور على هذا الترتيب ، ومنها أن الحقوق

(٦)

والفضائل إذا تزاومت قدم الأوكد فالأوكد) .

وإننا لنقرأ أيضاً في الكتاب والسنة الاهتمام بالأقارب وتقدمهم في النفقة على غيرهم .

(١) صحيح مسلم لمسلم (ت : ٢٦٦١ هـ) كتاب الايمان باب في قوله تعالى : ﴿ وأ نذر

عشيرتك الأقربين ﴾ ١٩٢/١ . بتحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي . ط دار احياء

التراث العربي .

(٢) تفسير البيضاوي للبيضاوي ص ٤٩٨ ، تفسير أبي السعود لأبي السعود ٢٦٧/٦ .

(٣) فتح القدير للشوكاني ١١٩/٤ - ١٢٠ .

(٤) الحجر آية ٩٤ هـ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب الابتداء في النفقة

بالنفس ثم الأهل ثم الأقارب ٨٣/٧ .

(٦) شرح النووي على مسلم ٨٣/٧ .

فمن الكتاب نقرأ قوله تعالى : « يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين

والأقربين واليتامى والمسنكين وابن السبيل وما فعلوا من خير فإن الله به عليم » (١)

وقوله تعالى : « فلا اتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إذ علم في يوم

(٢)

ذي مسغبة يتيمًا ذا مقربة أو مسكينًا ذا متربة »

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ

(٣)

بمن تعول » وقوله صلى الله عليه وسلم : « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته

في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا الذي

(٤)

أنفقته على أهلك » قال النووي : (فيه تقديم نفقة نفسه وعياله لأنها منحصرة فيه بخلاف

(٥)

نفقة غيرهم ، وفيه الابتداء بالأهم فالأهم في الأمور الشرعية) وقوله صلى الله عليه وسلم

في الحديث الذي ترويه زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضی الله عنهما قالت : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن » قالت : فرجعت

إلى عبد الله بن مسعود ، فقلت له : إنك رجل خفيف ذات اليد ، وإن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قد أمرنا بالصدقة ، فأته ، فأسأله ، فإن كان ذلك يجزئ عني وإلا صرفتها إلى

غيركم ، فقال عبد الله : بل ائتيه أنت ، فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار يباب رسول الله

صلى الله عليه وسلم حاجتي حاجتها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقيت عليه

(١) البقرة آية (٢١٥) .

(٢) البلد آية (١١ - ١٦) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب بيان أن اليد العليا خير من اليد

السفلى ١٢٥/٧ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب فضل النفقة على العيال والمملوك ، وأتم

من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم ٨٢/٧ .

(٥) شرح النووي على مسلم ١٢٥/٨ - ١٢٦ .

المهابة • فخرج علينا بلال • فقلنا له : ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك تجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما ولا تخبره من نحن • فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من هما ؟ قال : امرأة من الأنصار وزينب • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الزينب هي ؟ قال : امرأة عبد الله • فقال رسول

(١)

الله صلى الله عليه وسلم : " لهما أجران ، أجر القرابة وأجر الصدقة " .
ففي هذا الحديث شاهدان هما :-
أولا : أبان هذا الحديث كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حث على الصدقة على الأقارب وذكر أنه فيها أجورين هما أجر الصدقة العام الذي يشترك فيه كل متصدق وأجر القرابة والصلة وبهذا تكون الصدقة على الأقارب أعظم وأكثر أجرا .

ثانيا : وفي هذا الحديث قد يسأل سائل لماذا أخبر بلال رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم المرأتين مع أنهما قد طلبتا منه عدم ذكر أسمائهما بقولهما " ولا تخبره من نحن " ؟ ! فهل في هذا إخلاف للوعد وإفشاء للسِر ؟ ! إن الجواب على هذا السؤال هو ما ذكره الامام النووي حيث قال : (قد يقال إنه إخلاف للوعد وإفشاء للسِر • وجوابه : أنه عارض ذلك جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجوابه صلى الله عليه وسلم واجب محتم لا يجوز تأخيره ، ولا يقدم عليه غيره • وقد تقرر أنه إذا تعارضت المصالح بسدئ

(٢)

بأهملها •

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الزكاة باب الزكاة على الزوج والأيتام فى الججر ٣ / ٣٢٨ • صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزكاة باب فضل النفقة على

الأقربين والزوجة والأولاد ٧ / ٨٦ - ٨٧ •

(٢) شرح النووى على مسلم ٧ / ٨٢ •

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي ترويه أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث
أنها أعتقت وليده ، ولم تستأنن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما كان يومها الذي
يدور عليها فيه . قالت : أشجرت يا رسول الله أنى أعتقت وليدى ؟ قال : أو فعلت ؟
قالت : نعم . قال : " أما إنك لو أعديتها أخوالك كان أعظم لأجرك " وعن أنس بن
مالك رضى الله عنه قال : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة ما لا من نخل . وكان أحب
أمواله إليه ببيرحاء . وكانت مستقبلة المسجد . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها
ويشرب من ماء فيها طيب . قال أنس فلما أنزلت هذه الآية : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون) قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن
الله تبارك وتعالى يقول : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وإن أحب أموالى إلى
بيرحاء ، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله . فضعبها يا رسول الله حيث أراك
الله . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بخ ذلك مال رابع ، ذلك مال
رابع ، وقد سمعت ما قلت . وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين . فقال أبو طلحة : أفعل
يا رسول الله . فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه " .

فقد دلت هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية : على أن على المسلم أن يراعى

- (١) أى جارية . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢٢٥/٥ .
- (٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزكاة باب فضل النفقة على الأقربين والزوج والأولاد
٨٥/٧ - ٨٦ .
- (٣) بيرحاء بوزن خيزتى . قال الزمخشري : ويقال بئرحاء مضاف إليه ممدود . وهو رواية
المغاربة قاطبة . ويقال ليرحاء بفتح أوله والراء والقصره وفيه اختلاف كثير : موضع
بالمدينة قرب المسجد يعرف بقصر بنى حديله . مراد الاطلاع للبغدادى ٢٤٠/١ .
- (٤) كلمة تقال عند المدح والرضى بالشئ ، وتكرر للمبالغة ، ومعنى مينة على السكون ، فان
وصلت جررت ونونت وربما شددت . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢٢٥/١ .
- (٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الزكاة باب الزكاة على الأقارب ٢٢٥/١ .
صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزكاة باب فضل النفقة والصدقة على الأقرنين والزوج
والأولاد ٨٤/٧ - ٨٥ .

تقديم الأهم فالمهم في الصدقة • فيبدأ بنفسه أولاً ، فإن فضل شيء فلأعقله الأقرب

فالأقرب ، فإن فضل شيء فليقسمه على اليتامى والمساكين وابن السبيل •

وهكذا في كل مجال من مجالات الحياة يقدم الأهم ، وإذا كثرت الحوائج

وتعارضت المصالح فليبدأ بأهمها •

فليحرص الدعاة على هذه القاعدة وعلى تطبيقها •

هتدى الله الأمة الإسلامية الى تطبيق هذه القاعدة وجنبهم أسباب الفرقة

والخلاف ووجد كلمتهم على الحق إنه سميع مجيب وهو على كل شيء قدير •

الباء الشاوي

الفصل الأول

الموعظة وبيان المراد منها

تعريف الوعظة الحسنة :-

اولا : في اللغة :

ورد الوعظ في اللغة لعدة معان :-

- ١ - التخويف والزجر (١)
- ٢ - التذكير بالخير وما يرق له القلب ويلينه (٢)
- ٣ - النصح والتذكير بالعواقب (٢)

ومن امثالهم في ذلك :-

(٤) (لاتعظيني وتعظني أي اتعظي ولا تعظي)

(٥) وقولهم : (السعيد من وعظ بغيره)

(٦) وقولهم : (ما وعظ امرأً كتجاره)

-
- (١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٢٦/٦
 - (٢) تهذيب اللغة للأزهري ١٤٩/٣ ، مقاييس اللغة لابن فارس ١٢٦/٦ ، المحكم لابن سيده (ت : ٤٥٨) ٢٤٠/٢ ط ١ مصطفى الباي الحلبي ١٢٧ هـ - ٥٨ م ، القاموس المحيط للفيروزآبادي ٤١٥/٢
 - (٣) الصحاح للجوهري ١١٨١/٣ ، مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ص ٧٢٩ ط ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٢ م المطبعة الأميرية بالقاهرة ، لسان العرب لابن منظور ٤٦٦/٧
 - (٤) تهذيب اللغة للأزهري ١٤٩/٣
 - (٥) مجمع الامثال للميداني ٣٤٣/١
 - (٦) المرجع نفسه ٣٢٧/٢

ثانيا : في استعمالات القرآن :

١ - التذكير :

نحو قوله تعالى : ﴿ فجعلناها نكلا لما بين يديها وما خلفها وموعظة

(١)

للمتقين ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾ . (٢)

وقوله تعالى : ﴿ يأتئها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء

(٣)

لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ .

(٤) (٥)

قاله ابن عباس والطبري .

٢ - التخويف والزجر :

نحو قوله تعالى : ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره

إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها

(٦)

خلدون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ واللتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى

المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن

(٧)

سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴾ .

(١) البقرة آية (٦٦) .

(٢) آل عمران آية (١٣٨) .

(٣) يونس آية (٥٢) .

(٤) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ٣٣٦/١ .

(٥) المرجع نفسه ١٠١/٤ .

(٦) البقرة آية (٢٧٥) .

(٧) النساء آية (٣٤) .

- وقوله تعالى : ﴿ وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ (١)
- وقوله تعالى : ﴿ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحتك هذا ﴾ (٢)
- بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين ﴾ (٣)
- قاله الشافعي والطبري والأصفيهاني (٤) (٥)

٣ - النصح :

- نحو قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً ﴾ (٦)

- وقوله تعالى : ﴿ وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون ﴾ (٧)
- وقوله تعالى : ﴿ قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ﴾ (٨)
- وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ (٩)

-
- (١) هود آية ﴿ ١٢٠ ﴾
- (٢) النور آية ﴿ ٤٦-٤٧ ﴾
- (٣) حاشية الشيخ زاده على البيضاوي ٣٢/١
- (٤) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ١٠٤/٣
- (٥) المفردات في غريب القرآن للأصفيهاني ص ٥٢٧
- (٦) النساء آية ﴿ ٥٨ ﴾
- (٧) الاعراف آية ﴿ ١٦٤ ﴾
- (٨) الشعراء آية ﴿ ١٣٦ ﴾
- (٩) لقمان آية ﴿ ١٣ ﴾

(١) (٢)
قاله الطبري وابن حجر •

٤ - الأمر والوصية :

نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ
(٣) عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ •

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَنِئْزِمًا وَفَرَادَىٰ ثُمَّ
تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ
عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (٤) •

(٥) (٦)
قاله ابن عباس وابن الجوزي •

٥ - النهي :

نحو قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ
(٧) وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ •
وقوله تعالى : ﴿ يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٨)
(٩)
قاله ابن الجوزي •

-
- (١) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ١٤٦/٥ ، ٦٨/٢١ •
 - (٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٦٢/١ •
 - (٣) النحل آية ٩٠ •
 - (٤) سبأ آية ٤٦ •
 - (٥) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ١٦٣/١٤ •
 - (٦) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤٦٤/٦ •
 - (٧) البقرة آية ٢٧٥ •
 - (٨) النور آية ١٧ •
 - (٩) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢٢/٦ •

٦ - مواعظ القرآن :

نحو قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ووجد لهم

(١)
بالتى هي أحسن ﴾ .

(٢)
قاله ابن عباس .

٧ - العبر الجميلة التى جعلها الله حجة على المشركين فى كتابه وذكرهم بها فى تنزيله

من آياته ونعمائه .

(٣)
قاله الطبرى عند قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

(٤)
الحسنة ووجد لهم بالتى هي أحسن ﴾ .

٨ - الأمر والنهى المقرون بالترغيب والترهيب :

نحو قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ووجد لهم

(٥)
بالتى هي أحسن ﴾ .

(٦)
قاله ابن القيم

٩ - القرآن :

نحو قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ووجد لهم

(٧)
بالتى هي أحسن ﴾ .

(١) النحل آية (١٢٥) .

(٢) زاد السير فى علم التفسير لابن الجوزى ٥٠٦/٤ .

(٣) جامع البيان فى تفسير آى القرآن للطبرى ١٩٤/١٤ .

(٤) النحل آية (١٢٥) .

(٥) النحل آية (١٢٥) .

(٦) التفسير القيم لابن القيم ص ٣٤٤ تحقيق محمد حامد الفقى ط لجنة

التراب العربى بيروت .

(٧) النحل آية (١٢٥) .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ

(١)

• وهدى ورحمة للناس من ربهم •

(٤)

(٣)

(٢)

قاله الماوردى وابن الجوزى والزمخشري •

وبعد استعراض هذه الأقوال • اختار ان المراد بالموعظة الحسنة هو الكلام

الذى يرقق القلوب ويلينها ومن مناهجها ما يلى :-

- ١ - الوعظ عن طريق الترغيب والترهيب •
- ٢ - الوعظ عن طريق ضرب الأمثال •
- ٣ - الوعظ عن طريق ايراد القصص •
- ٤ - الوعظ عن طريق طرح الأسئلة •
- ٥ - الوعظ عن طريق التذكير بنعم الله •
- ٦ - الوعظ عن طريق التذكير بسيرة المسلف الصالح •
- ٧ - الوعظ عن طريق الرسم والتشثيل وغيرها من وسائل الايضاح •
- ٨ - الوعظ عن طريق استخدام الأجهزة العلمية الحديثة فى نشر الدعوة •

(١) يونس آية ٥٧ •

(٢) النكت والعيون وتفسير الماوردى لأبي الحسن على بن حبيب الماوردى البصرى

٤١٧/٢ تحقيقى خضر محمد خضر مراجعة الدكتور عبد الستار أبو غده •

(٣) زاد السير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٠/٤ •

(٤) الكشاف للزمخشري ٤٣٥/٢ •

الفصل الثاني

سائج الموعظة الحسنة وهي :-

- الوعظ عن طريق الترغيب والترهيب
- الوعظ عن طريق ضرب الامثال
- الوعظ عن طريق القصص
- الوعظ عن طريق طرح الاسئلة
- الوعظ عن طريق التذكير بنعم الله
- الوعظ عن طريق التذكير بسيرة السلف الصالح
- الوعظ عن طريق الرسم والتمثيل وغيرها من وسائل الإيضاح
- الوعظ عن طريق استخدام أجهزة الأعلام الحديثة

الترهيب والترغيب :-

إن النفس البشرية تتطلع دائماً إلى ما يحقق لها السعادة والنجاح ، ويكفل لها الفوز والفلاح . إنها تتطلع إلى ما يعود عليها بالنفع والمصلحة وتخشى وتضيق دائماً من الشقاء . ومن كل ما يعود عليها بالضرر والهم والخم والنكد .

ومن هنا كان للترغيب والترهيب أثره البالغ في هداية البشرية إلى طريق الحق والخير والسعادة والفضيلة وإبعادها عن طريق الباطل والشر والتعاسة والرزيلة فهناك نفوس لا تستجيب إلا إذا رغبتم لها جزاء عملها ، وهناك نفوس لا تستجيب إلا إذا رهبت وخوفت . وانطلاقاً من هذا المبدأ كانت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، ترغب العباد في الخير والمعروف ، وترهبهم من الشر والمنكر ، وتحملهم على فعل الخيرات والصالحات وترك المنكرات وعمل الموبقات . فالداعية الموفق الحكيم ، والواعظ الحصيف القطن ، هو من يسير على نهج الكتاب والسنة في الترغيب والترهيب ، يستخدم أي منهما في المكان الذي يراه مناسباً ، مراعيًا لنفسيات المخاطبين وظروفهم . فقد يستعمل الترغيب تارة ، والترهيب أخرى ، وطوراً يجمع بين الترغيب والترهيب كما سيأتي ذكر ذلك في النماذج . ويروى عن الامام ابن شهاب الزهري أنه ذكر ذات مرة

(١) حديث المسرف على نفسه الذي قال لأولاده إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني

(٢)

اتبعه بحديث (المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها) ثم قال عقبهما : (ذلك لثلاثا

(٣)

يتكل رجل ولا يياس رجل) . قال النووي : (قال ابن شهاب لثلاثا يتكل رجل ولا يياس رجل

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب التوبة باب سعة رحمة الله تعالى وانها تغلب غضبه

• ٧٢/١٧

(٢) المرجع نفسه ٧٢/١٧

(٣) المرجع نفسه ٧٢/١٧

معناه : أن ابن شهاب لما ذكر الحديث الأول ، خاف أن سامعه يتكل على ما فيه من سعة
الرحمة وعظيم الرجاء ، فضم إليه حديث الهرة الذي فيه من التخويف ضد ذلك ليجتمع
الخوف والرجاء ، وهذا معنى قوله لكلا يتكل ولا يياس . وهكذا معظم آيات القرآن العزيز
، يجتمع فيها الخوف والرجاء . وكذا قال العلماء يستحب للواعظ أن يجمع في مواعظه بين
الخوف والرجاء لكلا يقنط احد ولا يتكل . قالوا وليكن التخويف اكثر ، لأن النفوس اليه
(١)
احوج ، لميلها إلى الرجاء والراحة والاتكال ، وإهمال بعض الأعمال .

إن في الترغيب تشويقاً للعمل ، وحثاً على البذل ، وحثاً على الخير والفضيلة ، ودفعاً
للنفس ، وحثاً للهمة ، وشدداً للعزيمة . وإن في الترهيب تخويفاً وتحذيراً من طول الأمل ،
وتزهيداً في الدنيا ، ودفعاً إلى تطهير النفس من الأرجاس . وحقاً إن الترغيب والترهيب
يصل القلوب بالله ، ويهذب الأرواح ويظهر النفوس ، ويطبعها بطابع الفضائل ، ويغرس
فيها مكارم الأخلاق ، ويستل منها سخائم النفوس ، وأضغان الأفتدة . يدفعها إلى العمل
الصالح ، ويبعدها عن العمل المهلك الفاسد ، يرتفع بها إلى معالي الأمور ، وينسأى
بها عن سفاسف الأمور . وإليك مثلاً يوضح هذا . في حادثة الافك الذي اتهمت فيه الصديقة
بنت الصديق أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما . كان ممن رماها بذلك مسطح
ابن أثانه ، وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه فلما قال ما قال في عائشة أم المؤمنين ،
ونزلت براءتها من السماء . قال أبو بكر رضي الله عنه : (والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً إن شاء

-
- (١) شرح النووي على مسلم ٧٢/١٧ - ٧٣ .
(٢) أي ينتزع . القاموس المحيط للفيروز آبادي ٤٠٧/٣٠ .
(٣) أي الاحقاد . القاموس المحيط للفيروز آبادي ١٢٩/٤ .
(٤) مسطح بن أثانه بمكسورة وسكون سين وطاء مهملتين . المعنى في ضبط أسماء الرجال
ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم لمحمد طاهر الهندي ص ٢٣٠

الله تعالى بعد الذي قال في عائشة ما قال فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والميتاجزين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ﴾
(١)
ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله يقور رحيم ﴿ فلما سمع أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية بكى ، وقال : (بلى إني لأحب أن يغفر الله عز وجل لي) . ثم رجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه ، وقال : (لا أنزعها منه أبدا) .
(٢)

وهكذا كان للترغيب بهذا الأسلوب الرائع : ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ أثره النفاد ، وسرعته الخارقة في مسارعة الصديق إلى إرجاع نفقته إلى مسطح مرة أخرى ، وقوله : (إني لأحب أن يغفر الله عز وجل لي) .

إن الدعوة باستعمال أسلوب الترغيب والتشويق تسلك مسيلها إلى القلوب ، وتفعل فعلها في النفوس ، وتهيمن على الشعور ، ويستجيب لها القاص والداني ، ويقبل عليها المعرض عنها حبا في طاعة الله ، وطمعا في الفوز برضوانه ونعيم جنانه . وإن الدعوة باستعمال أسلوب الترهيب والتخويف تفرح أبواب القلوب المغلقة ، وتفتح سدودها ، وتوقظ الضمائر الخاملة ، فتنتبه وترجع عن غيها ، وتثوب إلى رشدها ، وتستشعر الخوف من ربها ، والرهيبة من بطشه الشديد في يوم الحساب العسير . واستعمالها معا يولد الوجل والخوف من الله ، ويزيد العبد قربا من مولاه ، فيتشعر جلد خشية من الله ، ثم يطمئن قلبه ، وترتاح نفسه ، ويلين قلبه وجلده إلى ذكر الله . قال تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث

(١) النور آية ﴿٢٢﴾ .

(٢) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب المغازي باب حديث الإفك ٤٣٤/٧ ، صحيح

مسلم بشرح النووي كتاب التوبة باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف ١١٣/١٧ .

(٣) النور آية ﴿٢٢﴾ .

كتلبياً مثلثيها مثنى تشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى

(١)

ذكر الله ذلك هدى الله يهتدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من عاذ .

وقال تعالى مخبراً أنه بعث رسلاً مبشرين ومنذرين : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين

(٢)

لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً .

(٣)

وقال تعالى : ﴿ يأتئها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وقال

الغزالي رحمه الله : (إن الرجاء والخوف جناحان يطير بهما المقربون إلى كل مقام محمود ،

ومطيتان بهما يقطع من طريق الآخرة كل عتبة كؤود . فلا يقود إلى قرب الرحمن ، وروح الجنان

، مع كونه بسيد الأرجاء ، ثقيل الأعباء ، محفوفاً بمكاره القلوب ، ومشاق الجوارح والأعضاء ،

إلا أزمة الرجاء . ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم ، مع كونه محفوفاً بلطائف

(٤)

الشهوات ، وعجائب اللذات ، إلا سياط التخويف ، وسطوات التعنيف) .

وللترغيب وسائل كثيرة وسبل متعددة ، وتتجلى هذه الوسائل فيما يلي :-

١ - الترغيب بمغفرة الله وعسوفه .

٢ - الترغيب بمحو الله للخطايا وتكفيره للسيئات وتجاوزة عنها .

٣ - الترغيب ببيان سعة رحمة الله وأنها تغلب غضبه .

٤ - الترغيب ببيان الأجر العظيم الذي أعدّه الله لمن يعمل العمل الصالح حتى لو كان

صغيراً .

٥ - الترغيب بفتح باب الأمل والرجاء وتوبة الله على عباده التائبين وفرحه بذلك .

(١) الزمر آية (٢٣) .

(٢) النساء آية (١٦٥) .

(٣) الأحزاب آية (٤٥) .

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي .

- ٦ — الترغيب بأن الله مع عباده المؤمنين في كل الظروف والأحوال .
- ٧ — الترغيب بإقبال الله على عبده متى ما علم منه صدقا في توبته وعزيمة في إنابته وندما على ما مضى من ذنبه .
- ٨ — الترغيب بصلاح الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحصول الخيرات والبركات إذا استقاموا على طاعة الله واتقوه .
- ٩ — الترغيب بما أعد الله للمتقين من الأمن يوم الفزع وخفة الحساب ودخول الجنات التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إلى غير ذلك من طرق الترغيب .
وكما أن للترغيب وسائله فكذلك للترهيب وسائله وتتجلى هذه الوسائل فيما يلي :-
- ١ — الترهيب من عذاب الله وشد يد غضبه وانتقامه من العصاة .
- ٢ — الترهيب ببيان سوء أحوال العصاة في الدنيا والآخرة .
- ٣ — الترهيب ببيان العقاب الأليم الذي أعدّه الله لمن يعمل العمل السيئ حتى لو كان صغيرا .
- ٤ — الترهيب بما أعدّه الله للعصاة المجرمين والكفرة من الخوف يوم الفزع وشدّة الحساب ودخول النار التي أهون أهلها عذابا من توضع تحت أخص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه .
- ٥ — الترهيب ببيان حال المكذبين من الأمم السابقة قبلهم وكيف أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر لما خالفوا أمره وعصوا رسله .
- ٦ — الترهيب بالقبر وأهواله والقيامة ومخاطرها .

تعادج على الترغيب والترهيب :-

اولا : من الكتاب :

أ - على الترغيب وحده :

١ : قال تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها

الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من

(١)

قبل وأتوا به متشابهها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴿

٢ : وقال تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل

في كل سنبل مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم .

الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منها ولا

(٢)

أدى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

٣ : وقال تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن

اللغو معرضون والذين هم للركوة فاعلون والذين هم لفروجهم

حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن

ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأمانتهم وعهدهم

راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون

(٣)

الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴿

(١) البقرة آية (٢٥) .

(٢) البقرة آية (٢٦١ - ٢٦٢) .

(٣) المؤمنون آية (١ - ١١) .

٤ : وقال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض

كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى

لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً

(١)

ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴿

٥ : وقال تعالى : ﴿ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خرّوا سجداً وسبحوا

بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون

ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم

(٢)

من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴿

٦ : وقال تعالى : ﴿ يأتئها الذين آمنوا هل أدلكم على تجلّة تجزيكم من عذاب اليم

تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم

ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنّات تجري

من تحتها الأنهار ومسكن طيبة في جنّات عدن ذلك الفوز العظيم

(٣)

وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴿

ب - على الترهيب وحده :-

١ : قال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربنا أبصرنا وسمعنا

فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴿ ولو شئنا لأتينا كل نفس هديها

ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿ فذوقوا

(١) النور آية ﴿٥٥﴾

(٢) السجدة آية ﴿١٥-١٧﴾

(٣) الصف آية ﴿١٠-١٣﴾

(١)

نما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ﴿

٢ : وقال تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قبشهم

بعذاب أليم • يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم

(٢)

وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴿

٣ : قال تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربوا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من

السرك ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربوا وأحل الله البيع وحرم الربوا •

فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد

فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون • يحق الله الربوا ويربى

الصدقك والله لا يحب كل كفار أثيم • إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات

وأقاموا الصلوة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم

يحزنون يأتونها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا إن كنتم

مؤمنين • فإن لم تفعلوا فإذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلکم رؤس

أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن

تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم

(٣)

توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴿

٤ : وقال تعالى : ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من

عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا

(١) السجدة آية ﴿ ١٢ - ١٤ ﴾

(٢) التوبة آية ﴿ ٣٤ - ٣٥ ﴾

(٣) البقرة آية ﴿ ٢٧٥ - ٢٨١ ﴾

غير الذين كنا نعمل أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير

(١)

فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴿

هـ : وقال تعالى : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً . وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت

له تصيداً ثم يطمع أن يزيد . كلا إنه كان لأيتنا عنيداً سأرهقه صعوداً إنه

فكر وقد رفقت كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبسر

واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر سألنيهم

(٢)

سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحذ للبشر عليها تسعة عشر) ﴿

ج - على الترغيب والترهيب معا :-

١ : قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بئائيتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم

جلوداً غيرها ليدوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً والذين آمنوا

وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خللد ين فيها

(٣)

أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلاً ﴿

٢ : وقال تعالى : ﴿ أمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات

فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما

أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم

به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم

(١) فاطر آية ﴿ ٣٦ - ٣٧ ﴾

(٢) المدثر آية ﴿ ١١ - ٣٠ ﴾

(٣) النساء آية ﴿ ٥٦ - ٥٧ ﴾

يرجعون ومن أظلم ممن ذكر ثايت ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين

(١)

• منتقمون •

٣ : وقال تعالى : هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعنا لهم شيا

من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود

ولهم مقلع من حد يد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها

وذوقوا عذاب الحريق إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات

جنت تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب

ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا

(٢)

إلى صراط الحميد •

٤ : وقال تعالى : فأما من أوتى كتبه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتبه إني ظننت أني

مطلق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية •

كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية وأما من أوتى

كتبه بشماله فيقول يليلتني لم أوت كتبه ولم أد رما حسابيه يليلتها

كانت القاضية ما أغنى عنى ماله • هلك عنى سلطانيه • خذوه فغلوه

ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه إنه كان

لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم

(٣)

ههنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخلطون •

(١) السجدة آية م ١٨ - ٢٢ •

(٢) الحج آية م ١٩ - ٢٤ •

(٣) الحاقة آية م ١٩ - ٣٧ •

• وقال تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقراءن كريم فسى

كتب مكنون لا يسه إلا المطهرون تنزيل من رب العللمين • أفههذا

الحديث انتم مد هنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون فلولا اذا بلغت

الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون

فلولا إن كنتم غير مد ينين ترجعونها إن كنتم صدقين فأما إن كان من

المقربين فروح وريحان وجنت نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين

فسلم لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل

(١)

من حميم وتصلية جسيم إن هذا لهو حق اليقين فسيح باسم ربك العظيم •

ثانيا : من السنة :

أ - على الترغيب وحده :-

١ : عن ابن موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : " إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل لا يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن " (١)

٢ : عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة • فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يدك • فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟ • فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب أى شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا " (٢)

٣ : عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا • ولو يعلمون ما فى التهجير لاستبقوا إليه • ولو يعلمون ما فى العتمة والصبح لأتوهما ولو جوا " (٣)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها • باب فى صفة خيام الجنة • ١٩٦/١٧

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب إحلال الرضوان على أهل الجنة • ١٦٨/١٧ • (٣) أى يقتربوا : النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٤٢٩/٢ •

(٤) التهجير : التبكير إلى كل شيء والبيادة إليه • يقال : هجر يهجر تهجيروا • فهو مهجر • وهى لغة مجازية • أراد البيادة إلى أول وقت الصلاة • النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢٤٦/٥ •

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الأذان باب فضل صلاة الجمعة ١٣١/٢ •

٤ : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من

شهد الجنائز حتى يصل على قبرها فله قيراط * ومن شهدها حتى تدفن كان له

(١)

قيراطان * قيل : وما القيراطان ؟ قال : مثل الجبلين العظيمين * "

٥ : عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يقول

الله عز وجل : " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد * ومن جاء بالسيئة

فجزاؤه سيئة مثلها أو أعقر * ومن تقرب مني شيئا تقربت منه ذراعا * ومن تقرب

مني ذراعا تقربت منه باعا * ومن أتاني يمشي أتيته هرولة * ومن لقيني بقرباب

(٢)

الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة * "

٦ : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من

قال سبحان الله ويحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها ولو كانت مثل زيد البحر * "

(٣)

٧ : وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كلمتان خفيفتان على اللسان

ثقلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله ويحمده سبحان الله

(٤)

العظيم * "

٨ : وعنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لأن أقول سبحان الله

(٥)

والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس * "

(١) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الجنائز باب من انتظر الجنائز حتى تدفن ١٩٦/٣

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الذكر والدعاء

والتقرب إلى الله تعالى وحسن الظن به ١٢/١٢ *

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب التهليل والتسبيح والدعاء

١٧/١٧ *

(٤) المرجع نفسه ١٩/١٢ *

(٥) المرجع نفسه ١٩/١٢ *

٩ : وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١)

يقول : " من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه " . (٢)

١٠ : عن سهل بن سعد رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " إن

في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد

غيرهم يقال أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق

(٣)

فلم يدخل منه أحد " .

١١ : وعن سمرة بن جندب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " رأيت الليلة رجلين

أتيا نبي فصعدا بي الشجرة وأدخلا نبي داراً هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن

(٤)

منها . قال أما هذه الدار فدار الشهداء " .

١٢ : عن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

: " كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً ثم خرج يسأل فأتى

راهباً فسأله فقال هل له من توبة قال لا فقتله فجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية

(٥)

كذا وكذا فأدركه الموت فثأب بصدوره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة

العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقرى وأوحى الله إلى هذه أن تباعدى وقال

(٦)

قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فنفر له " .

(١) النسر : التأخير . يقال : نسأ الشيء نسأً ونسأته انساءً إذا أخرته . والنساء

الاسم ، ويكون في العمر والدين . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٤/٥ .

(٢) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب البيوع باب من أحب البسط في الرزق ٣٠٦/٤

صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب صلة الرحم وتحريم قطعها

١١٤/١٦ .

(٣) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الصوم باب الريان للصائمين ١١١/٤ .

(٤) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الجهاد والسير باب رجاء المجاهد بين في سبيل

الله ١١/٦ .

(٥) أى نهض . ويحتمل أنه بمعنى نأى أى بعد . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير

١٢٣/٥ .

(٦) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الانبياء باب حديث بينما امرأة ترضع ابنها أذمر بها

١٣ : وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : " غفر

لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركني^(١) يلهمث قال كاد يقتله العطش ففرغت خفها^(٢)
فأوثقت بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك " .^(٣)

١٤ : وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

: " مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال والله لأنحين هذا عن المسلمين
حتى لا يؤذيهم فأدخل الجنة " .^(٤)

١٥ : وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم

أحد : " أرايت إن قتلت فأين أنا ؟ قال في الجنة فألقى شمرات في يده ثم قاتل
حتى قتل " .^(٥)

ب : على الترهيب وحده :

١ : عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : " الذي

^(٦) ^(٧)

توته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله " .

(١) أي فاجرة . النهاية في غريب الحديث ٣٧٣/٤ .

(٢) أي بئر . النهاية في غريب الحديث ٢٦١/٢ .

(٣) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب بدء الخلق باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم
فليغسه ٣٥٩/٦ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة باب فضل إزالة الأذى عن الطريق ١٧١/١٦ .

(٥) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب المغازي باب غزوة أحد ٣٥٤/٧ .

(٦) أي تقضى : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٤٨/٥ .

(٧) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب مواقيت الصلاة باب إثم من فاتته صلاة العصر ٣٠/٢ .

صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصلاة باب التغليظ في توقيت صلاة العصر ١٢٥/٥ .

٢ : عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أما يخشى أحدكم - أو ألا يخشى أحدكم - إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار " .
(١)

٣ : عن سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : " من ظلم من الأرض شيئاً طوقه من سبع أرضين " وفي رواية : " من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين " .
(٢)

٤ : عن سليم بن عامر قال حدثني المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل " قال سليم بن عامر : فوالله ما أدري ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أو

الميل الذي تكحل به العين . قال : فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق . فمنهم من يكون إلى كعبه . ومنهم من يكون إلى ركبتيه . ومنهم من يكون إلى حَقْوَيْهِ .
(٣)

ومنهم من يلجمه العرق الجاما . قال : وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فيه .
(٤)

٥ : عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم " .
(٥)

(١) صحيح البخاري بفتح الياء كتاب الأذان باب اثم من رفع رأسه قبل الامام ١٨٢/٢ - ١٨٣

(٢) صحيح البخاري بفتح الياء كتاب المظالم باب اثم من ظلم شيئاً من الأرض ١٠٣/٥

(٣) الحقو : معقد الازار ثم سمي به الازار للمجاورة . النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ٤١٧/١

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب في يوم القيامة اعاننا الله على أهواله ١٩٦/١٧

(٥) أي يحد فيها نار جهنم . والجرجرة : صوت وقوع الماء في الجوف . النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ٢٥٥/١

(٦) صحيح البخاري بشرحه فتح الياء كتاب الأشربة باب آنية الفضة ٩٦/١٠

- ٦ : عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " (١)
يؤتى جهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها " .
- ٧ : عن ابن هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ناركم هذه التي
يوقد ابن آدم جزءاً من سبعين جزءاً من حر جهنم " قالوا : والله إن كانت لكافية
يا رسول الله . قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها " . (٢)
- ٨ : عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من حلف
على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم هو عليها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان . فأنزل
الله : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في
الأخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب اليم ﴾ " . (٣) (٤)

ج : الترغيب والترهيب معا :

- ١ : عن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه
وسلم : " يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم : فيقول لبيك ربنا وسعديك
فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثنا إلى النار . قال : يارب
وما بعث النار قال من كل ألف - أراه قال - تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب جهنم أعادنا الله منها
١٢٩/١٧ .

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة
٣٣٠/٦ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنة وصفة نعيمها باب جهنم أعادنا
الله منها ١٢٩/١٧ .

(٣) آل عمران آية ٧٧ .

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب المساقاة باب الخصومة في البئر والقضاء
فيها ٣٣/٥٠ .

الحامل حملها ويشيب المولد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " من ياجوج وما جوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود . وإنسى لأرجوان تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا . ثم قال : ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال : شطر أهل الجنة فكبرنا " . (١)

٢ : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة ؟ قالوا : لا . قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابه ؟ قالوا لا . قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدكما . قال فيلقى العبد فيقول أى قل . ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى . قال فيقول أفظننت أنك ملاقى فيقول لا . فيقول فإني أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثاني فيقول : أى قل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى أى رب فيقول : أفظننت أنك ملاقى فيقول : لا فيقول فإني أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ها هنا إذا قال ثم يقال له الآن تبعث شاهدنا عليك ويتنكر في نفسه من ذا الذي يشهد على فيختم على فيه ويقال لفخذة ولحمه وعظامه انطق فتتطق فخذة ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المناقق وذلك الذي يسخط الله عليه " . (٢)

(١) صحيح البخارى بفتح الباء كتاب التفسير باب (وترى الناس سكارى) ٤٤١ / ٨

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد ١٠٣ / ١٨ - ١٠٤

٣ : وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني . قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ؟ قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني . قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ؟ أما إنك لو أسقيته لوجدت ذلك عندي ؟ " (١)

٤ : عن حارثة بن وهب رضي الله عنه أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ قالوا بلى . قال كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره . ثم قال : ألا أخبركم بأهل النار ؟ قالوا بلى . قال : كل عتل جواظ مستكبر " (٢) و (٣)

- (١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة والآداب باب فضل عيادة المريض ١٢٥/١٦ - ١٢٦
- (٢) جواد كشداد الضخم المختار الكثير الكلام والجلبة في الشر . ترتيب القاموس ١/٥٥٨ .
- (٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الأيمان والنذر باب قول الله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ ١١/٥٤١ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب جهنم أعادنا الله منها ١٧/١٨٦ - ١٨٧ .
- ومن إيراد الاستزادة من الأمثلة فليرجع إلى كتب الحديث عموما وعلى رأسها الكتب الستة وإلى الكتب المؤلفة في الترغيب والترهيب خاصة وعلى رأسها :-
- ١ - الترغيب والترهيب للإمام زكي الدين عبد العظيم عبد القوي المنذرى (ت : ٦٥٦ هـ) ط ٣ . ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصرة .
- ٢ - الترغيب والترهيب لابن حجر العسقلاني . ط ١ دار إحياء المعارف ١٣٨٠ هـ . مالكاؤل .
- ٣ - الترغيب والترهيب لحسين مطر . ط ٣ المطبعة الماجدية ١٣٣٨ هـ مكة المكرمة .
- ٤ - أربعون حديثا في اصطناع المعروف للمنذرى بتخريج أبو عبد الله السلمي . مطبعة الامام بصرة .
- ٥ - رياض الصالحين للإمام النووي (ت : ٦٧٦) . ط ١ مؤسسه الرسالة دار الشروق . ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- وشرحه : دليل الفالحين لمحمد بن علان الصديقي (ت : ١٠٥٧) . ط ١ مصطفى البابي الحلبي وأولاده .
- وغيرها من كتب الحديث عموما .

الوعظ عن طريق ضرب الأمثال :

الأمثال وسيلة من الوسائل التي استخدمها القرآن الكريم والسنة النبوية المظهرة في بيان حقائقهما ومعانيهما الخفية التي قرأها ليهتدى بها من هداه الله إلى فوزه ونجاته في الدنيا والآخرة ، وتقوم الحجة على من ضل قال تعالى : ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما يحوزة فما فوئها فلأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ (١) .

وإن لضرب الأمثال في القرآن والسنة فوائد كثيرة ومنافع جمّة منها :

- ١ : تقرير الحقائق تقريرا واضحا جليبا .
- ٢ : تقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع .
- ٣ : تشويق السامع وتوفيقه إلى الإيمان والخير والحق المعروف والفضيلة .
- ٤ : تنفير السامع وترهيبه من الكفر والشر والباطل والمنكر والرديلة .
- ٥ : تذكير السامع ووعظه ليعتبر ويتزجر .
- ٦ : تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر .
- ٧ : تأتي لإثارة الانفعالات المناسبة للمعنى المراد وظهور ذلك على وجه السامع ولهذا فقد اختير لها لفظ الضرب ، لأنه يأتي عند إرادة التأثير وهيجان الانفعال ، كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعا ينفذ تأثيره وأثره إلى قلبه وينتهى إلى أعماق نفسه .

(١) البقرة آية (٢٦) .

٧ : الأمثال تربي العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم .

وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة فوائد الأمثال فأجاد
رحمه الله . وكان مما قال : (وأعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا
جاء في أعقاب المعاني أوبرزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية
إلى صورته كساها أبهه وكسبها منقبة ورفع من أقدارها وشب من نارها وضاعف
قواها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليها واستثار لها من أفاصي الأئسدة
صباية وكلفا وقسر الطباع على أن تعطيه محبة وشغفا فإن كان مدحا كان أبهسي
وأفخم وأنبيل في النفس وأعظم وأهز للعطف وأسرع للإلف وأجلب للفرح وأغلب على
المتدح وأوجب شفاة للمادح وأقضى له بحز المنائح والمواهب وأسير على الألسن
وأذكر وأولى بأن تعلقه القلوب وأجد ر . وإن كان زما كان مسه أ وجع وميسمه
الذع ووقعه أشد وحمه أحد . وإن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أتهر
وبيانه أبهر وإن كان افتخارا كان شأوه أبعد وشرفه أجد ولسانه ألد وإن كان
اعتذارا كان إلى القبول أقرب وللقلوب أخلب وللسخائم أسل ولعزب الغضب أقل
وفي عقد العقود أنفك وعلى حسن الرجوع أبعث .

وإن كان وعظا كان أشقى للصدر وأوعى إلى الفكر وأبلغ في التنبيه والزجر
(١)
وأجد ربان يجلى الغيابه ويبصر الغاية ويبرئ العليل ويشفي الغليل) . ولذا
فلا عجب ولا غرو أن كان ضرب الأمثال من أساليب هداية القرآن في الدعوة
والارشاد والوعظ والتذكير التي تؤثر في القلوب والنفوس أثرا بليغا في قبول الدعوة .

(١) أسرار البلاغة للامام عبد القاهر الجرجاني ص ١٢٨ - ١٣٠ ط

أحزر المثل بين الأساليب التي يتحراها القرآن والسنة في هدايتهما منزلة سامية ومرتبعة

عالية رفيعة . وقد أشادت الآيات بفضلها ونوهت بشأنه ورفعت من قدرة وبينت الحكمة من ضربه .

(١)

قال تعالى : ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ . قال تعالى : ﴿ وتلك

(٢)

الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العاللون ﴾ . ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس

(٣)

لعلهم يتفكرون ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ﴾ . وعن

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " وكان الكتاب الأول

ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة

أبواب على سبعة أحرف زاجر وأمر ، حلال وحرام ، محكم ومتشابه ، وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا

حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتهم عنه واعتبروا بأمثاله وأعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه

وقولوا آمنا به كل من عند ربنا " . أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي

(٥)

على تصحيحه .

(١) إبراهيم آية ﴿ ٢٥ ﴾ .

(٢) العنكبوت آية ﴿ ٤٣ ﴾ .

(٣) الحشر آية ﴿ ٢١ ﴾ .

(٤) النور آية ﴿ ٣٥ ﴾ .

(٥) المستدرک للحاکم کتاب فضائل القرآن باب أخبار فی فضائل القرآن جملة ٥٥٣/١ . قلت والحدیث اسنادہ صحیح لان رجالہ ثقات وسندہ متصل .

نماذج للوعظ عن طريق ضرب الأمثال :-

أولاً : من الكتاب :

١ - مثل المنافقين :-

قال تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عن فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين * يكاد البرق يخطف أبصارهم فلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير ﴾^(١)

قال ابن كثير : (وتقرير هذا المثل : أن الله سبحانه شبههم في اشتراطهم الضلالة بالهدى وضيورتهم بعد البصيرة إلى العمى بمن استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها ، وأبصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها ، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدى ، وهو مع هذا أصم لا يسمع ، أبكم لا ينطق ، أعمى لو كان ضياءً لما أبصر فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك ، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضاً عن الهدى واستجابهم الغى على الرشد^(٢) . ففى الآية ترهيب وتخويف وتحذير من النفاق .

(١) البقرة آية (١٧٥ - ٢٠) .

(٢) تفسير ابن كثير لابن كثير ١ / ٥٣ .

٢ — مثل الإنفاق رثاء الناس :

قال تعالى : ﴿ يأتئها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله (١)

لا يهدي القوم الكافرين ﴿

فهذا مثل ضربه الله للذى يرائى بانفاقه فشبهه بالصفوان — وهو الصخر الأملس — كان عليه تراب ، فجاء مطر شديد فذهب التراب ولم يبق إلا الصخر الأملس . فكما أن التراب قد ذهب فكذلك أعمال هؤلاء المرأئين وإنفاقهم يذهب ويضمحل فهو مثل مسوق للتحذير والتشجيع من الرياء فى الأعمال ، والحث والتشجيع على إخلاص العمل لله وحده لا شريك له ، ولذا فقد جاءت الآيات التى بعد هذه الآية ببيان هذا الذى ذكرنا من الإخلاص فى العمل : ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتبئنا من أنفسهم كمثل جنة بمرية أصابها وابل فثارت أكلمها ضعفين فإن لم يصبها وابل فظل والله بما تعملون بصير ﴿ وفى الآية ترغيب من الرياء فى الأعمال وترغيب

فى الإخلاص :
٣ — مثل إنفاق الكافرين :

قال تعالى : ﴿ مثل ما ينفقون فى هذه الحيلة الدنيا كمثل ربح فيها صرأصاب حراث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون (٣)

يظلمون ﴿

-
- (١) البقرة آية ﴿ ٢٦٤ ﴾
 - (٢) البقرة آية ﴿ ٢٦٥ ﴾
 - (٣) آل عمران آية ﴿ ١١٢ ﴾

فهذا مثل سبق للتحذير من الكفر وظلم النفس بالمعاصي والذنوب • فقد ضربت الآية
مثلاً لما ينتقه الكفار في هذه الدنيا يقوم عند هم زرع وحرث ولكنهم ظلموا أنفسهم
بارتكاب المعاصي والذنوب فسلط الله عليهم ريحا فيها برد شديد أغلقت زرعهم
وخرشهم ، فكذلك يحق الله ثواب أعمال الكافرين في الدنيا والآخرة • ففي الآية ترهيب
من الكفر •

٤ - مثل الكافرين وأعمالهم :-

قال تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم
بكم عن فهم لا يعقلون ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف
لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا
جاءه لم يجد شيئا ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله سريع
الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج
من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ (٣) ففي الآيات ترهيب من
أعمال الكافرين وبيان أنه لا تنفعهم وقت حاجتهم إليها •
٥ - مثل من علم ولم يعمل :-

قال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان
فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع

(١) البقرة آية ﴿١٧١﴾ •

(٢) ابراهيم آية ﴿١٨﴾ •

(٣) النور آية ﴿٣٩ - ٤٠﴾ •

هو له فمثل كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين

كذبوا بشأرتنا فأقص القصص لعلمهم يتفكرون ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بشأيتنا

(١)

وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخسرون ﴿
ففي الآية ترهيب من عدم الحمل بالحلم والانسلاخ عنه وتحذير الناس أن يكونوا مثل هذا
٦ - مثل الحياة الدنيا :-

قال تعالى ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات

الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها

وازينت وظن أهلها أنهم قاعدون عليها أتتها أمراً ليلاً أو نهاراً

فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الأيت لقوم

يتفكرون والله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط

(٢)

مستقيم ﴿

ففي الآية تهديد وبيان لحقيقة الدنيا وأنه لا ينبغي للناس أن يغتر بها فهي دار

٧ - مثل الحق والباطل :- فانية زائلة .

قال تعالى ﴿ قل من رب السموات والأرض قل الله قل افاتخذتم من دونه أولياء

لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل

تستوى الظلمت والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشبه الخلق

عليهم قل الله خلق كل شيء وهو الواحد القهتر أنزل من السماء

ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زيدا رابيا وما يوقدون عليه

في النار ابتغاء حلية أو متاع زيد مثله كذلك يضوبه الله الحق والباطل

فأما الزيد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك

(١) الأعراف آية ﴿ ١٧٥ - ١٧٨ ﴾ .

(٢) يونس آية ﴿ ٢٤ - ٢٥ ﴾ .

يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم

ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب وما أرسلهم جهنم

ومس المهاد أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا
الألباب . (١)

ففى الآية ترغيب إلى التمسك بالحق وبيان ثباته ومقاومة وترهيب من السير فى الباطل
والضنى فيه وبيان اضمحلاله وفناءه .

٨ - مثل الكلمة الطيبة والخبيثة :-

قال تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها

فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس

لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض

(٢)

مالها من قرار ﴾ . ففى الآية ترغيب إلى الكلم الطيب وعلى رأسه

كلمة التوحيد وترهيب من الكلم الخبيث وعلى رأسه كلمة الكفر .

٩ - مثل القرية الآمنة المطمئنة التى كفرت بأنعم الله :-

قال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان

(٣)

فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ .

ففى الآية ترغيب إلى شكر نعم الله وتحذير من جحود النعمة وكفرانها .

١٠ - مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء :-

قال تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا

وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون إن الله يعلم

ما يدعون من دونه من شىء وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال نضربها

(٤)

للناس وما يعقلها إلا المعلوم ﴾ . ففى الآية ترهيب ووعيد مسن
عبادة غير الله .

(١) الرعد آية ﴿ ١٦ - ١٩ ﴾ .

(٢) إبراهيم آية ﴿ ٢٤ - ٢٦ ﴾ .

(٣) النحل آية ﴿ ١١٢ ﴾ .

(٤) العنكبوت آية ﴿ ٤١ - ٤٣ ﴾ .

١١ - مثل الذين حملوا التوراة :-

قال تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل

أسفارا ﴾ مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي

(١)

القوم الظالمين ﴿

ففي الآية ذم لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها

وتحذير للناس أن يكونوا مثلهم .

(١) الجمعة آية (٥) هـ .

ثانيا من السنة :

١ - مثل الصلوات الخمس :

عن ابي هريره رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء " (١)
قالوا : لا يبقى من درنه شيء . قال : " فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا " . ففى الحديث ترغيب وحث على الصلوات الخمس . (٢)

٢ - مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه :-

عن ابي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت " رواه البخارى . ولمسلم " مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله فيه مثل الحى والميت " . (٣)
ففى الحديث ترغيب وحث على ذكر الله وترهيب من عدم ذكر الله . (٤)
٣ - مثل صاحب القرآن :-

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " انما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت " . (٥)
ففى الحديث ترهيب من نسيان القرآن والحث على تعاهده ومراجعة حفظه . (٦)

- (١) الدرر : الوسخ . النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ١١٥/٢ .
- (٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب مواقيت الصلاة باب الصلوات الخمس كفارة ١١/٢ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل الصلاة المكتوبة فى الجعاعة ١٢٠/٥ .
- (٣) سبق تخريجه أنظر ص ١٢٠ .
- (٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب صلاة النافلة فى البيت ٨٦/٦ .
- (٥) أى الشدودة بالعقل ، والتشديد فيه للتكثير . النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ٢٨١/٣ .
- (٦) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب فضائل القرآن باب استذكار القرآن وتعاهده ٧٩/٩ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضائل القرآن والأمر بتعاهده ٧٥/٦ .

٤ — مثل الناس في قراءة القرآن :-

عن ابن موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
: " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل
المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق
الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي
(١)

لا يقرأ القرآن كمثل الحنظل ليس لها ريح وطعمها مر " . ففي الحديث ترغيب
في قراءة القرآن وتحذير من الرياء فيه أو التآكل به أو الفجور فيه .
٥ — مثل المنفق والبخيل :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " مثل
البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جيتان من حديد من ثدييهما إلى تراقيههما^(٢)
فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت - أو وفرت - على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو
أثره ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها
(٣)

ولا تتسع " . ففي الحديث حث على الانفاق والصدقة في سبيل الله وتحذير وترهيب
من البخل وعدم الانفاق .
٦ — مثل الساعي على الأرملة والمسكين :-

عن ابن هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الساعي

(١) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب فضائل القرآن باب اسم من رآه يقرأ القرآن

أو تأكل به ١٠٠/٩ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الساجد ومواضع الصلاة

باب فضيلة حافظ القرآن ٨٣/٦ - ٨٤ .

(٢) التراقي : جمع ترقوه ، وهي العظم الذي بين شفرة النحر والعاتق ، وهما ترقوتان

من الجانبين ، ووزنها فعلوه بالفتح . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٨٢/١

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الزكاة باب مثل المتصدق والبخيل ٣٠٥/٣ .

، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب مثل المتصدق والبخيل ١٠٧/٢ -

- (١)
• على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل *
• ففي الحديث ترغيب على مساعدة الأرملة والمسكين والقيام بشؤونهما ومراعاة حقوقهما
٧ - مثل العائد في هبته :-

عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مثل العائد في صدقته
كمثل الكلب يعود في قيئه " (١)

- ٨ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل المجاهد
في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع
المجاهد في سبيل الله تعالى " • ففي الحديث ترغيب وحث على الجهاد في سبيل
الله وبيان أجره وفضله •
٩ - مثل المتشبع بما لم يعط :-

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " المتشبع بما لم يعط
كلابس ثوبي زور " • (٤)

ففي الحديث ترهيب ونهي من أن يتكبر الانسان بما ليس عنده بأن يظهره أنه عنده
يتكبر به بذلك عند الناس ويتزين بالباطل •

-
- (١) صحيح البخارى، بشرحه فتح البارى كتاب الأدب باب الساعى على الأرملة ٤٣٧/١٠ •
(٢) صحيح البخارى، بشرحه فتح البارى كتاب الزكاة باب هل يشتري صدقته ٣٥٣/٣ •
صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الهيئات باب كراهية شراء الإنسان ما تصدق به ممن تصدق
عليه ٦٣/١١ •
(٣) صحيح البخارى، بشرحه فتح البارى كتاب الجهاد باب أفضل الثمن مؤمن
مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ٦/٦ • صحيح مسلم بشرح النووى كتاب
الجهاد والسير باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى ٢٥/١٣ •
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب اللباس والزينة باب النهى عن التزوير في اللباس وغيره
والتشبع بما لم يعط ١١٠/١٤ •

١٠ - مثل المؤمنين :-

عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
: " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " (١)

١١ - عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

" مثل المؤمن في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو
تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " (٢)

ففى الحديث حث على تعظيم حقوق
المسلمين وحث على التراحم والملاطفة والمعاضدة فيما بينهم وأن يكونوا كالجسد
الواحد .

١٢ - مثل الجليس الصالح وجليس السوء :-

عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إنما

مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافع الكير فحامل المسك إما

أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافع الكير إما

أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة " (٣)

ففى الحديث ترغيب فى مجالسة

الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق ومجانبة قرناء السوء وأهل البدع

ومن يغتاب الناس .

١٣ - مثل النبي صلى الله عليه وسلم ومثل ما يعثبه :

عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن مثلى

ومثل ما يعثنى الله به كمثل رجل أتى قومه فقال : يا قوم إنى رأيت الجيش بعينى وإنى

أنا النذير العريان فالنجاء . فأطاعه طائفة من قومه فأد لجوا فأنطلقوا على مهلتهم ،

وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم ، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك

مثل من أطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق " (٥)

الحديث حث وترغيب على طاعته وتحذير من مخالفة أمره .

(١) (٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم

وتعاضد هم ١٣٩/١٦ ، ١٤٠/١٦ . (٣) سبق تخريجه أنظر ص ١٨٩ ،

(٤) أى ساروا ليلا ، يقال : أد ليه بالتخفيف إذا سار من أول الليل ، وأد ليج بالثبث إذا سار
من آخره ، والاسم منهما الدلجة والدلجة بالضم والفتح . النهاية فى غريب الحديث لابن

الأثير ١٢٩/٢ .

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن الرسول
ص ١٥٠/١٣ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب شفقتة صلى الله عليه وسلم على
أمته ومبالغته فى تحذيرهم مما يضرهم ٤٨/١٥ - ٤٩ .

١٤ - مثل قيمة الدنيا من الآخرة :-

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " والله ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجمل (١)
أحد تم - أصبعه هذه - وأشاره يحيى بالسبابة - في اليم فليُنظر بما يرجع "

ففي الحديث تحذير من الدنيا وبيان فنائها وقصر مدتها وأن متاع الحياة الدنيا في الآخرة
١٥ - مثل الذي يأخذ المال عن طريق المسألة :

عن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا حكيم

إن هذا المال خضره حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف

(٢)

نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، اليد العليا خير من اليد السفلى " .

ففي الحديث حث على التعفف عن المسألة والتزهد عنها .

١٦ - مثل القائم في حدود الله والواقع فيها :

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مثل القائم

(٣)

على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها

وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ،

فقالوا : لو أننا خرقتنا فى نصيبتنا خرقتنا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا

(٤)

جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا " . ففي الحديث ترغيب إلى الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تحصل النجاة وترهيب من تركهما لأن استحقاق العقوبة

مترتب على تركهما .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب فناء الدنيا وبيان الحشر

يوم القيامة ١٧/١٩٢ .

(٢) سبق تخريجه انظر ص ٢١٣ .

(٣) أى اقتروا . انتهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/٤٢٩ .

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الشركة باب هل يقرع فى القسمة ؟ والاستهزام

فيه ٥/١٣٢ .

* ومن أراد الزيادة فعليه بالرجوع إلى المصادر التالية :-

١ - الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام . ط مركز البحث العلمى وإحياء التراث الاسلامى مكة

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٢ - أمثال القرآن لابن قيم الجوزية دار مكة للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٣ - أمثال الحديث للحسن بن عبد الرحمن الزاهرى ط ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

٤ - الأمثال القرآنية لعبد الرحمن الميدانى ط . دار القلم دمشق / بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

٥ - أمثال الحديث لعبد المجيد محمود القاعرة . مكتبة دار التراث ١٩٧٥م . وغيرها .

الوهظ عن طريق القصص :

إن القصة طريقة من طرق البشارة والانداز ، والهداية والارشاد ، والترغيب والترهيب . وهي إحدى الوسائل الناجحة المؤثرة لعرض تعاليم الدعوة سهلة واضحة ، فهي تجذب النفوس ، وتؤثر في القلوب .

إن في قصص القرآن والسنة دعوة إلى الحق ، وهداية إلى مواقع الخير ، وإقامة للإنسانية على مسالك الحق والفضيلة ، والميل بها عن مسارب الضلال والبوار . إن النفوس إذا خوطبت تلقائياً بكلام نظري مجرد يتبع آخره أوله ، فان جهدها التفكيرى يضعف ، واستعدادها النفسى يخور ، فلا تعود تفهم أو تعى شيئاً مما يقال لها . أمّا القصة فهي غير ذلك . إنها تجسد الأحداث على شكل أشخاص يتحرك معها القلب ، ويدور معها الفؤاد ، وتنشط لها الآذان والعقول ، فهي بذلك تثير الانتباه والحواس لمتابعة أحداث القصة . ماذا سيجرى ؟ وما الذى سيحدث ؟ وما هى مجريات القصة ؟ ما هى نهايتها القصة ؟ فإن كانت مفرحة تجد القلب قد ارتاح واطمان ، وإن كانت محزنة تجد القلب قد أخذ العبرة والعظة . وحقاً : ان القصة موجه غير مباشر نحو الخلق النبيل ، والمعاملة الحسنة ، والتفكير الصحيح .

إن القصة تعتبر من أنجح الأساليب للتقويم والنصح والارشاد . فأسلوبها له تأثيراته النفسية ، وانطباعاته الذهنية ، وحججه المنطقية والعقلية فى نفوس المدعوين ، فهي تستولى على قلوبهم استيلاءً أشبه بالقهر وما هو بالقهر ، وأفضل من السحر وما هو بالسحر لما لها من سرعة نفاذ ، وقوة تأثير ، واستمرار أثر . وليس المقصود من القصص هو مجرد سرد الحوادث التاريخية والتسلى بضمونها ، إنما المقصود الأعظم ، والمطلب الأرفع ، والغرض الأكبر .

«أخذ العبرة والعظة» قال تعالى : ﴿لقد كان في قصصهم

عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء
(١)
وهدي ورحمة لقوم يؤمنون﴾

ولذا فإننا نجد التعقيب بعد كل قصة من القصص هو التوجيه لأخذ العبرة والعظة

كما في قوله تعالى : ﴿إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾ بعد قوله : ﴿قد كان
(٢)
لكم آية في فئتين المتقاتل﴾ الآية . وكقوله تعالى : ﴿فاعتبروا ينأولى الأبصار﴾ (٣)

والملاحظ في قصص القرآن تكرار القصة في أكثر من موضع ، فمثلا قصة موسى مع فرعون

تكررت في سورة البقرة والاعراف وط والشعراء والنمل والقصص والنازعات . وقد كانت الآيات

في كل موضع تجلى وتبرز عن قيمه ، وعظات نافعة ، وتوجيهات مؤثرة فما السر في تكرار

هذه القصص ؟

قال الرازي : (إن في القصص تخويف من الآخرة ، وذلك ملاحظ من قصص الأنبياء ،

وعاقبة المكذبين والمؤمنين . فإذا تكررت هذه الأقاصيص على السمع ، فلا بد وأن يلين

القلب وتخضع النفس ، وتزول العداوة ، ويحصل في القلوب خوف ، يحمل على النظر

(٤)
والاستدلال) . وقال محمد شديد : (وإن هذه الدراسة المنهجية ، هي التي تبين
(٥)

عن حكمة تكرار القصة الواحدة في عدة سور . ففي ضوء هذا المنهج ، يتضح أن لكل قصة

موضوعها الخاص هو موضوع سورتها . فالقصة القرآنية ليست في فراغ ، إنما هي جزء متمم

لبناء السورة ، ووسيلة فنية مع وسائلها الأخرى . فإذا ذكرت قصة في سورة فلعللاج

(١) يوسف آية ﴿١١١﴾

(٢) آل عمران آية ﴿١٣﴾

(٣) الحشر آية ﴿٢﴾ (٤) مفاتيح الغيب للرازي ٥٦/١٧

(٥) ويعنى بها دراسة السورة على أساس أنها وحدة متكاملة ، لها موضوع رئيس معين ،
والسورة كلها بما فيها القصة تسعى الى تحقيق ذلك الموضوع بعينه .

(١) موضوعها ، فإذا ذكرت نفس القصة في سورة أخرى فهي قصة جديدة لعلاج موضوع جديد (١)
ولقد تميز القصص القرآني والنبوي بسمو غاياته ، وشرف مقاصده ، وعلو مراميه فلقد
اشتمل على أصول في العقائد السامية ، وفصول في الأخلاق الفاضلة والآداب الجميلة
، التي تهذب النفوس ، وتصلح القلوب ، وتجمل الطباع ، ومناهج في التربية والتهذيب
والاصلاح شتى ، تساق أحيانا مساق الحوار ، وأخرى مسلك الحكمة والاعتبار ، وطورا
مذهب التخويف والانذار ، بأسلوب حكيم ، وقول بين ، ولغظ رائع ، وافتتان عجيب .
يرشد الناس إلى الخالق الكريم ، والمبدع الحكيم ، ويدعوهم إلى الايمان الصحيح ،
ويدلهم إلى العلم النافع . : ﴿ ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ . بأحسن
(٢)
بيان ، وأفضل كلام . وأقوم طريق . ويحمل لهم قدوات في كل مجال من مجالات الحياة
، في الجهاد والكفاح ، في البذل والتضحية والفداء ، في حب الهدى والخير ، وكره
الباطل والضلال . إلى غير ذلك . . .

(١) منهج القصة في القرآن لمحمد شديد ص ٦٤ .

(٢) الإسراء آية (٩٥) .

نماذج للوعظ عن طريق القصص :-

أولا : من الكتاب :-

١ : قصة آدم مع ابليس :-

قال تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما وإن قلنا
للملك اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى • فقلنا يا آدم
إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك
إلا تجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تظمؤا فيها ولا تضحى فوسوس
إليه الشيطان قال يا آدم هل أد لك على شجرة الخلد وملك
لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوء تهما وطفقا يخصفاً عليهما
من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى
قال اعبطا منها جميعا لبعضكم لبعض وعدو فإما يأتينكم منى هدى
فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له
معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
بصيرا قال كذ لك أتتك آيتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١) •
ففى الآيات تحذير من اتباع خطوات الشيطان وأنه عدو مبين للإنسان • والحث على
٢ - قصة ابنى آدم (هابيل وقابيل) :- التمسك بهدى الله واتباعه والحدار من الاعراض عنه •

قال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قرأا قرآنا فتقبل من أحدهما
ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين لكن

(١) طه آية (١١٥-١٢٦) •

وانظر أيضا قصته فى سورة البقرة وسورة الاعراف وسورة الحجر وسورة الاسراء وسورة
الكهف وسورة ص •

بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنني أخاف
الله رب الظالمين إنني أريد أن تبنوا بيثمي وإثمك فتكون من أصحاب
النار وذلك جزاؤا الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح
من الخسرين فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة
أخيه قال يسئولتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي
فأصبح من النادمين من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من
قتل نفسا بغير نفع أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن
أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن
كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون (١) ففي الآيات التحذير

من القتل بغير الحق وأن من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها من بعده .
٣ - قصة موسى مع فرعون :-

قال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآيتنا إلى فرعون وملأه فسقا فقال إنني رسول رب العالمين

فلما جاءهم بآيتنا إذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية إلا هي
أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلمهم يرجعون وقالوا يتأيه الساحر
ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب إذا
هم ينكتون ونادى فرعون في قومه قال يلقوم اليس لي ملك صر وهذه
الأنهثر تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو
مهيمن ولا يكاد يبين فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة
مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين فلما أسفونا

(١) المائدة آية ٢٧ - ٣٢ .

(١)

انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعَلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴿

ففي الآيات التحذير من طاعة الأمراء والحكام الظالمين إذا أمروا بمعصية الله

٤ - قصة إبراهيم مع أبيه :-

قال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً إذ قال لأبيه يا ليت لم

تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً يا ليت إني قد جاءني من

العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً يا ليت لا تعبد الشيطان

إن الشيطان كان للرحمن عصياً يا ليت إني أخفاف أن يمسك عذاب

من الرحمن فتكون للشيطان ولياً قال أرأيت أنت عن الهى يا إبراهيم

لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى ملياً قال سلم عليك سأستغفر لك ربي

إنه كان من خفياً واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا ربي عسى ألا أكون

(٢)

بدعاء ربي شقياً ﴿ . ففي الآيات ترغيب إلى استعمال اللين في الدعوة

إلى الله وتحذير من موالاته أعداء الله .

٥ - قصة طالوت :

قال تعالى : ﴿ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك

علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه

عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله

واسع عليم وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينه

من ربكم وبقيته ما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك

(١) الزخرف آية ٤٦٥ - ٤٥٦ . وانظر أيضاً القصة في سورة البقرة وسورة الأعراف وسورة

يونس وسورة إبراهيم وسورة الإسراء وسورة طه وسورة الشعراء وسورة النمل وسورة القصص

وسورة طه وسورة الدخان وسورة الذاريات وسورة النازعات .

(٢) مريم آية ٤١٥ - ٤٤٨ .

آية لكم إن كنتم مؤمنين فلما فصل ظالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر
فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا
منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليسوم
بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ
علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله وقتل
داود جالوت واتبعه الله الملك والحكمة وعلمه ما يشاء ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات
الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين (١)

ففي الآيات الترغيب في طاعة ولي الأمر وعدم مخالفة أمره وعصيانه والترغيب

في الثقة بالله ووعده ونصره .

٦ - قصة الثلاثة الذين خلفوا :-

قال تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهلجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة
العسرة من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم
وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت
عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله
هو التواب الرحيم يتأبها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (٢)

(١) البقرة آية (٢٤٧ - ٢٥٢)

(٢) التوبة آية (١١٢ - ١١٩)

ففي الآيات ترغيب في التوبة والعبادة إليها وأن الله يتوب على من تاب .

٧ - أصحاب الجنة وأصحاب النار :-

قال تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيُبْغِضُونَهَا عُوجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسْمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسْمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ أَهْلَاءُ الَّذِينَ أَنْصَلْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنصِلُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ جِئْتُم بِكُتُبٍ فَنُلِقُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ • ففي الآيات الترغيب إلى الجنة وسلوك الطريق المؤدى

إليها والتحذير من النار وعدم سلوك الطريق المؤدى إليها .
٨ - أصحاب السبت :

قال تعالى : ﴿ وَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرَيْنِ يُعَدُّونَ فِي السَّبْتِ

إذ تأتيهم حينئذ يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبوتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم
بما كانوا يفسقون وإن قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم
عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به أنجيناهم
الذين ينهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون
(١)

فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خلسيين ﴿٥﴾ ففي الآيات التحذير
من معصية الله ولو كانت تلك المعصية حيلة وعقوبة من يفعل ذلك •

٩ - قصة الهجرة :-

قال تعالى : ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في
الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده

بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله
(٢)

عزيز حكيم ﴿٥﴾ ففي الآيات الترغيب إلى نصره الرسول صلى الله عليه وسلم

ونصرة سنته ودينه والذب عنه وحماية عقيدته •

١٠ - قصة يوم حنين :-

قال تعالى : ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم

شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله

وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين

ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ﴿٥﴾ ففي الآيات
(٣)

الترهيب من الاغترار بالكثرة في العدد والعدة والترهيب من عدم الاعتماد على الله والثقة فيه •
١١ - قصة قارون :

قال تعالى : ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناهم من الكنوز ما إن مفاتحه

(١) الاعراف آية ﴿١٦٣ - ١٦٦﴾ •

(٢) التوبة آية ﴿٤٠﴾ •

(٣) التوبة آية ﴿٢٥ - ٢٧﴾ •

لتنكروا بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ
فيما أتتكم الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله
اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين قال إنما أوتيته على علم
عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر
جمعاً ولا يسئل عن دنسهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذي
يريدون الحيوة الدنيا يلبت لنا مثل ما أوتى قرون إنهم لذنو حظ عظيم وقال
الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقبها إلا
الصابرون فخشفنا به ويداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله
وما كان من المنصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح
الكفرون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً
والعلوية للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين
(١)

علوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ﴿٥﴾ ففي الآيات الترهيب من أشر النعمة وبطرها
والغرور والتكبر على الله عز وجل .

(١) القصص آية (٧٦٥ - ٨٤) .

ثانيا : من السنة :

١ - قصة الرجل من بنى إسرائيل الذى استلف ألف دينار :-

عن ابى هريره رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنه ذكر رجلا

من بنى إسرائيل سال بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال : اتنى بالشهداء

أشهد هم . فقال : كفى بالله شهيدا . قال : فأتنى بالكفيل . قال : كفى بالله

كفيلا . قال : صدقت . فدفعها إليه على أجل مسمى فخرج فى البحر فقصى حاجته ثم

التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذى أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل

فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج^(١) موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال :

اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألنى كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضى

بك وسألنى شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضى بذلك وإبنى جهدت أن أجد مركبا

أبعث إليه الذى له فلم أقدر . وإبنى أستودعها فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه ثم^(٢)

انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده . فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر

لعل مركبا قد جاء بماله فإذا الخشبة التى فيها المال فأخذها لأهله حطبا فلما نشرها

وجد المال والصحيفة ثم قدم الذى كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال : والله ما زلت

جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه . قال : هل كنت

بعثت إلى بشى ؟ قال : أخبرك أنى لم أجد مركبا قبل الذى جئت فيه . قال : فإن الله

قد أدى عنك الذى بعثت به فى الخشبة فانصرف بالألف دينار راشدا^(٣) . ففى الحديث
ترغيب فى التوكل والاعتماد على الله وأن من صح توكله تكفل الله بنصره وعونه .

(١) أى سوى موضع النقر وأصلحه . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/٢٩٦ .

(٢) أى دخلت . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٥/٢٢٤ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الكفالة باب الكفالة فى القرض والديون بالأبدان

وغيرها ٤/٤٦٩ .

٢ - قصة أصحاب الغار الثلاثة :-

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " بينما ثلاثة نفر يمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم فقال أحد هم : اللهم إنه كان لى والدان شيخان كبيران وأمرأتى ولى صببية صفار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدتى فسقيتهما قبل بنى وأنه نأى بى ذات يوم الشجر فلم آت حتى أسسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقميت عند رؤوسهما أكرهه أن أوقظهما من نومهما وأكرهه أن أسقى الصبية قبلهما والصبيمة يتضاغون عند قدمى فلم يزل ذلك دأبى ودأبهما حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجه نرى منها السماء ففرج الله منها فرجه فرأوا منها السماء . وقال الآخر اللهم إنه كانت لى ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت إليها نفسها فأبى حتى أتيتها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بهما فلما وقعت بين رجلها قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقميت عنها فإني كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها فرجة فرج لهم وقال الآخر اللهم إني كنت استأجرت أجيرا بقرق أرز . فلما قضى عمله قال أعطنى حتى فعرضت عليه فرقه فرغب عنه فلم أزل أزوجه حتى جمعت منه بقرا ورعاءها فجاءنى فقال اتق الله ولا تظلمنى حتى قلت اذهب إلى تلك البقر ورعاءها فخذها فقال اتق الله ولا تستهزئ بى فقلت إني لا استهزئ بك خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذه فذهب به فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك

(١) ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقى ففرج الله ما بقى " . ففى الحديث الترفيب فى الاخلاص فى الأعمال وفعلها ابتغاء وجه الله .

(١) سبق تخريجه انظر ص ٤٠٨/٤ - ٤٠٩ .

٥٧ - ٥٥/١٧ .

٣٨ — قصة الرجل الذي قتل مائة نفس : —

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : " كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أهل الأرض فدل على راحب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة . فقال : لا ، فقتله فدل به مائة ثم سأل عن أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة : فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا انصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيراً قط . فأتاها ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أوثق فهو له ، فقاसوه . فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فتبضته ملائكة الرحمة . قال قتادة : فقال الحسن : ذكر لنا أنه لما أتاه الموت تائباً بصدده " . (١) ففي الحديث ترغيب وتحث على الإسراع إلى التوبة من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها حتى من قتل النفس وبیان سعة رحمة الله .

٤ — قصة جريح :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " كان جريح يتعبد في صومعة فجاءت أمه . قال حميد فوصف لنا أبو رافع صفة أبي هريرة لصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه حين دعته كيف جعلت كفها فوق حاجبها ثم رفعت رأسها إليه تدعوه فقالت : يا جريح أنا أمك كلمني فصادفته يصلي فقال اللهم أمي وصلاتي فاختر صلواته فرجعت ثم عادت

(١) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب أحاديث الأنبياء ٥١٢/٦ .
صحيح مسلم بشرح النووي كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كرر قتله ٨٣/١٧ — ٨٤ .

في الثانية فقالت : يا جريج أنا أمك فكلمني فقال : اللهم أمي وصلاتي فاختر صلته .
 فقالت : اللهم إن هذا جريج وهو ابني وإني كلمته فأبي أن يكلمني اللهم فلا تمته
 حتى ترضه المومسات . قال : ولو دعت عليه أن يفتن لفتن . قال : وكان راعي ضأن
 يأوي إلى ديره . قال : فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها الراعي فحملت ، فولدت
 غلاما . فقيل لها : ما هذا ؟ قالت : من صاحب هذا الدير . قال فجاءوا بفؤ وسهم
 وساحيهم فنادوه فضاذ فوه يصلى فلم يكلمهم قال : فأخذوا يهدمون ديره ، فلما رأى
 ذلك نزل إليهم فقالوا له : سل هذه قال فتبسم ثم مسح رأس الصبي فقال من أبوك
 قال أبي راعي الضأن . فلما سمعوا ذلك منه قالوا نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب
 والفضة . قال : لا ولكن أعيدوه ترابا كما كان ثم علاه " (١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لم يتكلم في المهد
 إلا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا غابدا فاتخذ صومعة فكان فيها
 فاته أمه وهو يصلى فقالت : يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلته فانصرفت
 فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت : يا جريج فقال : يا رب أمي وصلاتي ، فأقبل
 على صلته ، فانصرفت . فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت : يا جريج . فقال :
 أي رب أمي وصلاتي فأقبل على صلته فقالت : اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات
 فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغية ، يتمثل بحسنها فقالت : إن شئتم
 لأفتننه لكم قال : فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأنت راعيا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من

(١) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب العمل في الصلاة باب إذا دعت الأم ولدها فسي

الصلاة ٧٨/٣ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة والآداب باب تقديم

الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها ١٠٥/١٦ - ١٠٦ .

من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت : هو من جريج . فأتوه فاستنزلوه وهدموا
صومحته وجعلوا يضربونه . فقال ما شأنكم ؟ قالوا : زنت بهذه البغي فولدت منك
فقال : أين الصبي فجاءوا به فقال دعوني حتى أصلى فصرخ أتى الصبي
فطمعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك ؟ قال فلان الراعي قال فاقبلوا على جريج يقولونه
ويتمسحون به وقالوا نبي لك صومعتك من ذهب . قال : لا أعيدوها من طين كما كانت
ففعلوا . وبينما صبي يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة فقالت أمه :
اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه فقال : اللهم لا تجعلني
مثله ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع قال : فكأنني أنظر إلى رسول الله وهو يحكى ارتضاعه
بأصبعه السبابة في فمه فجعل يصبا قال : ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنت
سرقته وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت أمه : اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك
الرضاع ونظر إليها فقال : اللهم اجعلني مثلها . فهناك تراجع الحديث فقالت حلقى (٢)
مر رجل حسن الهيئة فقلت : اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ، ومروا
بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنت سرقته فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت
اللهم اجعلني مثلها قال : إن ذاك الرجل كان جيارا فقلت اللهم لا تجعلني مثله ،
وان هذه يقولون زنت ولم تزن ، سرقته ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها " (١)
ففي الحديث ترغيب وحث على عظم هو الوالد بن وتأكيد حق الام خاصة وتقديم الوالد بن على التطوع في الصلاة
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظ زكاة وغيرها .
رضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذه وقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم . قال : إني محتاج وعلى عيال ولى حاجة شديدة . قال فخليت

(١) أى أصابك وجع فى حلقك . النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ١ / ٤٢٨ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب تقديم الوالد بن على التطوع فى

الصلاة وغيرها ١٦ / ١٠٦ - ١٠٨ .

عنه ، فأصبحت فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " يا أبا هريرة ما فعل أسيرك
البارحة ؟ قال : قلت يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله
قال : أما إنه قد كذبتك وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم إنه سيعود فرصدته فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : دعني فأني محتاج وعلى عيال لا أعود . فرحمته فخليت
سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك ؟
قلت : يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال : أما إنه قد
كذبتك وسيعود فرصدته الثالثة . فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم لا تعود ثم تعود .
قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت : ما هن ؟ قال : إذا أويت إلى
فراشك فاقرا آية الكرسي : ﴿اللهم لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ حتى تختم الآيـة
فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله
فأصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت
يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله . قال : ما هي ؟
قلت : قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرا آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية : ﴿اللهم
لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان
حتى تصبح وكانوا أحرص شيء على الخير . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إنه قد
صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قال : لا . قال : ذاك

(١)

شيطان " . ففي الحديث بيان فضل آية الكرسي وأنها تحفظ الإنسان وماله ومثاله من
الشيطان .

(١) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الوكالة باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئاً
فأجازته الموكل فهو جائز ٤/٤٨٧ .

٦ - قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام :-

عن صهيب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كان ملك
فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك انى قد كبرت فأبعث إلى غلاما
أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه
وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر
ضربه فشكى ذلك إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلىسى
وإذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر فينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة
قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل . فأخذ
حجرا ، فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فأقتل هذه
الدابة حتى يمضى الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره
فقال له الراهب ، أى بنى أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرى ما أرى وانك
ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل على ، وكان الغلام يبرى الأكمة والأبرص ويهداوى
الناس من سائر الأدواء فسمع جديس للملك كان قد عصى فأناه بهدايا كثيرة . فقال :
ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتنى . فقال : إنى لا أشفى أحدا إنما يشفى الله
فإن أنت آمننت بالله دعوت الله فشفاك ، فأمن بالله فشفاه الله ، فأتى الملك فجلس
إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ قال ربي قال : ولست
رب غيرى ؟ قال : ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام .
فجىء بالغلام فقال له الملك أى بنى قد بلغ من سحرى ما تبرى الأكمة والأبرص
وتفعل ما تفعل ؟ فقال : إنى لا أشفى أحدا ، إنما يشفى الله . فأخذه فلم يزل
به يعذبه حتى دل على الراهب فجىء بالراهب فقبل له ارجع عن دينك فأبى فدعا

بالمشمار فوضع المشمار في مفرق رأسه فشتمه حتى وقع شقاه ثم جرى بجليس الملك
فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فوضع المشمار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه
ثم جرى بالغلام فقيل له ارجع إلى دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال :
اذ هبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن
دينه وإلا فاطرحوه فد هبوا به فصعدوا به الجبل . فقال : اللهم اكفنيهم بم شئت .
فرجع بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال
كفانيهم الله . فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذ هبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا
به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقتدوه فد هبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بم شئت فانكأ
بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك ؟ قال كفانيهم
الله . فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به قال وما هو قال تجمع
الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد
القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في
صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس
ثم قال باسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع
السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فأتى الملك
فقيل له : رأيت ما كنت تحذر ، قد والله نزل بك حذر قد آمن الناس فأمر بالأخذ ود
في أفواه السكك فخذت واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له
اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها

- (١) القرقور : السفينة العظيمة ، وجمعها قراقير . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤ / ٤٨٠ .
- (٢) الصدغ : هو ما بين العين إلى شحمة الأذن . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣ / ١٧٠ .
- (٣) أي فشقت . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢ / ١٣٠ .
- (٤) أي تأخرت . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤ / ٨٧٠ .

(١)

الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق " • ففي الحديث ترغيب وحث على الثبات على الحق والاستمرار عليه والتضحية في سبيله بكل ما يملكه الإنسان •

٧ - قصة أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل :-

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " إن ثلاثة

في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص

فقال : أي شيء أحب إليك قال لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قدرني

الناس قال فمسحه فذهب عنه قدره وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا قال فأى المال أحب

إليك ؟ قال الإبل - أو قال البقر - شك اسحاق إلا أن الأبرص أو الأقرع قال

أحدهما الإبل وقال الآخر البقر - قال فأعطى ثاقه عشرة • فقال بارك الله لك فيها •

قال فأتى الأقرع فقال أي شيء أحب إليك قال : شعر حسن ويذهب عني هذا الذي

قد قدرني الناس قال فمسحه فذهب عنه وأعطى شعرا حسنا قال فأى المال أحب إليك

قال البقر • فأعطى بقرة حاملا فقال بارك الله لك فيها •

قال فأتى الأعمى فقال أي شيء أحب إليك قال أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس

قال : فمسحه فرد الله إليه بصره قال فأى المال أحب إليك قال الغنم فأعطى شاة والدا •

فأنج هذا ن وولد هذا قال فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من

الغنم •

قال ثم أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين قد انقطعت بي الجبال في

سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن

والمال بغيرا أتبلغ عليه في سفري • فقال الحقوق كثيرة • فقال له كأنى أعرفك ألم تكن أبرص

يقدرك الناس فقيرا فأعطاك الله ؟ فقال إنما ورثت هذا المال كائرا عن كائرا فقال إن كنت

كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت •

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد باب قصة أصحاب الأخدود والسا حر والراهب

قال وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد على هذا فقال

إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت .

قال وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الجبال

في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها فسي

سفري فقال : قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك

اليوم شيئا أخذته لله . فقال أمسك مالك فإنما ابتليتم لقد رضى الله عنك وسخط على صاحبك .^(١)

ففي الحديث التحذير من كفران النعم والترغيب في شكرها والاعتراف بها وحمد الله عليها وفيه

فضل الصدقة والحث على الرفق بالضعفاء واکرامهم وفيه الزجر عن البخل لأنه يحمل صاحبه على

الكذب وعلى جحد نعمة الله تعالى .

٨ - استحباب الوضع من الدين والتجاوز في الاقتضاء :-

١ : عن عائشة رضى الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت خصوم بالباب عالية

أصواتهما ، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء وهو يقول والله لا أفعل . فخرج

رسول الله ^{عليهما} فقال : أين المتألى على الله لا يفعل المعروف ، قال : أنا يا رسول الله فله أي

ذلك أحب .^(٢) ففي الحديث ترهيب من الحلف بالله على ترك الخير وعدم فعله .

ب : قصة المرجل الذي كان ينظر المعسر ويتجاوز عن الموسر :-

عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تلقت الملائكة روح رجلا

ممن كان قبلكم فقالوا : عملت من الخير شيئا ؟ قال : لا قالوا تذكر . قال : كنت أداين الناس ^(٣)

فأمر فتيانى أن ينظروا المعسر ويتجاوزوا عن الموسر . قال : قال الله عز وجل : ﴿ تجوزوا عنه ﴾ .

وفي رواية : " أنه كان يقول لفتاه إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا ، فلقى الله

فتجاوز عنه ^(٤) . ففي الأحاديث الترغيب في انظار المعسر والوضع عنه إما كل الدين وإما بعضه

وفضل السامحة في الاقتضاء وفي الأستيفاء .

(١) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث أبوص وأقرع فسى

بنى إسرائيل ٥٠٠/٦ - ٥٠١ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزهد ٩٧/١٨ - ١٠٠ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساقاة والمزارعة باب استحباب الوضع من الدين ٢١٩/١٠ - ٢٢٠

(٣) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب البيوع باب من أنظر معسرا ٣٠٩/٤ ، صحيح مسلم بشرح

النووى كتاب المساقاة والمزارعة باب فضل انظار المعسر والتجاوز في الاقتضاء ٢٢٤/١٠ .

(٤) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب أحاديث الأنبياء ٥١٤/٥ ، صحيح مسلم بشرح

النووى كتاب المساقاة والمزارعة باب فضل انظار المعسر والتجاوز في القنضاء ٢٢٦/١٠ .

٩ - قصة المرينيين :-

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن ناسا من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاجتووها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن شئتم أن

تخرجوا إلى ابل الصدقة فتشربوا من ألبانها وأبوالها ، ففعلوا فصحوا ، ثم مالوا على

الرءاء فقتلوهم وارتدوا عن الاسلام وساقوا ذود رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ

ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث في أثرهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل

أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا " . ففى الحديث تهيب وتحذير من قطع الطريق

١٠ - قصة فقراء المهاجرين :-

عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال : وما ذاك؟

قالوا : يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون

(١) أى أصابهم الجوى : وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول ، وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها

واستوخموها . ويقال : أجتويت البلد : إذا كرهت المقام فيه وإن كنت فى نعمة . النهاية

فى غريب الحديث لابن الأثير ٣١٨/١ .

(٢) الذود من الابل : ما بين الثنتين إلى التسع ، وقيل : ما بين الثلاث إلى العشر ،

واللفظة مؤنثة ، ولا واحد لها من لفظها كالنعم . النهاية فى غريب الحديث لابن

الأثير ١٧١/٢ .

(٣) أى فقأها بحديدة محمأة أو غيرها ، وقيل هى فقؤها بالشوك ، وهو معنى السمر .

والسمر : أى أحس لهم مسامير الحديد ثم كحلهم بها . النهاية فى غريب الحديث لابن

الأثير ٣٩٩/٢ ، ٤٠٣ .

(٤) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الزكاة باب استعمال ابل الصدقة وألبانها لأبناء السبيل

٣٦٦/٣ ، صحيح مسلم بشرح النووى كتاب القسامة باب حكم المحاربيين والمرديين

١٥٤/١١ - ١٥٥ .

(٥) الدثور : جمع دثر ، وهو المال الكثير ، ويقع على الواحد والاثنين والجميع . النهاية فى

غريب الحديث لابن الأثير ١٠٠/٢ .

به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم • قالوا : يلى

يا رسول الله • قال تسبحون وتكبرون وتحمدون وبركل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة -

قال أبو صالح - فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : سمع

أخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء • (١) ففى الحديث ترغيب واستحباب الذكر بعد الصلاة

وبيان صفته والتنافس فى الخيرات •

١١ - قصة الأنصارى :-

عن أبى هريره رضى الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال إنى مجهود فأرسل إلى بعض نساءه فقالت : والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء

ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذى بعثك بالحق

ما عندى إلا ماء • فقال : من يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار فقال

: أنا يا رسول الله ، فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته : هل عندك شىء ؟ قالت : لا

إلا قوت صبيانى • قال : فعلليهم بشىء فإذا دخل ضيفنا فاطفىء السراج وأره أنا نأكل

فإذا أهوى ليأكل فقومى إلى السراج حتى تطفئيه ، قال : فقعدوا وأكل الضيف ، فلما

(٢)

أصبح غدا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : قد عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة •

ففى الحديث ترغيب على إكرام الضيف وإيثاره بالطعام والحث على ذلك •

١٢ - قصة المرأة المخزومية التى سرقت :-

عن عائشة رضى الله عنها أن قرىشا أهمهم شأن المخزومية التى سرقت فقالوا : من

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة

وبيان صفته ٩٢/٥ - ٩٣ •

(٢) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب مناقب الأنصار باب قول الله عز وجل : (وإذا ثرون على

أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ١١٩/٧ • صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الأشربة

باب إكرام الضيف وفضل إيثاره ١١/١٤ - ١٣ •

يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامه
حب رسول الله صلى الله عليه وسلم • فكلمه أسامه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : " أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاخطب فقال : " أيها الناس إنما
أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف
أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " • (١)

١٣ - الطاعة في المعروف :-

عن علي رضي الله عنه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية وأمر عليهم رجلا
من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب عليهم وقال : أليس قد أمر النبي صلى الله عليه
وسلم أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى • قال : قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبا وأوقدت
نارا ثم دخلتم فيها ، فجمعوا حطبا فأوقدوا النار • فلما هموا بالدخول قاموا ينظر
إلى بعض فقال بعضهم : إنما اتبعنا النبي صلى الله عليه وسلم فرارا من النار
أفند خلها ؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه فذكر للنبي صلى الله عليه
وسلم • فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا ، إنما الطاعة في المعروف " • (٢)

١٤ - ثم لتسألن يومئذ عن النعيم :-

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ قالا : الجوع
يا رسول الله • قال : وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما ، قوموا فقاموا
معه فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رآته المرأة قالت : مرحبا وأهلا ،
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أين فلان ؟ قالت ذهب يستعذب لنا من

(١) سبق تخريجه أنظر ص ١٥١ - ١٥٢

(٢) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية

الماء ، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ثم قال :

(١)

الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أخصيا فإني قال فالتلق فجاءهم بعدق فيه بسر وتمر ورطب

(٢)

فقال : كلوا من هذه وأخذ المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إياك

والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا • فلما أن شبعوا ورووا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر : " والذي نفسي بيده لتسألن عن

(٣)

هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم "

ففي الحديث استحباب حمد الله تعالى عند حصول نعمة ظاهرة واستحباب إظهار

البشر والفرح بالضيف في وجهه وفيه حث على شكر الله عز وجل بأداء حق النعمة •

١٥ - العفو :-

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

غزوة قبل نجد فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في وادي كبير العضاء فنزل رسول

صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها قال وتفرق الناس فـ

الوادى يستظلون بالشجر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن رجلا أتاني

وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتا

في يده فقال لي : من يمنعك مني ؟ قال : قلت الله • ثم قال في الثانية من يمنعك

(٤)

مني ؟ قال : قلت الله • قال فشام السيف فيها هوذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله

(٥)

صلى الله عليه وسلم " •

(١) العذق بالفتح : النخلة ، وبالكسر : العرجون بما فيه من الشمايخ ، ويجمع على عذاق •

النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ١٩٩ •

(٢) أي السكين والشفرة • النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/ ٣١٠ •

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الأشربة باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يشق برضاها

٢١٠/١٣ - ٢١٤ •

(٤) أي أغمد وسقط • النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/ ٥٢١ •

(٥) سبق تخريجه أنظر ص ١٧٨ - ١٧٩

ومن أراد الزيادة فعليه بالرجوع إلى المصادر التالية :-

ففي الحديث ترغيب وحث على العفو عند المقدرة لأن العفو عند المقدرة

من شيم الكرام .

-
- ١ = : قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس لأحمد بن محمد الشعلبي (ت : ٤٢٧ هـ)
ط ٤ القاهرة مصطفى الباي الحلبي ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .
- ٢ : قصص الأنبياء لابن كثير تحقيق مصطفى عبد الواحد دار المكتبة الحديثة القاهرة
١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٣ : قصص الأنبياء لعبد الوهاب نجار ط ٢ القاهرة مؤسسة الحلبي ٨٦ هـ - ٦٦ م .
- ٤ : قصص القرآن محمد احمد جاد المولى ط ٨ القاهرة المكتبة التجارية الكبرى .
- ٥ : القصص في الحديث النبوي لمحمد بن حسن الزبير ط الرياض دار اللواء للنشر
والتوزيع ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م . رسالة ماجستير جامعة القاهرة .
- ٦ : القصص النبوي للسيد شحاته القاهرة - دار النهضة العربية .

الوعظ عن طريق طرح الأسئلة :-

إن الداعية هو العنصر الفعال في عملية التربية ، فعلى قدر ما يخمل في عقله من علم وفكر ، وما يحمل في قلبه من إيمان برسالته ، ومحبة لدعوته ، ورغبة في إيصال الخير ، وما أوتي من موهبة وخبرة في حسن طريقة التعليم والتربية ، يكون نجاحه وحسن تأثيره في قلوب الآخرين . وإن الوعظ عن طريق الحوار والاستجواب فيه تدريس للمدعو على التفكير ، وتشجيعه على المناقشة وتعويد ، على العطاء والمشاركة . وإبدا الرأي . وإن أي تربية بدون استخدام هذه الوسيلة ، قد تعتبر فاشلة ، لأنها تكون شخصا ضعيف الشخصية عديم التأثير .

إن في الحوار والمناقشة إثارة نفسية لتقوية الانتباه لتلقى المعلومات ، وإذهاجا للسامع ، وإزالة لما يصيب النفس من ملل نتيجة اللقاء الطويل ، وتشويقا للذهن ، وتنشيطا للعقل لمواصلة السعي ومعاونة البحث للوصول إلى الحقيقة مهما تكن مشقة الطريق إليها ، وتحريكا للذكاء وإسقاء للمواعظ في قالب الإقناع والمحاكاة ، وإيقاظا للهمم ، ودعوة للتفكير وتقليب النظر والعقل للبحث فيما يعرض من كلام ، لجعل المدعو يقطف الثمار والتائج بنفسه ، ليعمل بها وهو موقن . قال محمد سعيد رمضان البوطي : (وتلك هي فائدة الاسلوب الحوارى القائم على السؤال والنقاش ، فالغرض منه سوق التلميذ في الطريق العلمى المطلوب بنفسه بسرعة التى يسير بها المرى أ والمعلم . إذ أن من أخطر آفات السرد واللقاء المجرد ، أن يسير المعلم فى القائه وسرده أشواطاً إلى النتيجة العلمية المطلوبة ، بينما لا يزال السامع واقفا حيث هو ، أو يسير متخلفا عنه فى

(١)

متاهات متعثرة ، لا تفيد علما ولا تكسب فهما) .

(١) منهج تربوى فريد فى القرآن لمحمد سعيد رمضان البوطى ص ٣٩ .

إن في الوعظ عن طريق الحوار والمناقشة اطلاقاً لبعض الألسنة الجامدة لتنطبق
وتبدى عما يدور بداخلها ، فالحوار يبرز المكنون ، ويظهر المستور ، ويكشف ما فى
الصدور ، وما خفى فى القلوب ، وهو يفتح العقول ، ويطلقها من أسارها ، ويوسع
مدارك الفهم فيها .

وحقاً إن الوعظ عن طريق الحوار والمناقشة يتيح للداعية آفاقاً كبيرة ، ومنافذ كثيرة ،

وأبواب واسعة ، فى مجال التربية والتعليم . وقد اتخذ الوعظ عن طريق الحوار والمناقشة
جوانب عديدة ، الجانب الأول : تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة لدى المدعوين .

١ - عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على
(١)

أم السائب أو أم المسيب فقال : " ما لك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفريين ؟

قالت : الحى لا يبارك الله فيها . فقال صلى الله عليه وسلم : " لا تسبى الحى ،

(٢)

فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكبر حيث الحديد . "

٢ - وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم فى طريق من

(٣)

طرق المدينة وهو جنب ، فأنسل ، فذهب فاغتسل فتفقد ، النبي صلى الله عليه

وسلم قال : " أين كنت يا أبا هريرة ؟ قال : يا رسول الله لقيتني وأنا جنب ، فكرهت

أن أجالسك حتى اغتسل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سبحان الله إن

(٤)

المؤمن لا ينجس . "

(١) أى ترتعد من البرد . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٣٠٥/٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ١٦/١٣١ .

(٣) أى ضى وخرج بتآن وتدريج . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٣٩٢/٢ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الحيض باب الدليل على أن المسلم لا ينجس ٦٦/٤ - ٦٧ .

٣ - عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(١)

: " ما تعدون الرقوب فيكم ؟ قال : قلنا : الذى لا يولد له . قال : ليس ذاك
(٢)

بالرقوب ولكنه الرجل الذى لم يقدم من ولد ه شيئا . قال فما تعدون الصرعه فيكم ؟

قال : قلنا الذى لا يصرعه الرجال . قال ليس بذلك ولكن الذى يملك نفسه عند
(٣)

الغضب " .

٤ - وعن أبى هريره رضى الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد

فقال : " يا عائشة ناولينى الثوب . فقالت : إئتى حائض . فقال إن حيزك ليس
(٤)

فى يدك فناولته " .

الجانب الثانى التركيز على بعض الحقائق لترسيخ فى النفوس وثبتت فى القلوب :-

١ - عن أبى بكره رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الزمان قد استدار

كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات

ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب شهر مضر الذى بين جمادى وشعبان ثم قال :

(١) الرقوب فى اللغة : الرجل والمرأة إذا لم يعش لهما ولد ، لأنه يرقب موته ويرصد ه خوفا

عليه . فنقله النبى صلى الله عليه وسلم إلى الذى لم يقدم من الولد شيئا أى يموت قبله .

تعريفا أن الأجر والثواب لمن قدم شيئا من الولد وأن الاعتداد به أكثر وأنفع فيه أعظم .

وأن فقد هم وإن كان فى الدنيا عظيما فإن فقد الأجر والثواب على الصبر والتسليم للقضاء

فى الآخرة أعظم . وأن المسلم ولده فى الحقيقة من قدّمه واحتسبه ومن لم يرزق ذلك فهو

كالذى لا ولد له . النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/٢٤٩ .

(٢) الصرعه : بضم الصاد وفتح الراء : المبالغ فى الصراع الذى لا يخلب فنقله إلى الذى

يخلب نفسه عند الغضب ويقهرها . النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/٢٣ -

٢٤ .

(٣) مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب فى الذى يملك نفسه عند الغضب

١٦١/١٦ .

(٤) مسلم بشرح النووى كتاب الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وتوجيهه ٣/٢١٠ .

أى شهر هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم . قال : فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه .
قال : أليس ذا الحجة؟ قلنا : بلى . قال : فأى بلد هذا؟ قلنا : الله ورسوله
أعلم . قال : فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال : أليس البلدة؟ قلنا : بلى .
قال : فأى يوم هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم . قال : فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير
اسمه . قال : أليس يوم النحر . قلنا بلى يا رسول الله . قال : فإن دماءكم وأموالكم
قال محمد واحسبه قال : وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في
شهركم هذا وستلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم فلا ترجعن بعدى ضلالا يضرب بعضكم
رقاب بعض إلا ليلغ الشاهد الغائب فلعن بعض من ييلغه يكون أوعى من بعض من
سمعه ثم قال : ألا هل بلغت . (١)

قال القرطبي : (سؤاله صلى الله عليه وسلم عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال
(٢)
منها كان لاستحضار فهو مهم وليقبلوا عليه بكليتهم وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه) .
فقد أبان الحديث كيف أنه صلى الله عليه وسلم لم يسرد خطبته سردا ولم يدق بيانه
الهام أمام تلك الجوع الكثير فالمختشدة القاء سردا يثير الملل ويبعث على النوم وإنما
حرك العقول وأثار الانتباه بأسئلته وسكوته . فأشربت إليه أعناقهم ورنت إليه أبصارهم
وأصت له آذانهم ومن ثم ألقى عليهم بيانه العظيم : " إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم
عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا " .

قال ابن حجر : (وإنما قدم السؤال عنها تذكارا لحرمتها وتقريراً لما ثبت في نفوسهم

(١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الحج باب الخطبة أيام منى ٥٧٣/٣ ، صحيح مسلم

بشرح النووى كتاب القسامه باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (١١/١٦٩ - ١٧٠

(٢) فتح البارى ١٥٩/١ .

(١)

ليبنى عليه ما أراد تقريره على سبيل التأكيد .

٢ - وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت ردي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس بينى وبينه إلا مؤخرة الرجل . فقال : " يا معاذ ! قلت لبيك يا رسول الله وسعديك . ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ ! قلت لبيك يا رسول الله وسعديك . ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ ! قلت لبيك يا رسول الله وسعديك . قال : هل تدري ما حق الله على العباد ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : " فبان حق الله على العباد أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً . ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ ! قلت لبيك يا رسول الله وسعديك . قال : " هل تدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ؟ قلت الله ورسوله أعلم . أن لا يعذبهم " .
(٢)

٣ - وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أشدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ذكرك أخاك بما يكره . قيل أفرأيت ان كان في أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته " .
(٢)

الجانب الثالث إيضاح بعض المفاهيم والمعاني الغامضة :

(٤)

١ - قال تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ .

(٥)

عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ .

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٥٧٦/٣ .

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح الباري كتاب الجهاد باب اسم الفرس والحمار ٥٨/٦ ، صحيح

مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب حق الله على العباد ٢٣٠/١ - ٢٣٢ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب النهى عن الغيبة ١٤٢/١٦ .

(٤) الأنعام آية ﴿ ٨٢ ﴾ .

(٥) الأنعام آية ﴿ ٨٢ ﴾ .

شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى
(١) (٢)

الله عليه وآله وسلم : " ألا ترون إلى قول لقمان : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ "

٢ - عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ حتى يتبين لكم الخيط
(٣)

الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ قال له عدى بن حاتم : يا رسول الله

إني أجعل تحت وسادتي عقالين عقالا أبيض وعقالا أسود أعرف الليل من النهار

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن وسادك لعريض إنما هو سواد الليل

(٤)

وبياض النهار "

٣ - عن طائفة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم : " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه " فقلت

: يا نبي الله : أكرهية الموت ؟ فكلنا يكره الموت قال : ليس كذلك • ولكن

المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه وان

(٥)

الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه " •

٤ - وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "

يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة قالوا : كيف يا رسول

(١) لقمان آية ٥ (١٣) •

(٢) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب التفسير سورة لقمان ٥١٣/٨

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب صدق الإيمان واخلاصه

١٤٣/٢ •

(٤) البقرة آية ٥ (١٨٧) •

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الصيام باب صفة الفجر الذى تتعلق به أحكام

الصوم ٢٠٠/٧ •

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب من أحب لقاء

الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ٩/١٧ •

الله؟ قال: " يقتل هذا فيلج الجنة ثم يتوب الله على الآخر فيهد به إلى الإسلام
(١) ثم يجاهد في سبيل الله فيستشهد " .

٥ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قال: " إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والده؟ قيل يا رسول الله: وكيف

يلعن الرجل والده؟ قال: يسب الزجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه " .
(٢)

قال
٦ - عن مصعب بن سعد رضي الله تعالى عنهما حدثني أبي قال: كنا عند رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال: " أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ فسأله سائل من

جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة

(٣)

أو يحط عنه الف خطيئة " .

٧ - عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ليس أحد يحاسب

إلا هلك " . قلت يا رسول الله أليس الله يقول حسابا يسيرا؟ قال: ذاك العرض ولكن

(٤)

من نوقش الحساب هلك " .

الجانب الرابع: توجيه السائل إلى ما هو أهم بالنسبة له:

١ - قال تعالى: ﴿ يسئلونك ماذا ينفقون ؟ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الأمانة باب في رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان
الجنة ٣٦/١٣ .

(٢) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الأدب باب لا يسب الرجل والده ٤٠٣/١٠

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل
والتسبيح والدعاء ٢٠/١٧ .

باب

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب إثبات الحساب ٢٠٨/١٧ .

(١)

واليتى والمستكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم .
ففى هذه الآية وجه الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما هو أهم
وبين لهم أنه ليس المهم مقدار ما ينفقون بقدر ما هو مهم أين يضعون تلك النفقات . قال
الألوسى : (ظاهر الآية أنه سئل عن المنفق فأجاب ببيان المصروف صريحاً لأنه أهم فإن
(٢)

اعتداد النفقة باعتباره) .

٢ - عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال : يا رسول الله متى الساعة ؟ قال ما أعددت لها ؟ قال ما أعددت كبير صلاة ولا صيام
ولا صدقة ولكنى أحب الله ورسوله قال فأنت مع من أحببت " .
(٣)

٣ - عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى مجلس يحدث
القوم جاءه أعرابى فقال : متى الساعة ؟ فضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدث
فقل بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال . وقال بعضهم : بل لم يسمع . حتى إذا قضى
حديثه قال : " أين السائل عن الساعة ؟ قال : ها أنا يا رسول الله . قال : إذا ضيعت
الأمانة فانتظر الساعة . قال : كيف أضعها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله
(٤)
فانتظر الساعة " .
(٥)

(١) البقرة آية (٢١٥) .

(٢) روح المعانى للألوسى ١٠٥/١ .

(٣) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الأدب باب علامة الحب فى الله ٥٥٧/١٠ .

صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة باب المرء مع من أحب ١٨٧/١٦ .

(٤) أى أسند وجعل فى غير أهله يعنى إذا وسد . وشرف غير المستحق للسيادة والشرف .

النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ١٨٣/٥ .

(٥) صحيح البخارى بشرحه فتح البارى كتاب الرقاق باب رفع الأمانة ٣٣٣/١١ .

الجانب الخامس تربية المدعو على الأخلاق الفاضلة والمعاني النبيلة والآداب السامية :

١ - عن أبي هريرة رضى الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بسكران • فأمر بضربه
فمنا من يضربه بيده • ومنا من يضربه بمنعله ومنا من يضربه بشوبه • فلما انصرف • قال
رجل : ماله أخزاه الله • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا أعوان الشيطان
(١)
على أخيكم " •

٢ - حدث المرأة الجهتية وفيه أن خالد بن الوليد رضى الله عنه أقبل بحجر فرمى رأسها
فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم سبه إياها فقال :
مهلا يا خالد فوالذى نفسى بيده لقد تابيت توبة لو تابها صاحب مكمل لغفر له " (٢)
(٣)

٣ - وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا أبا
سعيد من رضى الله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة • فعجب لها أبو
سعيد • فقال أهداها على يا رسول الله ففعل ثم قال : وأخرى يرفع بها العبد مائة
درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض • قال وما هي يا رسول الله ؟ قال :
الجهاد فى سبيل الله • الجهاد فى سبيل الله " (٤)

٤ - وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أصبح منكم
اليوم صائما ؟ قال أبو بكر : أنا • قال فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا • قال

-
- (١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس
بخارج من الملة ٢٥/١٢ •
(٢) العكس : الضريبة التى يأخذها الماكس وهو العشار • النهاية فى غريب الحديث لابن
الأثير ٤/٣٤٩ •
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الحدود باب حد الزنا ٢٠٣/١١ •
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الامارة باب بيان ما أعد الله تعالى للمجاهد فى الجنة
من الدرجات ٢٨/١٣ •

فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبو بكر أنا . قال فمن عاد منكم اليوم مريضا؟ قال أبو بكر: أنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة " .

٥ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: " كل

أمتي يدخلون الجنة إلا من أبت؟ قالوا يا رسول الله: ومن أبت؟ قال: من أظاعني

دخل الجنة ومن عصاني فقد أبت " .

الجانب السادس: تحذير المدعويين من الأمور التي تضر بهم ومجتمعهم:

١ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: " إياكم

والجلوس في الطرقات؟ قالوا: يا رسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها . فقال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فإذا أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقه . قالوا:

وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " .

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " اجتنبوا السبع

الموبقات؟ قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي

حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات

الغافلات المؤمنات " .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب فضل من ضم إلى الصدقة غيرها من أنواع الخير

١١٢/٧ - ١١٨ .

(٢) صحيح البخاري بفتح الباري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله

٢٤٩/١٣ .

(٣) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب المظالم باب أفنية الدور والجلوس فيها والجلوس

على الصعدات ١١٢/٥ ، وصحيح مسلم بشرح النووي كتاب السلام باب من حق الجلوس

على الطريق رد السلام ١٤٢/١٤ .

(٤) صحيح البخاري بشرحه فتح الباري كتاب الوصايا باب قول الله تعالى: ﴿مَنْ آذَى الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾

أموال البتامي ظلما ١٠٠٠ ، الآية ٣٩٣/٥ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب

الكبائر وأكبرها ٨٣/٢ .

٣ - وعن أبي بكره رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أنبئكم

بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : الإشرāk بالله وعقوق الوالدین

وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور ؟ قال : نعم

فما زال يقولها حتى قلنا لا يسكت " . (١)

٤ - وعن أبي هريرة رضی الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر على صبرة طعام

فأدخل يده فيها فقالت أصابعه بللا قال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته

السماء يا رسول الله . قال : أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس

(٢)

منا " .

الجانب السابع : إعطاء بعض الكلمات المعنى الشرعي لها :

١ - عن أبي هريرة رضی الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون ما المفلس؟

قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : المفلس من أمي من يأتي يوم القيامة

بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب

هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه

(٣)

أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار " .

٢ - وعن أنس رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " انصر أخاك ظالما

(١) صحيح البخارى، بفتح البارى كتاب الأدب باب عقوق الوالدین من الكبائر ٤٠٥/١٠ .

صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب الكبائر وأكبرها ٨١/٢ - ٨٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس

منا ١٠٩/٢ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم ١٣٥/١٦ - ١٣٦ .

أو مظلوما . فقال رجل : يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما . أرايت إن كان ظالما
(١) كيف أنصره ؟ قال تحجزه - أو تمنعه - من الظلم فإن ذلك أنصره .

٣ - وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " ما تعدون
الرقوب فيكم ؟ قال : قلنا الذي لا يولد له . قال : ليس ذاك بالرقوب ولكنه الرجل الذي
لم يقدم من ولده شيئا . قال فما تعدون الصرعة فيكم ؟ قال : قلنا : الذي لا يصـرعه
الرجال . قال : ليس بذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب " . (٢)

وهكذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يستخدم ^{سوره} هذا المنهج إيقاظاً لانتباه صحابته ، وتحريكاً
لعقولهم ، حتى يستقبلوا هديته وتعاليمه بنفوس عطاش ، وقلوب ظماء ، فيستقر فيها أثـبت
استقرار ، ويعلق بها علوق الروح بالأجسام . فعلى الداعية أن يتحرى هذا المنهج في طريق
دعوته ، ليكثف ثمار نتائجه على أحسن حال ، وخير مبرام .

-
- (١) صحيح البخارى بفتح البارى كتاب الإكراه باب يعين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه
القتل أو نحوه ٣٢٣/١٢ .
- (٢) سبق تخريجه انظر ص ٣٠٩ .